مختارات إسرائيلية

مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية
الأهرام
CENTER FOR POLITICAL & STRATEGIC STUDIES

السنة الخامسة عشر. العدد ١٧٠ فبراير ٢٠٠٩
Feb. - 2009

ترجمات عبرية

- العدوان على غزة بين حسابات قادة حماس ودوافع قادة إسرائيل
- إسرائيل تستخدم أسلحة محرمة دولياً في العدوان على أهل غزة
- الانتخابات البرلمانية الإسرائيلية: هل يعود نتنياهو مجدداً..؟
- إيران الرابح الأكبر من حرب غزة

رؤية عربية

- حماس وقواعد اللعبة السياسية

مختارات إسرائيلية

مجلة شهرية تصدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام
العدد ١٧٠ ــ فبراير ٢٠٠٩

رئيس مجلس الإدارة
مرسى عطا الله

مدير المركز
د.عبد المنعم سعيد

رئيس التحرير
د عماد جاد

مدير التحرير
أيمن السيدعبد الوهاب

وحدة الترجمة

د يحيى عبد الله
محب شريف
شريف حامد

د.أشرف الشرقاوي
منير محمود
كمال أحمد
محمود صبري

عادل مصطفى
محمد اسماعيل
مدحت الغرباوي

المستشار الفنى
السيد عزمي

الإخراج الفني
مصطفى علوان

الآراء الواردة فى هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأى
مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام

مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
ت:٢٥٧٨٦١٠٠/ ٢٥٧٨٦٢٠٠/ ٢٥٧٨٦٣٠٠ فاكس ـ ٢٥٧٨٦٠٢٣٢

المحتويات

* المقدمة ....د. عماد جاد ٤

أولاً : الدراسات

١ - كتاب "نقطة اللاعودة" (القسم الرابع-١) ....رونين برجمان ٥

٢ - كتاب «عدم المساواة» (الجزء التاسع) ....أورى رام - نيتسا بركوفيتش ١٤

٣ - استعداد الجيش للتحديات المستقبلية ....مجموعة باحثين (مركز بيجين-السادات) ٣٠

ثانياً: الشهادات

١ - المقاتلون الذين غطسوا فى نهر كيشون يتحدثون ....طل آريئيل أمير ٣٧

٢ - متحف التسامح بالقدس يخرج «يهوشع بن آرييه» عن صبره ....عقيفا إلدار ٤١

٣ - ذكريات الماضي ....بوعاز جاؤون ٤٣

ثالثاً: الترجمات العبرية

* **الحرب فى غزة:**

١ - حركة حماس ستفاجأ بقوة الرد الإسرائيلي ....هيئة تحرير موقع walla ٤٦

٢ - من لبنان إلى غزة.. هل استخلصنا العبر..؟! ....نير حسون ٤٧

٣ - لا مناص من احتلال القطاع ....موشيه جولدبلت ٤٨

٤ - ارتباك فى الإدارة الأمريكية الجديدة ....ناتاشا موزجوفيا ٤٩

٥ - العمليات الجراحية فى غزة تجرى بدون تخدير وبدون قفازات طبية ....عَميرا هَس ٤٩

٦ - وزير خارجية التشيك يعرب عن تأييد لعملية "الرصاص المصبوب" فى غزة ....هيئة تحرير هاآرتس ٥٠

٧ - المشروعات فى الجنوب تسخر ٥,٦ مليون شيكل يومياً ....نعما سيكولار ٥١

٨ - كم يكلفنا أسبوع من القتال فى الجنوب..؟ ....تانى جولدشتاين وتسفى لافي ٥١

٩ - لو كنت فلسطينياً ....يوسى ساريد ٥٢

١٠ - ليس هكذا تتصرف دولة متروية ....أودى هيرش ٥٣

١١ - اليمن تسرع بنقل اليهود بسبب العملية العسكرية فى غزة ....عيدان يوسف ٥٥

١٢ - الخيارات المتاحة: إسقاط حماس أو قوة دولية ....ران بورات ٥٥

١٣ - لا لوقف إطلاق النار ....موشيه آرنس ٥٧

١٤ - مبادرة لاستضافة ألف طفل من غزة فى حيفا ....ران برحي ٥٨

١٥ - هيومان رايتس ووتش: "استخدام غير قانونى لقنابل الفوسفور الأبيض فى غزة" ....عَميرا هَس ٥٨

* **الانتخابات العامة فى إسرائيل:**

١ - ومع ذلك حزب عربى موحد..؟ ....نير يَهَف ٥٩

٢ - نتنياهو فى الجولان: "لن نتنازل عن ممتلكاتنا الاستراتيجية" ....بنحاس وولف ٦٠

٣ - "عاليه ياروك" يجد صعوبة فى تسجيل نفسه لانتخابات الكنيست ....آريك بندر ٦٠

٤ - ضباط احتياط على قائمة حزب إفرايم سينيه ....زوهر سوسنكو ٦١

٥ - عضو الكنيست أورى آريئيل ينسحب من حزب "البيت اليهودي" ....روعى شارون ٦٢

٦ - نتنياهو تبرأ من الصفقة التى أبرمها مع حزب "مستقبل واحد" الإثيوبي ....ميراف دافيد ٦٢

٧ - هل يعود باراك للمضمار السياسي..؟ ....يوسى فيرتر ٦٣

٨ - قليل عليهم ....أفيرما جولان ٦٤

٩ - حزب ليحيم يدعو لتأجيل الانتخابات بزعم تعرضه للظلم ....إيتسيك وولف ٦٥

١٠ - تأجيل الانتخابات سيتم فقط بموافقة أغلبية ٨٠ عضواً للكنيست ....بنحاس وولف ٦٦

١١ - من يرفض الآخر إنما يرفض نفسه ....درور نيسان ٦٦

١٢ - ديموقراطية فى خطر..........جاد برزيلى وحاييم مسجاف ٦٧

* علاقات إسرائيل الدولية والإقليمية:
١ - مشروع لدعم التعاون العلمى بين بريطانيا وإسرائيل..........ملكا بركان ٧٠
٢ - الصواريخ الروسية لإيران لن تتيح لإسرائيل مهاجمة طهران..........هيئة تحرير موقع دبكا ٧١
٣ - إيران هى الرابح الأكبر فى غزة..........يورام شفيتسر ٧٢
٤ - هل تظاهرت وزيرة نرويجية ضد إسرائيل..؟ لتتم إقالتها..........داليا مزوري ٧٣

* المجتمع الإسرائيلي:
١ - فتوى فى الخليل تقضى بإجازة حمل الهاتف الجوال يوم السبت..........يهوشع برنر ٧٤
٢ - باروخ مارزل يقدم أوراق ترشيحه لمنصب رفيع فى التخنيون..........نداف جادليا ٧٥
٣ - نقص الأمطار يتسبب فى إغلاق المكفاؤوت..........أساف جولان ٧٥
٤ - شكوى للأمم المتحدة: إسرائيل تواصل ممارسة التمييز ضد النساء..........مايا بنجل ٧٦
٥ - ابنة نوعام فيدرمان ترفض الخدمة العسكرية بالجيش الإسرائيلي..........روعى شارون ٧٧
٦ - مخاوف من حصول المرضى على أدوية خاطئة..........زيفا موجرابي ٧٧
٧ - محاضر محاكمة إيخمان على الإنترنت..........تومار زرحين ٧٨
٨ - حتى فى وقت الحرب يجب علينا أن نصرخ..........نتيف نحماني ٧٩
٩ - آلاف التلاميذ فى الجنوب لا يمتلكون حاسب آلى فى المنزل..........أور كشتى وينانير يحنا ٨٠
١٠- دراسة: اليهود فى القدس امتلكوا فى القرن التاسع عشر عبيداً فى بيوتهم..........عوفرى إيلانى ٨٠

* حوارات:
١ - حوار مع "أفيحاى أدرعي" المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي..........دانى سبكتور ٨٢
٢ - حوار مع البروفيسور "زئيف شترينهل"..........أميرا لام ٨٥
٣ - أول حوار مع رئيس بنك هابوعليم "دانى دنكنر"..........سيفر بلوتسكر ٨٩
٤ - حوار مع عارض الأزياء الإسرائيلى "يوآف راؤوفيني"..........جايا كورن ٩٣

* استطلاعات:
١ - مقياس الحرب والسلام لشهر ديسمبر ٢٠٠٨..........إفرايم ياعر وتمار هيرمان ٩٦
٢ - باراك سيحدد من سيكون رئيس الوزراء القادم..........رامى يتسهار ٩٧
٣ - ليبرمان ينتزع من نتنياهو من ثلاثة إلى خمسة مقاعد..........تسيلا كوهين ٩٨
٤ - استطلاعات الرأى حول الانتخابات تتوقع حدوث انقلاب مرتبط بإنهاء الحرب..........دانيئيل ألدسون ٩٩
٥ - الجمهور يثق فى الموساد والشاباك..........روبى شتينبرج ١٠٠
٦ - زيادة عدد طالبى إعانات البطالة بنسبة ٢٣٪..........روتى سيناي ١٠٠
٧ - غالبية الجمهور لا تعرف شيئا عن ادخار معاشاتهم..........عوفر ولفنسون ١٠١

* شخصية العدد:
اللواء احتياط "عاموس جلعاد"..........ترجمة وإعداد: أسامة أبو رفاعى ١٠٢

رابعاً: رؤية عربية
١- حماس وقواعد اللعبة السياسية..........د. رؤوف أبو عابد ١٠٣
٢- قراءة فى أوراق حرب غزة..........د. أشرف الشرقاوي ١٠٦
٣- تركيا وعملية «الرصاص المتدفق»... الطموحات والقدرات..........محمد عبد القادر ١١١
خامساً: مصطلحات عبرية..........إعداد: وحدة الترجمة ١١٤

مقدمة

الأداء العربي في مواجهة العدوان على غزة

ما أن أعلنت الحكومة الإسرائيلية وقف العدوان من جانب واحد على قطاع غزة، حتى بادرت حركة حماس إلى المطالبة بالانسحاب الإسرائيلي من القطاع، مؤكدة أنها لن تلتزم بوقف القتال ما لم يتم الانسحاب، وبعد ذلك مباشرة أعلنت قبولها بوقف إطلاق النار.

وما يهمنا هنا التعاطي العربي مع وقف إطلاق النار، فمن ناحية خرج قادة حماس من دمشق ليعلنوا النصر في الحرب وأن من مؤشرات هذا النصر أن قتلى العدو ٤٩ وشهداء المقاومة ٤٨، حيث تم إسقاط الضحايا المدنيين الذين بلغ عددهم ألف وثلاثمائة، والجرحى الذين فاق تعدادهم أربعة آلاف، وحالة الدمار الشامل في القطاع. وهو أمر يكشف بوضوح عن العقلية العربية في التعامل مع الحقائق والمفاهيم المستقرة عالميا ومعنى النصر والهزيمة بالمفهوم العسكري، فالعقل العربي الذي ابتدع مفاهيم النكسة والانتكاسة، رفض التعامل مع الحقائق لإرضاء الذات دون التوقف أمام مدلولات ذلك عالميا وإنتكاساته على التعاطي مع المجتمع الدولي. ومن ناحية ثانية إندلع الجدل مجددا بين الفصائل الفلسطينية حول من يتولى الإشراف على إنفاق الأموال، وكأن القضية الجوهرية هي الإشراف على الأموال والسجال حولها دون مراعاة لبشر فقدوا أبنائهم وآبائهم، ودمرت منازلهم وتم تشريدهم. أيضا كثر الحديث عن ضرورة تقديم مجرمي الحرب من القيادات السياسية والعسكرية الإسرائيلية إلى المحاكمة الدولية بسبب ارتكابهم لجرائم حرب ضد أهل القطاع من المدنيين الأبرياء، جرى الحديث عن هذه القضية دون أن يبذل جهد حقيقي لتجميع الوثائق والدلائل والشهادات على ذلك، وبات الأمر وكأنه نوع من التسابق على تسجيل المواقف أكثر منه الحرص على الفعل في ذاته، وهو أمر يكرس الصورة الذهنية المعروفة عن العرب وهي أنهم يجيدون فقط الحديث والكلام دون الاقتراب من الفعل، ورغم أن إسرائيل أخذت الأمر بجدية وأعلنت الحكومة أنها سوف توفر الحماية القانونية للعسكريين في مواجهة دعاوى المحاكمة الدولية، فإن الجانب العربي سواء تمثل في المنظمات والهيئات أو الحكومات أو حتى المسئولين في جامعة الدول حرصوا على تسجيل المواقف دون بلورة رؤية محددة وخطة مفصلة للسير في إجراءات المحاكمة الدولية.

إن ما جرى من عدوان إسرائيلي على أهل القطاع، وطريقة التعاطي مع العدوان ونتائجة سواء من جانب الفصائل الفلسطينية أو الحكومات العربية أو وسائل الإعلام من رسمية وخاصة، أدى إلى تكريس الصورة النمطية عن العرب بأنهم لا يجيدون العمل المنظم طويل المدى، فقط ينفعلوا ويتشجنوا ويشجبوا، يجيدون لغة التخوين واتهام بعضهم بعضا، دون فعل حقيقي وهو ما تدركه إسرائيل جيدا وتستثمره أيضا، ومن ثم تستمر مأساة العرب وتتواصل خسائرهم.

د. عماد جاد

◆ دراسات ◆

١

كتاب «نقطة اللاعودة»
الاستخبارات الإسرائيلية فى مواجهة إيران وحزب الله
القسم الرابع(١): إيران من الداخل

تأليف: رونين برجمان - ترجمة وإعداد: محمد إسماعيل

(١)
الفارسية لغة صعبة

دفع الشعب الإيرانى عام ١٩٩٧ بالإصلاحى محمد خاتمى إلى السلطة. وفى أوربا كانوا يحصون الأيام حتى تسقط إمبراطورية الشر. ومن جديد أتضح أن الغرب لا يفهم شيئًا عن الإيرانيين.

الكابوس يطاردهم حتى اليوم. «حلمت أننى خرجت من البيت إلى الشارع الرئيسى فى طهران، فى طريقى إلى التسوق، أو إلى الجامعة أو لأحضر الأطفال من المدرسة. كالمعتاد فى طهران، أسير على جانب الطريق، أتظاهر بالاحتشام والخجل، كما يجب على المرأة هناك. من أمامى يمر 'مخبرو' الحرس الثورى. يمضون فى سيارة مكشوفة. رجلان وامرأتان، جميعهم مسلحون من أقدامهم وحتى رؤوسهم، يبحثون عن سيدات غير متشحات بالحجاب وعندئذ، بينما كان الرعب يملأنى، اكتشفت أننى نسيت الحجاب فى المنزل. اعتقلونى وأخذونى إلى إحدى اللجان التابعة لهم وحكموا علي بالسجن والجلد. وهنا، استيقظت من النوم مفزوعة.»

هكذا تحدثت آزار نفيسى - حاليًا أستاذ الأدب الإنجليزى بجامعة جويس هوبكنز ومؤلفة الكتاب الأكثر مبيعًا 'قراءة لوليتا فى طهران' (١) - فى لحظة مصارحة مع زميلاتها بالجامعة فى طهران، واكتشفت أن جميعهن يصادفن نفس الكابوس فى منامهن بطريقة أو أخرى. بعد أن انتهينا من الحديث عن الإرهاب الإيرانى وحزب الله، والسلاح النووى والصواريخ، يجدر بنا القول إن الغائب الكبير فى القصة الإيرانية هم حوالى مليون إنسان من إجمالى (٤٣٣ , ٦٨٨ , ٦٨)هم عدد سكان حسب تقديرات السى. آى. إيه. فى يوليو ٢٠٠٦)، الذين يصعب على المراقب من الخارج أن يفهم ما يدور فى رؤوسهم عندما يمر أمامهم الوُشاة المخيفون التابعون لحرس الثورة. وبعيدًا عن المشاركة الوجدانية فالأمر يتصل بمسألة استخبارية ليست بالبساطة التى يمكن أن نتصورها. ولكى نفهم الشعب الإيرانى أكثر علينا أن نفهم النظام الإيرانى الحاكم، وربما علينا أن نفهم أيضًا ما هى الخطوة التالية

التى ستحسم مصيره.

كانت آزار نفيسى على وشك أن تفهم شيئًا أو اثنين عن الشعب الإيرانى. لقد كانت هى نفسها تؤيد ثورة الخمينى بحماس، يصل إلى حد الهوس. وكان والداها قد خدما فى مناصب كبيرة فى نظام الشاه. وتوفرت لها فرصة إكمال تعليمها العالى فى أوربا وفى الولايات المتحدة ونالت الدكتوراه فى أغسطس ١٩٧٩، بعد حوالى ستة أشهر من عودة الخمينى من منفاه إلى إيران. نفيسى التى كانت تمقت نظام الشاه الفاسد، قررت أن تعود إلى إيران و"أن أحقق حلمى بالعيش فيها كسيدة مُتعلمة." على حد قولها.

وبدأت تفيق منذ وطأت قدماها أرض المطار: "كنتُ مصدومة تمامًا. لم تكن هى البلد الذى حلمتُ به. كان الجنود منتشرين فى كل مكان، كما أن النساء جميعهن محجبات. طلب الحارس أن يفتش حقائبى، ويتأكد إن كنت قد جلبت معى مشروبات كحولية. رفضت ذلك فضربنى." سُحبت جوازات السفر من نفيسى وزوجها فى هذه الواقعة وأعيدوا لهما بعد مضى ١٢ عامًا فقط!

فور عودتها قُبلت آزار نفيسى للعمل فى جامعة طهران العريقة. تقول: "اعتاد مدير الجامعة، الذى شارك فى مظاهرات إسقاط الشاه، أن يعرض علينا صور من تلك الأحداث ويسأل: 'كم دينيًا ترون هنا ؟' كان يقصد أن الدينيين ليسوا هم الذين صنعوا الثورة بل المثقفون. لكننا فقط لم نكن ندرك حجم الخراب الذى جلبناه لأنفسنا."

لم تدُم طويلاً أيام نفيسى فى الجامعة. وانفجر الموقف عندما رفضت نفيسى وزميلاتها ارتداء الشادور (الزى الإسلامى الإيرانى). تقول، إن قمع النساء أخذ يتزايد يومًا بعد يوم: "بإمكانهم أن يعتقلوك وأن يجلدوك ويحبسوك تقريبًا بسبب أى شئ: نظارة شمسية صناعة غربية، المكياج، بلوزات عليها كتابة أجنبية، حتى وإن كانت مخبوءة تحت الشادور. فى كل مرة تظهر فيها فتيات بصحبة شبان فى الشارع يتم توقيفهم فورًا ويُطلب منهم بطاقات الهوية للتأكد من وجود صلة قرابة أو زواج. وإن لم يوجد، فالسوط بانتظارهم. إحدى تلميذاتى جرى القبض عليها وتعرضت للجلد لأنها سُمعت تضحك فى الشارع بصوت عالٍ. لكل مؤسسة رسمية أو جامعة يوجد مدخل جانبى صغير للنساء، وهناك يُفتشونهن. وإذا كانت بشرة إحداهن متوردة بعضَ الشئ، يكشفون وجهها بالقوة، حتى يتأكدوا أنه ليس مكياج."

لم يتردد حرس الثورة فى اقتحام المنازل للبحث عن مشروبات كحولية أو أطباق استقبال البث الفضائى. تتحدث نفيسى عن حملة واحدة من هذا النوع، حدثت فى منزل أصدقاء لها، قبل وقت قصير من مغادرتها إيران، تحكى: "بعض الفتيان ممن لا تتعدى أعمارهم ١٧ عامًا أعدوا حفل عيد ميلاد لصديقهم. حدث ذلك فى الطابق الـ١٨ من بناية شاهقة فى طهران. هاجم حرس الثورة المنزل. فر صاحب المناسبة إلى المطبخ محاولاً الخروج من هناك عبر سُلم الطوارئ. أحد أعضاء الحرس الثورى (الپسدران) ضرب بمؤخرة البندقية على يده فسقط وقتل. سرب أصدقاؤه القصة إلى بيل رويس، مدير صوت أميركا باللغة الفارسية، واضطرت السلطات للرد، بأن هذه المحطة تُبث فى إيران فقط. وادعى النظام أنها زمرة مسمومة الأفكار وأن الشاب قفز من النافذة فلقى حتفه نتيجة نوبة ارتباك وجنون انتابته. وبعد بث الموضوع عبر الراديو استدعوا كل الذين شاركوا فى الحفلة لمعرفة من الذى سرّب القصة. وأجبر جميع الشبان على التوقيع على نموذج يُنكرون فيه أن السقوط نتج عن تصرف رجال الحرس الثورى.

"إنهم يدعون أنهم ينفذون إرادة الشعب، ولكن إذا كان هذا صحيحًا فكيف تُفسر أنه بعد كل هذه السنوات من الثورة ما زالوا ينشرون الوشاة والمخبرين فى كل الشوراع، ويكافحون بقسوة مُفرطة الكحوليات وأطباق الفضائيات. إن إيران ليست كالسعودية. إننا فى الأصل مجتمع ذو صبغة غربية حديثة. ربما لسنا غربيين كالولايات المتحدة وإسرائيل، ولكن بالطبع هو مجتمع له جذور ديموقراطية وليبرالية، ولا علاقة لذلك بشاه أو غيره. وعلى خلاف كل ما يدعونه، فإن جيل الشباب فى إيران ميال أكثر منا بكثير لكل ما هو أميركى. لقد كانت لدينا انتقادات كثيرة لأميركا وتدخلها فى شئوننا الداخلية. أما لدى أبنائى، كلما تعمد النظام تشويه صورة الولايات المتحدة، زاد الاهتمام بكل ما هو آت من هناك: نجوم الروك أو الأفلام، أو الأليكترونيات الغربية. الناس يتقبلون أوامر النظام حرصًا على حياتهم، ولكن إذا دخلتَ إلى منزل إيرانى تقليدى ستكتشف هناك واقعًا مُذهلاً: فالملابس غربية، والموسيقى غربية والتلفزيون غربى. إنها صورة من صور حرب عصابات مدنية: ممنوع امتلاك أطباق بث فضائى، ولكن الجميع يمتلكه. وعندنا فى المنزل أعددنا له مخبأ خاصًا فوق السطح فى قفص الطيور."

قد يُعتبر النظام الإيرانى منارة أمل بالنسبة لحركات التطرف التى تتطلع إلى تطبيق الثورة أيضًا فى بلدان إسلامية أخرى، لكنه لم يحقق ازدهارًا اقتصاديًا لسكان إيران أنفسهم. لقد وعد خمينى بتطبيق الشريعة الإسلامية، وإلغاء القوانين العلمانية وتطبيق الإحكام الشيعية على إيران. وعد ونفذ. تقول نفيسى: "لقد وصلوا إلى مستويات مُدهشة من السخافة بمحاولتهم تقليد الإسلام العتيق. ووصل الخمينى إلى الحكم فمنع استخدام وسائل منع الحمل. أدى هذا الأمر إلى انفجار سكانى فى إيران، أما اليوم فليست هناك أية قيود عقابية حقيقية على استخدام العازل الذكرى. وعثُر الخمينى على فتوى باليةٌ بتحريم أكل بيض الأسماك، فأمر بحظر انتاج الكافيار، حتى اتضح أنه مجال ذو عائد اقتصادى مؤثر للغاية فاضطروا إلى إصدار فتوى معاكسة. هؤلاء الحمقى قرأوا فى

القرآن أن الفائدة حرام، لكن اتضح أن البنوك الحديثة لا يمكنها أن تعمل بدون فائدة، فتراجعوا. يصفون الغرب بأنه امبريالى وفاسد وفى الوقت نفسه يقيمون معه علاقة وثيقة، خاصة مع ألمانيا وفرنسا. أرادوا أن تبقى جميع النساء فى المنازل، وألا يعملن، ولكن اتضح أن الاقتصاد الإيرانى، بكل مجالاته، مرتبط بالنساء فما كان أمامهم خيار سوى تسوية الأمر بصورة أخرى حتى تخرج النساء للعمل. منعوا الموسيقى، لكنهم رأوا أن منعها غير مُؤثر، فأصدر الخمينى فتوى، يسمح فيها بالموسيقى طالما أنها ليست بهدف اللهو !

"لقد أدرك النظام أنه لا يمكنه أن يفرض الإسلام بصورة تامة، سواء بسبب طبيعة الشعب، أو بسبب الضغط من الخارج. وبذلك وُضع فى مواجهة داخلية مع نفسه. يريدون أن يقولوا: لدينا ديموقراطية لكنها ديموقراطية إسلامية. لدينا حقوق للنساء ولكن للنساء المسلمات هم يسمحون بحرية محدودة فى الصحافة، ولكن دون حق انتقاد الهيمنة الدينية. هم يسمحون بجلب ثقافة وآداب غربية. لكنهم يضعونها تحت المراقبة. فى عام ١٩٩٦ أقيم فى طهران مهرجان لأفلام أوليفر ستون. لكن فيلمه عن مقتل كينيدى اختصروه من ١٢٠ إلى ٦٠ دقيقة. وعرضوا فيلم هملت لشكسبير فى التلفزيون، ولكن حذفوا دور أوفيليا بالكامل. وكانت الرقابة تحذف كلمة خمر من الكتب. وحذفوا أى مشاهد حُب. وشكلوا لجنة تحقيق برلمانية لفحص برامج الإذاعة والتلفزيون فوجدوا جرائم بشعة تهدد الأمة خاصة فى برامج الأطفال. واكتشفوا شخصية فيلياس فوج فى رواية 'حول العالم فى ٨٠ يوم' وقالوا إنها تتناول شخصية إنجليزية، وكون القصة تنتهى أيضًا فى لندن، فالغرض من ورائها الترويج للإمبريالية. نفس الشئ بالنسبة لماركو بولو. لقد أهدروا طاقة عظيمة فى مناقشة قضايا عقيمة وحمقاء. وتحدث أحد آيات الله عن ضرورة الفصل بين النساء والرجال أيضًا فى الممرات والأرصفة وحتى فى القنوات التلفزيونية، بمعنى أن تكون هناك قناة يعمل بها الرجال فقط ويشاهدها الرجال فقط، ونفس الأمر بالنسبة للنساء. واحتل هذا النقاش العناوين الرئيسية فى الصحف.

"بدأ هذا النظام بفكرة العدالة ولكنه ظل جامدًا. إنه نظام مُتعفن من الداخل وفاسد كالنظام فى الاتحاد السوفيتى البائد. الحرس الثورى يشربون هم أنفسهم الكحوليات التى يصادرونها ويحاولون إقناع الفتيات اللاتى يعتقلونهن بالخروج معهم. وهناك فصل بين الرجال والنساء فى الحافلات، ولكن فى العربات المزدحمة لا بأس أن يجلسوا فعليًا الواحد فوق الآخر. والكثير من الرجال يستغلون ذلك للتحرش الجنسى بالنساء. وليس للنساء أى حق فى الشكوى ضد رجل. فلا أحد يسمع لهن. كانت لدى طالبة اعتاد زوجها أن يضربها باستمرار، فاشتكت للشرطة ووصلت بالأمر حتى قاضى التحقيق، الذى طلب منها أن تجرى فحصًا طبيًا وتقف على مدى الأضرار التى لحقت بها بسبب هذا الضرب. كانت كل خطوة تخطوها فى أى مؤسسة رسمية يجب عليك أن تدفع رشوة".

ـ فإذا كان كل شئ سئ إلى هذا الحد فلماذا لا يُسقطون النظام ؟ لماذا لايخرج الناس إلى الشوارع كما فعلوا ضد الشاه ؟

الشاه الوريث، رضا كورش يقول: «يريد أن يشرح لى السيد خامينئى الزعيم الروحى، كيف يمكن لمن جُرحت إصبعه أن يشترى أدوات علاجها من السوق السوداء لأن المستشفيات ببساطة لا يوجد فيها، بينما هذا النظام يُرسل عشرات الملايين من الدولارات لبناء مستشفيات لحزب الله فى لبنان. ما هو التفسير الذى يمكن تقديمه لتبرير عدم تزويد المواطن بالخدمات الرئيسية، دون توجيه اتهام للشيطان الأكبر وعقوباته.»

رضا شاه لم يتنازل عن حلمه فى العودة إلى الحُكم فى بلاده. وهو يقوم فى صُحبة بعض أنصار أبيه القدامى بجولة حول العالم لافتًا الاهتمام إلى قضيتهم تحت شعار 'إيران الحرة'. يقول «إن المثقفين الإيرانيين يطلبون التغيير. تلك الأمة التى تضاعف سكانها منذ قيام الثورة. هناك ٣٥ مليون تحت سن العشرين. ٧٠٪ من مواطني إيران تحت سن ٣٥. وهؤلاء جميعًا لهم متطلبات. هل تستطيع الثورة أن تُلبى هذه المتطلبات ؟ إننا نعيش الآن مرحلة تطور سياسى، ستؤدى فى نهاية المطاف إلى انهيار الأسلوب الحالى.

«ويواجه النظام أكثر من مشكلة، ولا يمكنه التعامل معها. إنهم يدركون أنها قنبلة موقوتة. ففى إيران مطلب مُلح بمكافحة التضخم، ومطلب بإيجاد حلول لأزمة الإسكان. فالأطفال الذين يدخلون اليوم سوق العمل هم فى مستهل العقد الثانى من أعمارهم. ولن ينتظروا فى هذه المعاناة حتى يجد النظام مصدر رزق لهم. ما الذى سيفعله آيات الله، هل سيطلقون عليهم النار ؟ لن يتمكنوا من إطلاق النار على عشرة ملايين شخص. كما أنهم لن يستطيعوا إغلاق الأبواب بصورة تامة. والشباب اليوم لا ينظرون إلى أميركا باعتبارها الشيطان الأكبر بل الملاك الأكبر. وأنا على ثقة أن الأيام الأفضل قادمة.»

هل ستأتى هذه الأيام بالفعل ؟ وهل هذا التفاؤل للملك الذى ما جلس على عرشه يمكن الاعتماد عليه ؟ فكلام الشاه الابن عن الوضع الداخلى فى إيران تُثير سؤالا بسيطا: إذا كان الأمر سيئًا إلى هذه الدرجة، وإذا كانت ثورة الخمينى لم تنجح فى تحسين مستوى المعيشة للإيرانى المتوسط، فلماذا تبقى كل هذا الوقت ؟

يقول كذلك راؤول جرافت، الذى كان مسئولا عن شبكات عملاء السى. آى. آه. فى إيران فى التسعينات؛ «حتى زعماء النظام الإيرانى يصعُب عليهم اليوم تعريف ماهو مضمون الثورة، فى البداية زعم آيات الله أنهم يمثلون نقطة تحول تاريخية، لخلق الإنسان

المسلم الجديد. لا بأس، إذن فهذا الإنسان هو اليوم أقل إسلامًا وتدينًا بكثير عما كان عليه فى ١٩٨٠. وفى البداية تحدثوا عن تصدير الثورة إلى دول أخرى. والمكان الوحيد الذى نجحوا فيه، على حسابكم وبدرجة كبيرة بسببكم، هى لبنان.

«مشكلات النظام واضحة للعيان منذ زمن. ليس هناك لقمة عيش، ليس هناك مستوى معيشة لائق، هناك مشكلات كهرباء ومياه. الحافلات لا تسير كما ينبغى. وفى هذا الوضع يمكن أن تخرج الأمور بسرعة عن السيطرة. يفهم خامينئى ورفاقه كل هذه الأمور. يعلمون أنهم فى تراجع كبير ويتذكرون أنه كان من الأسهل لهم القضاء على الشاه. وهذا هو السبب فى أنهم يهاجمون الماضى: يقتلون منفيين إيرانيين لمنع وجود هذا الخيار، يحكمون بالإعدام على المزيد من الأشخاص ويُديرون حربًا خاسرة ضد أطباق البث الفضائى والإنترنت.»

نفيسى بلا شك أحسنت صُنعًا بتوضيح الأهوال اليومية فى إيران الثورة، ولكن من الصعب اعتبارها ممثلة حقيقية للإيرانى المتوسط، ومن الصعب اليوم أكثر من أى وقت مضى، الاعتماد على تفاؤلها تجاه الانهيار الحتمى للثورة. فما بالك، عندما يتعلق الأمر بابن الشاه أو بمراقب من الخارج مثل جرافت. فإلى جانب الإرهاب السياسى يستخدم النظام الإيرانى بنجاح باهر وسائل متقدمة لقمع أية إرهاصات محتملة لثورة أخرى ولكسر مشاعر الإحباط لدى المواطنين، ويسمح لتيارين سياسيين مختلفين بالعمل بشكل قانونى وشرعى - الإصلاحيين والمتشددين. وهنا يجب التأكيد أن الإصلاحيين أيضًا على ما يبدو موجودون فى قلب التيار الرئيسى للثورة، ولا يرفعون راية العمل ضد النظام لكن على أقصى تقدير يحاولون أن يجعلوه ملائمًا لروح العصر. وجوهر الخلاف بين التيارين ليس على السياسة الخارجية، بل على مبادئ اقتصادية واجتماعية. هذه اللعبة الديموقراطية، التى توقفت فى الانتخابات البرلمانية والرئاسية ولم تمس الهيمنة الحقيقية التى يتمتع بها الزعيم الروحى، خليفة الخمينى، توفر للشعب الإيرانى على الأقل مشهدًا وهميًا بالتحكم فى مصيره.

والواقع أنه منذ بداية الثورة يتحرك البندول بين المحافظين والإصلاحيين. وفى كتابه 'إيران من الداخل' أشار البروفيسور دافيد منشرى إلى أن الخمينى فضّل فى البداية أن يضع على رأس السلطة التنفيذية شخصيات من غير رجال الدين. ولكن فى عام ١٩٧٩، وبسبب السياسة المعتدلة نسبيًا لرئيس الوزراء مهدى بازرجان، تبنى معارضوه نظرية الرهائن الأميركيين وفرضوا على الدولة اتجاهًا أكثر تشددًا. وعندما اعتمد أيضًا الرئيس الصدر سياسة ليبرالية نسبيًا، اضطر للفرار إلى المنفى. ومنذ نصّب رجال الدين أنفسهم على رأس السلطة التنفيذية، اضطروا هم أيضًا إلى عدم الالتزام مباشرة بسياسة براجماتية أكثر من اللازم. ووصلت المهادنة إلى ذروتها عام ١٩٨٥ (وكان من تجلياتها التجارة مع إسرائيل والولايات المتحدة فى قضية 'إيران جيت') فأدت إلى موجة أخرى من التشدد. ومنذ ربيع ١٩٨٨ نلمس اتجاهًا براجماتيًا مُتجددًا، كانت أبرز مظاهره قبول وقف إطلاق النار فى الحرب مع العراق (يوليو ١٩٨٨)، وبلورة مبادئ سياسة الاصلاح الاقتصادى (خريف ١٩٨٨)، واتجاهًا ليبراليًا نسبيًا مع الاحتفال بالعقد الأول من الثورة (ربيع ١٩٨٩). كل ذلك أدى إلى موجة تشدد أخرى، تمثلت فى إبعاد آية الله منتظرى (٢) عن خلافة الخمينى وصدور فتوى ضد الكاتب سلمان رشدى.

بصفة عامة، كلما بقيت الأمور تحت السيطرة لا يعترض حكام إيران على مواجهة بين محافظين ومعتدلين. من ذلك، ماقاله، على سبيل المثال خامينئ: «إننا نؤمن أن وجود كتلتين تؤمنان بالشريعة يخدم النظام... وهما يؤديان كجناحين متلازمين كى يُحلق الطير... والذين يعتقدون أن الأصولية والتوجه الإصلاحى هما على طرفى نقيض يخطئون خطأ جسيمًا... فالطريق الوسط والموقف الصحيح هو الاتجاه المحافظ الإصلاحى.»

بالإضافة إلى ذلك تبنى النظام فى طهران سياسة التساهل والانفتاح المُتناهى مع الانتقاد الداخلى، على الأقل بالنسبة لغالبية أشكال الانتقاد، الأمر الذى عرقل فكرة المعارضة السرية على المدى الطويل. ومن الحالات التى اختُبرت فيها حدود تسامح النظام فى طهران أمام تصريحات معارضة من الداخل كانت حالة سيد أحمد خمينى، ابن الإمام. وكان خمينى الابن من بين المنادين فى منتصف الثمانينات إلى الحوار بين إيران والولايات المتحدة وإسرائيل. وكان رئيسًا لمكتب والده ولم يخف رغبته فى خلافته.

بعد أن خسر خامينئى معركة السلطة دعا إلى فض وتعيين مجلس استشارى (شورى) بروح إسلامية. فى مارس ١٩٩٥ أعلنت وسائل الإعلام الإيرانية أن الابن مات بسكتة قلبية، وهو فى عمر الخمسين. ورثاه ابنه حسن، بالقول: «لقد أخذت معك أسرار خطيرة إلى القبر.» وقال أيضًا إن والده مات مسمومًا على أيدى عملاء الاستخبارات التابعة للحرس الثورى. دُفن أحمد الخمينى بجوار والده الإمام فى مقابر حُجة الزهراء جنوب طهران. بعد موت سيد أحمد خمينى نُشرت مقابلة أجريت معه قبل أسابيع من موته وفيها نقد لاذع للسلطات. قال سيد خمينى إن والده أراد إنهاء الحرب مع العراق بالفعل عام ١٩٨٣، بعد ما نجحت القوات الإيرانية فى التغلغل داخل العراق، لكنه قوبل بالرفض من كبار المسئولين فى المؤسسة العسكرية ورافسنجانى.

فى مايو ٢٠٠٦، فى مقابلة أدلى بها الحفيد حسن بمناسبة الذكرى الـ ١٧ لموت الإمام؛ قال إن الحكم الحالى فى إيران هو «نظام استبدادى لرجال دين يتحكمون فى كافة مجالات الحياة». ودعا إلى تدخل خارجى لإسقاطه، وقال الخمينى الحفيد إن خليفة جده،

على خامنئى، يفتقد المؤهلات الدينية المطلوبة للمنصب. وأشار قائلاً: «ثورة جدى أكلت أبنائها وحادت عن طريقها، لقد عشت الثورة، وكانت تنادى بالحرية والديموقراطية، إلا أنها طاردت زعمائها... يجب أن تُقام الحرية فى إيران بأية طريقة كانت، وليس هناك فرق إن كانت هذه الحرية تتحقق كنتيجة لتطور داخلى أو تدخل خارجى. وإذا كنت سجينًا، ماذا كنت سأفعل؟ مصلحتى أن يأتى شخص ما ويكسر السجن.» وها هو التسامح الذى رُفع شعارًا للثورة قد انتهى. فبعد هذه المقابلات المثيرة للضجة فُرضت على الخمينى الحفيد رقابة مُشددة ومُنع من مقابلة وسائل الإعلام.

***

كان السر الآخر لبقاء النظام هو غياب البديل، فى الداخل والخارج على حد سواء. لنأخذ، على سبيل المثال، أسد خومايون، نائب وزير الخارجية الإيرانى أيام الشاه، الذى يجلس فى مكتبه الصغير فى واشنطن ويشبك أصابعه فى يأس. وفيما عدا لقاءات موسمية مع زملائه السابقين فى النخبة الحاكمة من النظام الإيرانى السابق، وإصدار نشرة شهرية والقيام ببعض الإجراءات الاحتياطية خوفًا من تعرضه للاغتيال، هناك شك كبير فى مجيئهم، ليس لديه ما يفعله. خومايون يدرك أنه إذا نجح نظام آيات الله فى الحصول على سلاح نووى، فإن احتمالات الثورة المضادة التى يتمناها ستتضاءل. يقول: «فى أوكرانيا يُغلقون المفاعلات، بينما فى بلادى يُنفقون أموالاً طائلة على تكنولوجيا تنطوى على مخاطر. وبمجرد أن يحصلوا على القنبلة، سيحتلون الصدارة فى الخليج الفارسى، وسيكتسبون الحصانة من أى تدخل عسكرى للغرب وسيحصون على شهادة ضمان للنظام لسنوات طويلة أخرى.»

النظرية الواقعية التى يقول بها خومايون تبدو كالسلعة الشحيحة. وأثناء التحضير للكتاب التقيت، بالإضافة لابن الشاه، مهاجرين إيرانيين كثيرين، منهم أصحاب رؤوس أموال ومكانة. واستمعت إلى نبوءات لا حصر لها حول السقوط الوشيك للنظام، وحكوا لى عن خطط سرية لمكائد سياسية ستؤدى إلى ديموقراطية إيرانية. سمعت أيضًا قصصًا عديدة وفظيعة عما يحدث فى إيران الآن والتقيت مع ما لايقل عن عشرة شهود مستعدين أن يُقسموا أنهم قابلوا رون آراد فى أحد سجون طهران. بعض جماعات المعارضة لديها صحف، وقوائم توزيع بالإميل وتجمعات للنشطاء، وحتى بعض محطات الإذاعة، يعمل جزء منها بالتنسيق مع 'صوت إسرائيل بالفارسية'. وجمعية 'وُلد حُرًا' التى تأسست لكى تُقدم جائزة قيمتها ١٠ مليون دولار باسم رون آراد استخدمت هذه المحطات، المتمركزة فى أغلبها على الساحل الغربى للولايات المتحدة، لنقل الرسالة إلى المستمعين الإيرانيين.

جهد كبير تبذله كل هذه الجماعات المعارضة. لكنها لم تنجح فى التوحد تحت مظلة واحدة، ومع كل ذلك لديها عنصر مشترك واحد: ٢٧ عام على الثورة ويبدو أن حتى أعضائها يعلمون جيدًا أن الأمل ضعيف فى مواجهة نظام آيات الله. يعلمون ومُحبطون.

وبخلاف جماعات المعارضة حاولت على مدى سنوات أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، والأميركية، العراقية والسوفيتية إسقاط النظام الثورى فى إيران. فشلت المحاولة السوفيتية لأن السى. آى. آه. سرّبت إلى الاستخبارات الإيرانية أن الروس يقفون وراء اتصالات كيدية مع حزب 'تودا' اليسارى للسيطرة على السلطة. وقتل الإيرانيون أكثر من مائتى عضو بالحزب بل وكشف عن ضباط كبار كانوا على اتصال بوكالة الاستخبارات السوفيتية (كيه. جيه. بى.). أما محاولات إسرائيل والولايات المتحدة والعراق فقد استمرت وقتًا طويلاً وجميعها، دون استثناء، فشلت. كانت آيات الله، حتى فى هذه الحالة، أكثر ذكاءً. كان صدام حسين هو أول اليائسين. بعد ذلك استسلم أيضًا الأميركيون. كانت الولايات المتحدة تأمل فى أن تأييدها لعناصر معتدلة مثل رافسنجانى (الذى اعتُبر آنذاك معتدلاً) سيُساعد فى تفتيت النظام المتعصب من الداخل.

وبقيت إسرائيل. استمر أورى لوبرانى لسنوات طويلة فى تحويل أموال من وزارة الدفاع لتشجيع جهات اعتقد أن لها تأثير على إستقرار النظام. كانت الجهة الأولى والأهم محطة إذاعة 'صوت إسرائيل بالفارسية'، تحت إدارة منشيه أمير. وكان المستهدف أن تحدث هذه الإذاعة تأثيرًا شديدًا على إيران، وأدت برامج كثيرة بثتها إلى مسارعة السلطات الإيرانية بإصدار بيانات مضادة، فى محاولة لدحض ادعاءات أمير حول تدهور الوضع الاقتصادى والاجتماعى هناك. إلا أنه بالرغم من النجاح الملحوظ الذى حققته صوت إسرائيل بالفارسية، فإن الثورة المضادة لم تحدث.

***

ومع كل الصراعات التى نشبت بين المتشددين والمحافظين (٣) فى قضايا مختلفة كان هناك اتفاق حول موضوع واحد ـ إسرائيل. فالمعسكران يتعاملان مع إسرائيل كصورة لدولة تثير الاشمئزاز. تقريبًا فى كل مناسبة، فى خطب للأمة، وفى مقالات بالصحف (محافظة وإصلاحية على حد سواء) وفى مقابلات مع ممثلين أجانب، يتم التعبير عن كراهية إسرائيل، وأحيانًا يجرى الحديث حول الفرق بين اليهودية والصهيونية. والشعار الذى كان ومايزال مرفوعًا «إسرائيل يجب أن تمحى من الوجود». كذلك الاختلافات السياسية فى الشرق الأوسط خلال التسعينات لم تُغير بأى حال الخط الرسمى للنظام.

مع انعقاد مؤتمر مدريد رأت إيران أن عليها واجبًا مقدسًا يتمثل فى قيادة جبهة الرفض لأى حوار من أى نوع مع إسرائيل، بعد انسحاب سوريا وليبيا والعراق من اللعبة (هكذا بدت الصورة على الأقل فى تلك الفترة). صرح الزعيم الروحى خامينئى فى ٣٠ كتوبر ١٩٩٢ أن «هؤلاء المشاركين فى هذه الخيانة (عملية السلام) سينزل عليهم غضب الله». وحسب ما يراه أقطاب النظام الإيرانى فإن، فلا مكان فى النزاع مع إسرائيل لأية تسوية. ذلك أنه صراع بين أبناء النور وأبناء الظلمة، ويجب على كل مسلم أن يشارك فى هذه المعركة. واستخدم الرئيس الإيرانى رافسنجانى مرات عديدة التعبير الذى يكرره باستمرار الزعيم الدينى خامنئى وعشرات التعبيرات التى يستخدمها قادة النظام فى إيران: «إسرائيل هى كالسرطان فى جسد العالم الإسلامى». وأضاف إليها خامنئى بعد وقت قليل عبارة: «هل يمكن القضاء على إسرائيل بقوة القرارات؟ إن إسرائيل لن يُقضى عليها إلا بالقوة، وبالسلاح وبالضربة القاضية.»

بالإضافة إلى التصريحات الحادة ضد إسرائيل لم يخلُ الأمر أيضًا من عبارات وكتابات مناوئة لليهودية. وكانت برتوكولات حكماء صهيون تحتل مكانة مركزية فى الكتابات المعادية للسامية التى تصدر فى إيران. وعلى موقع الإنترنت www.yahoo.com يكررون اتهام اليهود باستخدام الدم البشرى فى طقوسهم الدينية. ويدّعون على الموقع أن التاناخ (أو التوراه) "أقل ما يقال أنه نتاج شعوب أخرى". وماهو إلا كتاب وضعه يهود مجهولون. "الرب يظهر فى التناخ كشخصية استثنائية، تشبه الإنسان: له شعر، وملابس، وله يدان، وقدمان ونفس حية. الأنبياء يظهرون كأناس أوغاد، يأتون بأفعال لا تتناسب مع وضعهم." وفى برنامج وثائقى عنوانه 'السيطرة على العالم' تم استعراض الأعمال السياسية و'الإرهاب الدولى'، الذى طبقه اليهود للسيطرة على العالم، من إنشاء الحركة الصهيونية وحتى اليوم.

كذلك استخدام قضية الكارثة النازية سلوكًا ذائعًا. وأشارت جريدة 'إيران ديلى' المحسوبة على تيار الإصلاحيين فى مقال هيئة التحرير إلى أن "يهود صهاينة كثيرون... يسلكون نفس الطريق... الذى سلكه النازيون قبل نصف قرن... صحيح ليست هناك معسكرات تجميع ولا أفران غاز فى الضفة الغربية... لكن الجيش الإسرائيلى يعتمد تكتيكات نازية، سبق وطبقت فى جيتوهات وارسو، بكل قسوتها ضد مخيمات اللاجئين الفلسطينيين."

ورغم التصريحات الحماسية ضد إسرائيل حرصت إيران على إدانة الإرهاب بشكل رسمى، واعتبرت الاتهامات الموجهة ضدها بهذا الشأن مجرد مؤامرة صهيونية – إمبريالية. وعلى حد إدعائها، فإن المسلمين هم ضحايا الإرهاب، وليسوا مُنفذيه. لكن بالمقابل حسنت إيران استغلال وضعها كتهديد للغرب وإسرائيل كحجر زاوية فى المشهد الثورى. وبهذه الروح قال آية الله حمد جنتى، أحد أقطاب متشددي الخمينى عام ١٩٩٢: "يقول الأميركيون طوال الوقت إن إيران تشكل تهديدًا ونحن سعداء إذ نعلم أننا نمثل تهديدًا لأعدائنا. فيجب علينا ألا نخشى الإفصاح عن نوايانا." وقال جنتى أيضًا إن إيران بعثت بعملاء حول العالم من أجل "الحرب العالمية الثالثة"، المتوقعة بين الإسلام والغرب. وتنبأ بأن القرن الحادى والعشرين، سيكون "قرن الإسلام".

إلا أنه حتى هذه الصورة لها وجه آخر. كان الخوف من إيران أو ما عُرف بإيرانفوبيا، وتجلى بشكل واضح عندما ضمها الرئيس الأميركى بوش خلال خطابه الشهير فى ٢٩ يناير ٢٠٠٢ إلى 'محور الشر'، خوفا طبيعيًا ومفهومًا. ولم تقصر إيران فى كل ما من شأنه تبرير هذا الخوف. ومع ذلك، فقد تعامل سياسيون وعسكريون غربيون بهلع شديد مع إيران من أجل صرف الانتباه عن قضايا أخرى. وتحول 'الإرهاب الإيرانى' فى السنوات الأخيرة إلى سلاح فتاك فى الصراعات الداخلية فى إسرائيل. وأبرز أمثلة ذلك حدث قبل انتخابات الكنيست عام ١٩٩٦. فقد ادعى شمعون بيريز، مرشح حزب العمل على منصب رئاسة الوزراء، فى أول ظهور علنى له، أن الحكومة الإيرانية تقود حملة إرهابية فى محاولة لإسقاطه. ويُشبه تكتيك بيريز هذا بدرجة كبيرة موقف إسرائيل التقليدى تجاه خسائرها الكبيرة فى لبنان. فلكى يتم امتصاص فداحة الخسائر يجب أن يكون العدو له ثقل. لقد فضلت إسرائيل دائمًا القول إن المواجهة فى لبنان هى مع دولة (إيران) فى الواقع وليست مع مجموعة صعاليك محليين حتى لا تكون موضع سخرية. عندما وضع بيريز إيران على رأس كارهي إسرائيل بصفة عامة، وحزب العمل بصفة خاصة، سهّل عليه الأمر تجنب الصعاب فى العملية السلمية والوضع فى مناطق السلطة الفلسطينية، التى خرج منها مُنفذو الهجمات التابعين لحماس فى الوقت ذاته.

حصل بيريز على موافقة الاستخبارات فى أعلى مستوياتها. وأثناء عملية "عناقيد الغضب" قال أيضًا رئيس شعبة الاستخبارات فى الجيش الإسرائيلى لواء موشيه يعلون، لمراسلين عسكريين، إن إيران معنية بإسقاط حكومة العمل. واتهم زعماء الليكود بيريز، رئيس الحكومة ووزير الدفاع فى الوقت نفسه، باستغلال قيادات الجيش الإسرائيلى وتوريطهم فى قضايا سياسية. وسعى حزب العمل إلى استغلال تصريحات يعلون واعتزم ربط شعار 'إيران تناصر بيبى' بحملته الانتخابية. بيريز، بالمناسبة، يؤمن بذلك حتى اليوم. وعشية الانتخابات قال "كانت لدينا معلومات واضحة للغاية أنهم قرروا إسقاط الحكومة ووقف عملية السلام. لقد أعطونا أدلة، لقد حولوا أموالا، ضغطوا على حزب الله لإشعال لبنان. وبعد أن خسرنا الانتخابات نما إلى علمنا من مصادر مختلفة

أنهم احتفلوا بذلك فى طهران."

إلا أن وثائق شعبة الاستخبارات عن نفس الفترة تكشف صورة مختلفة المضمون. فى إيران ربما لم يحزنوا لفوز نتانياهو، ولكن الاستخبارات الإسرائيلية لم يكن لديها أى دليل على أنها وقفت بالفعل وراء موجة تفجيرات فبراير - مارس الدامية ١٩٩٦، التى نفذتها حماس. هذا التقييم الذى كان معروفًا لكثيرين دفع ببعض وسائل الإعلام للتسرع باتهام وزير الاستخبارات الإيرانى بالتآمر.

تحولت إيران إلى الشرير الرئيسى فى نقاشات كثيرة فى إسرائيل، ليس فقط حول انتخابات ١٩٩٦. وفى أعقاب أى عملية إرهابية فى العالم تسارع إسرائيل إلى توجيه أصابع الاتهام إلى اليد الطويلة لإيران، حتى لو اتضح بعد وقت قصير أنها لم تكن متورطة فيها بالمرة. مثال ذلك حادث إسقاط طائرة بان آم فوق لوكيربى عام ١٩٨٨، الذى حاولت إسرائيل أن تتعسف وتُلصقه بإيران، غير أن سى. آى. آه. قررت أن المسئولية تقع على ليبيا، وكذلك فى حادث أوكلاهوما عام ١٩٩٥. ومن وجهة نظر إيرانية على الأقل، فإن بعض هذه الاتهامات، فى التوقيت الذى طرحت فيه، كان الهدف منها خدمة مصالح سياسية داخلية فى إسرائيل أو محاولة وزارة الدفاع الإسرائيلى الحصول على ميزانيات أكبر.

لا شك أن إيران كانت ومازالت متورطة فى الإرهاب الدولى، إما بشكل مباشر فى عمليات تخريبية أو بتشجيع وتأييد لوجيستى للمنظمات المتطرفة. ارتياب الإيرانيين بشأن الدعاية الموجهة التى استهدفت مزيدًا من التشويه لدولتهم لم يأت من فراغ. ففى أكتوبر ١٩٩٩ نشرت صحيفة هاآرتس فى عنوانها الرئيسى أن "وزارة الدفاع سربت فى وسائل الإعلام مادة إعلامية ضد إيران". فى قسم المعلومات كشف المراسل السياسى للصحيفة، ألوف بن، عن أن جهات أمنية استخدمت وسائل الإعلام الإسرائيلية لبث مواد إعلامية مصنوعة لوحدة المواجهة النفسية (التى تعرف مهنيًا بوحدة حرب المعلومات)، تم تسريبها قبل ذلك إلى صحف عربية. ومعظم هذه الدعاية والتصريحات انصبت على خطورة التهديدات الإيرانية. وفى حالات معينة كان الضباط يضغطون على المراسلين لنشر المعلومات. وقال أحد كبار الضباط لصحفى: "من المهم أن تنشر هذا الخبر، فأنا أقول لك إنه حقيقى. أنا أعرف، لأننى سلمته بنفسى للصحيفة." ويقول الصحفى نفسه إن الضابط الكبير تبجح فى وجهه مشيرًا إلى أن وحدته تُسرب بانتظام معلومات وأخبار إلى صحيفة 'الوطن العربى'، التى تصدر فى باريس وإلى صحيفة 'فورن ريبورت' اللندنية، وكانت 'الوطن العربى' كذلك هى القناة التى عن طريقها نشر يتسحاق مردخاى خطته للانسحاب من لبنان عام ١٩٩٧. وقد نُقلت هذه المادة إلى الصحيفة عبر مسئول كبير فى وزارة الدفاع، كان يدير شبكة علاقات واسعة مع محرريها.

لم تكتف إسرائيل بهذه المناورات الثمينة، بل أرسلت رسائل تهديد إلى إيران بصورة علنية. فى جلسة الكنيست فى ٢٠ يناير ١٩٩٣ طالب عضو الكنيست إفرايم سنيه من الكنيست إدراج 'الخطر الإيرانى، وبخاصة النووى، على جدول الأعمال.' وفى ديسمبر ١٩٩٤ قال اللواء عوزى ديان (كان وقتها رئيس شعبة التخطيط بالجيش الإسرائيلى) خلال محاضرة مفتوحة إن "طفرة قوية فى القدرات النووية لإيران والعراق من شأنها أن تقود إسرائيل إلى النقطة الحتمية لاتخاذ قرار قبل أن ينتهى عام ١٩٩٥." ومع وصول طائرات الإف ١٥ آى، فى يناير ١٩٩٨، توالت التصريحات فى وسائل الإعلام الإسرائيلية حول استطاعتهم الوصول إلى إيران وأن لديهم الرد على التهديد النووى. وذهب عضو الكنيست أفرايم سنيه أيضًا إلى مدى أبعد باقتراحه منذ سبتمبر ١٩٩٨ بتوجيه ضربة وقائية إلى إيران، لمنعها من امتلاك قدرة نووية.

الرد الإسرائيلى على إيران، الذى اتسم غير مرة بالهستيرية، تحول، على الأقل فى بضعة مرات، إلى نبؤة تسعى إلى التحقق. من ناحية إيران، فالخطوات العدائية من إسرائيل - مثل الإضرار البالغ بالمفاوضات الاقتصادية بين إيران وأوربا، وتصفية عباس موسوى وخطف الديرانى وعُبيد - أدت، دون أى مبرر منطقى إلى التصعيد بالاتجاه المعاكس. كذلك حالات لم يكن فيها على ما يبدو تدخل إسرائيلى - مثل قتل أربعة دبلوماسيين إيرانيين فى لبنان عام ١٩٨٢، أو تشدد السياسة الأمريكية تجاه إيران - اعتُبر بمثابة إعلان حرب إسرائيلى على طهران. إسرائيل، كما يعتقد هؤلاء المؤمنون ببروتوكولات حكماء صهيون والمروجون لها، تستنفر الغرب، وخاصة الولايات المتحدة، ضد إيران.

البروفيسور دافيد منشرى، الخبير الإسرائيلى البارز فى شئون إيران، انتقد بشدة سياسة الحكومة الإسرائيلية تجاهها. وهو يقول، ليس واضحًا من التصريحات الإسرائيلية العلنية إن كانت إسرائيل تعارض وجود النظام الإسلامى فى إيران بحد ذاته، أم تعارض فقط سياسته المعادية لها. وليس واضحًا هل التصريحات الإسرائيلية المستفزة تزعج حقًا النظام الإيرانى بأى حال من الأحوال. من زاوية واحدة على الأقل فإن تركيز إسرائيل على تهديد إيران يخدم النظام الثورى: إنها تُثبت أن إيران دولة مهمة بالفعل وأنها ناجحة فى تخويف إسرائيل. ويعتقد منشرى، أن السياسة الإسرائيلية المعلنة تركز فقط على التلويح بالعصا، لكنها لا تُقدم للإيرانيين خيار الجزرة. فإذا كانت إسرائيل معنية بتغيير السياسة الإيرانية، كان الأجدى أن تؤكد بالتحديد على المزايا التى سيجنيها الشعب الإيرانى فى هذه الحالة، وليس فقط التهديدات.

البروفيسور منشرى، ورغم انتقاده هذا، لا يشك فى عداء إيران الثابت لإسرائيل وتورطها فى الإرهاب الدولى. لكن تلميذه د. حاجى رام، ذهب إلى أبعد من ذلك بكثير. ففى عام ١٩٩٦ هاجم بضراوة المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية، بما فى ذلك، معلمه وأستاذه البروفيسور منشرى. وتحول إلى أفضل مدافع يهنئ آيات الله أنفسهم عليه، إذا كان الأمر يهمهم أصلا. وعمدت عناصر أكاديمية كبيرة أخرى، هاجمهم رام بشدة فى مقابلة صحفية، إلى ممارسة ضغوط لإبعاده عن السلك الأكاديمى. وفى نهاية المطاف لم يفقد وظيفته، لكن الهجوم السافر عليه لم يزده إلا إصرارًا على آرائه. تلك الآراء التى أصدرها فى كتاب عام ٢٠٠٦ بعنوان ـ لنقرأ عن إيران فى إسرائيل.

ويقول رام فى العناوين الفرعية إنه "منذ ثورة ١٩٧٩ يدور تيار الجدل الإسرائيلى عن إيران حول صور مشوهة، ومغلوطة وساذجة، يتم غرسها فى أجهزة التوجيه الدعائية وصناعة الوعى فى إسرائيل. هذه الصور تخفى مكونات القضايا السياسية المتصلة بإيران وتصمت عن ميزات مهمة فى تاريخها فى العصر الحديث. الدليل على ذلك يبرز من استعراض الانتخابات الرئاسية فى إيران فى يونيو ٢٠٠٥. ففى عمليتين انتخابيتين متتاليتين انتخبت الأغلبية الساحقة فى إيران رئيسين لم يتوقع أحد فى الداخل أو الخارج فوزهما. الشئ الوحيد الذى أزعج المحللين هو ما إذا كانت نتائج الانتخابات جيدة أم سيئة بالنسبة لنا وللغرب عمومًا. أما السؤال عما إذا كانت جيدة للإيرانيين أم لا فلم يُطرح للنقاش أصلا. وهذا النوع من العنصرية المتطرفة تحجب دائما النظرة الإسرائيلية لإيران وتتسبب فى العمى، الذى لا أقول إنه يفضى إلى جهل كبير، بل إلى ما هو أخطر من ذلك، إلى انحراف مُتعمد عن كل ما يتصل بالطرف الآخر."

وقارن رام بين الثورة الإسلامية فى إيران والثورة الصهيونية. "الأسطورة الشيعية التقليدية عن عودة الإمام الثانى عشر فى آخر الزمان ومجئ الخلاص معه قد وجدت لتشجيع ونصرة الغايات السلبية. وهذا لا يختلف كثيرًا عن يهودية المنفى. والتحولات التى طرأت على الصهيونية هى كتلك التى حدثت للشيعة: عدم الانتظار حتى يصبح العالم مليئًا بالشر. ليس أمام المجتمع من وسيلة أو طريق إلا القبض على مصيره بيديه. فقط العمل الثورى فى إيران أو العمل الاستيطانى فى أرض إسرائيل بفضل اليهودى المحارب هو نفسه الذى سيُمهد الطريق لمجئ المسيح أو 'المهدى'، بلسان الشيعة. وعندما استخدم بن جوريون إشارات ولغة الخطاب المعروفة لدينا كان هذا طبيعيًا، ولكن عندما فعل الخمينى الشئ نفسه، بدا ذلك لنا غير مفهوم بالمرة. خذ مثلا، موضوع موت الشهداء أو أولياء الله أو القديسين. فى الشيعية هو نفسه الإمام الثالث، الحسين بن على بن عم النبى محمد، وما لقيه فى كربلاء، كما هو الحال مع بر كوخفا الذى دعا إلى الانعتاق، واحتل مكانة ذات أبعاد وهمية فى الثقافة الصهيونية الجديدة.

"النظرية المعاكسة لما أطرحه تعتبر الإسلام حركة جامدة وغير قابلة للتغير. ونفس هؤلاء الخبراء يعتقدون أننا سنجد كل إجابات الظواهر الحالية فى القرن الأول للإسلام. المشكلة عندنا تكمن فى انعدام الرغبة فى التعرف على الآخر، وعلى المكونات التاريخية والثقافية الخاصة به. لا يعنى ذلك أننى أدافع عن الثورة الإيرانية على طول الخط. إننى اعتقد أن نشاط وسياسة النظام الإسلامى فى إيران لا يندرج بالضرورة تحت شعار إنسانى خالص. لقد كانت هناك دائما نظرة قاصرة وثابتة تسيطر على تفكيرنا تجاه الإسلام، تربطه بالتطرف والتعصب وبالتالى لن نفهم الآخر إلى الأبد."

ـ ماذا لو امتلكوا سلاحًا نوويًا، ألا يكون ذلك سببًا كافيًا وجيدًا لأكون عصبيًا ؟

« لا شك أن إيران تبذل كل ما فى وسعها ـ ولست واثقًا أنها تستطيع بالفعل ـ لإمتلاك سلاح نووى. ولأن نظرتنا لهم تعتبرهم متعصبين، فإننا نخشى أن يستخدموا هذا السلاح. وبتحليل مُتزن يمكنك أن تفهم أنهم ليسوا مختلفين عن بقية البشر. من الواضح أنهم لن يغامروا بذلك، لأن الأمر يعنى نهايتهم أيضًا. وفى نهاية المطاف، قد يبدو الأمر غريبًا للبعض، فأهم ما يشغل حكام طهران هو مصلحة الدولة. كذلك فإن الزعامة الإيرانية 'الفظيعة' على حد يبدو لها، تدرك أن وجودها فى السلطة يرتبط بالخبز الذى عليهم توفيره للشعب الإيرانى، وليس بقنبلة نووية. ويغيظنى دائما أنه عندما يعمل إسلامى راديكالى طبقًا لسياسة حقيقية واضحة يوصف بأنه براجماتى. فكل ما فعله رافسنجانى ضد الأفكار الصارمة ومتشددة اعتبره الباحثون انحرافًا عن النموذج التقليدى الذى تعودوه. ألم يفعل ذلك عبد الناصر ؟ ثم.. لقد أعاد بيجن سيناء وأعاد ديجول الجزائر.»

ـ كثيرون فى إسرائيل، من بينهم سفير إسرائيل السابق لدى طهران، أورى لوبرانى، يعتقدون فى ضرورة استغلال الوضع الاقتصادى الصعب فى إيران والمساعدة، بمختلف الوسائل، فى إسقاط هذا النظام المتشدد. من ذلك على سبيل المثال، صوت إسرائيل بالفارسية التى تبث على مدار اليوم أخبار عن صعوبة الحياة فى إيران، وتحظى بثقة كبيرة بين الجمهور هناك. ربما سيكون أفضل لليهود إذا قصّرنا عُمر هذا النظام ؟

«ما هذا الأفضل لليهود ؟ إنها نظرية امبريالية فظة تمامًا. إن التدخل الإسرائيلى الواسع فى إيران فى السابق، بما فى ذلك إنشاء السافاك (جهاز الشرطة السرية)، يُفسر العداء الشديد من نظام الخمينى لإسرائيل منذ عام ١٩٧٩. أنا لا أقول إنهم كان يمكن

أن يكونوا أصدقاء لنا، لكن ربما غيّر ذلك من ميزان الكراهية. لو تدبر السيد لوبراني قليلاً فى ما يحدث للدول عندما تتدخل فى شئون دول أخرى وردة الفعل التى يجلبها هذا الأمر. راجع ما حدث فى لبنان. وماذا عن صوت إسرائيل بالفارسية ؟ لقد رأيت الصورة بأم عينى: يجلس الإيرانيون بعد الظهيرة ليرووا ظمأهم بكلام منشيه أمير (مدير صوت إسرائيل بالفارسية) ويُدخنون الشيشة، وهو يدعوهم للانقلاب على النظام. هل هذا ما سيُخرجهم من البيوت ويدفعهم للاستيلاء على البرلمان واجتثاث النظام الحاكم المتعصب الراديكالى من جذوره ؟»

ـ صرحت أكثر من مرة بأنك لا تنشغل بالتفاصيل الصغيرة للأحداث الجارية فى إيران. ألا يُعد ذلك تهربًا ما ؟

«هذا لايغير شيئًا مما فعله أحدهم أو قاله ومن الذى قُتل وعلى يد من وما الذى قاله خامينئى وما اسم المسئول الفُلانى. إننى أترك ذلك كله للمحللين السياسيين والجهات الأمنية. إنه أمر لا يعنينى. من الناحية الأكاديمية، ليس هناك ما تفعله تجاه الحدث الآنى فى نفس لحظة وقوعه. سيأتى أناس يقفون عند كل هذه الأحداث حتى ساعتها الأخيرة ثم يقولون لك إن النظام الفلانى سيسقط. وفى نهاية الأمر يسقط، وهم بذلك قد تنبأوا بالمستقبل. وفيما يتصل بالثورة الإسلامية برمتها، فحقيقة أنهم لم يتنبأوا بها، يُمثل أكبر دليل على فشلهم. وبنفس الدرجة تصرف كثير من المحللين السياسيين بعد غزو صدام للكويت مثلا.»

ـ كيف يمكن تفسير، حسب طريقتك، مظاهر الفرح القادمة من طهران عندما تنجح عمليات تخريبية فى إسرائيل ؟

«ردود الفعل تلك لا تأتى من فراغ. إنها ذات صلة بحالة عامة. فإسرائيل فى نظر الإيرانيين دولة محتلة. وهذا مرتبط بما تعتبره إيران استغلالا مستمرًا من قبل الغرب للمسلمين بصفة عامة وإيران خاصة، من عهد الصليبيين. كذلك لدينا الأغيار، أيًا كانوا، نعتبرهم دائمًا مشبعين بمعاداة السامية. وهؤلاء الأغيار هم دائمًا أشرار حتى أن رئيس الوزراء مناحم بيجن شبَّه مكان اختباء عرفات فى بيروت بخندق هتلر فى برلين.»

وفى محاولته العنيدة لتفنيد صورة إيران كإمبراطورية للشر يبدو أحيانًا أن رام يتبنى أفكار طهران عن نظرية النسخة الحديثة من بروتوكولات حكماء صهيون، التى تحرك من خلالها إسرائيل واللوبى اليهودى العالم ضد إيران. وكمثال يذكر قضية 'كارين إيه' سفينة الأسلحة التى حاول الحرس الثورى الإيرانى تهريبها إلى المناطق المحتلة فى ذروة الانتفاضة. ويقول إن «إسرائيل، سارعت إلى اختلاق قضية تشهير سعيًا إلى إحباط أى احتمال للتسوية بين الولايات المتحدة وإيران. وكان الهدف هو إعادة إيران إلى تصنيف الأشرر، وإقناع الأمريكيين بالعمل ضدها. كانت قضية 'كارين إيه' هى التى مكنت إسرائيل فى نهاية المطاف من الكشف عن أطروحة إيْرنة فلسطين، وبهذه الطريقة يتم تدويل النزاع وتقديمه كساحة لمكافحة الإرهاب الدولى. وفجأة غطى ظل إيران الخطير كل المناطق الفلسطينية.»

لقد امتنع رام عن التعرض للدليل الدامغ الذى يؤكد أن 'كارين إيه' قد أُرسلت بالفعل بمعرفة إيران لتُأجج الحرب فى المناطق، وأنه لولا إعتراضها فى البحر الأحمر، لتسبب السلاح الذى تحمله فى أخطر تصعيد للانتفاضة. والسؤال بشأن الظل الإيرانى؛ هل كان فى هذه الحالة 'اختراعًا إسرائيليًا' لمتطلبات الدعاية أم واقع لا مهرب منه، بقى بلا إجابة.

هوامش:

١ – كتاب «قراءة لوليتا في طهران» للكاتبة الإيرانية «آزار نفيسي»، صوّرت فيه للقاريء مدى بشاعة الحياة تحت نظام شمولي متعنت كالنظام القائم في ايران. فالحكومات التي تعتمد الصيغة الواحدة والصوت الواحد بالتأكيد لا تبدي اهتماما بأي شكل من أشكال الحياة الحقيقية، ولا تعنيها مشاعر الانسان. "لوليتا" كانت الرمز الذي عبّرت به الكاتبة الاكاديمية "نفيسي" خلال الصفحات، وعند السطور وبين الكلمات، وشرحت بصورة ذكية مآسي المرأة في المجتمع الإيراني من خلال قراءة عدة روايات عالمية على رأسها "لوليتا" للكاتب الروسي "فلاديمر نابوكوف"، وهي واحدة من تلك الروايات التي طوّعتها "نفيسي" لخدمة هدفها.

٢ – كان آية الله حسين على منتظرى أقرب المرشحين لخلافة الخمينى كمرشد روحى للثورة الإيرانية لكن نهجه الإصلاحى عندما كان رئيسًا للحكومة وضعه فى صدام مع الإمام وأركان نظامه المتشددين إلى حد سجنه والحكم عليه بإعدام لم يُنفذ ووضعه رهن الإقامة الجبرية والتنكيل بأقربائه وأبنائه. ومن مواقف منتظرى الإصلاحية رفضه لنظرية ولاية الفقيه، ودعمه لعلاقات طبيعية مع الولايات المتحدة، وفتح لمجال أمام حرية الصحافة.

٣ – المتشددين يمثلهم شريعتمدارى مستشار المرشد العام الروحى على خامنئي، وقد سُجن وعُذب على يد الشرطة السرية أيام الشاه وهو مسئول عن صحيفة كيهان المتطرفة فى إيران ويتمتع بحصانة ومكانة مؤثرة. أما المحافظين فيمثلهم أحمدى نجاد، بينما الإصلاحيين فيمثلهم الرئيس الإيرانى السابق محمد خاتمى.

◆ دراسات ◆

٢

كتاب «عدم المساواة» - الجزء التاسع

تحرير: أورى رام - نيتسا بركوفيتش - ترجمة وإعداد: د. أشرف الشرقاوي

الليبراليـة
بقلم: باكى كوك

تعتبر الليبرالية حسبما هو معروف نظرية سياسية وأخلاقية قائمة على الحرية. ويقوم الافتراض الأساسى لليبرالية- مهما اختلف شكلها- على أن الحرية هى أسمى القيم الإنسانية، وأن الإنسان يحقق طموحاته عن طريق الحرية، ولذلك فلابد أن تلتزم الدولة بالدفاع عن هذه الحرية. ومن الثابت والواضح أن الليبرالية ليست نظرية تدعو للمساواة. ورغم ذلك فمنذ ظهرت الليبرالية قبل ثلاثة قرون يدور حوار مبدئى بين مفكريها وساستها حول جوهر مصطلح المساواة الليبرالية. ويستمد هذا الحوار شرعية وجوده من الارتباط الوثيق بين الحديث عن الحرية والحديث عن المساواة. فإذا كان المبدأ الليبرالى الأول يسعى لحصول الفرد على أقصى قدر ممكن من الحرية، وإذا كان نظام الحقوق يعتبر الآلية الدفاعية الرئيسية التى يعتمد عليها الفرد للحصول على هذه الحرية، فإن هذه الحقوق كلما كانت موزعة بقدر أكبر من المساواة بين المواطنين، كلما قيدت من حرية الفرد الشخصية. ولكن بما أن جميع الأفراد فى المجتمع متساوون مبدئياً من حيث حقهم فى الحصول على الحرية (بمعنى أن ذلك الجوهر الإنسانى الذى يجعل الفرد مرتبطاً بالحرية موجود لدى البشر كافة)، فإن الحق فى الحرية هو حق عام. وهذا هو الافتراض الأساسى بشأن المساواة التى يجب أن تكون موجودة بين البشر، والذى تتشارك فى الإيمان به جميع التيارات الليبرالية على اختلاف أطيافها. فمن هم هؤلاء الأفراد الذين يتمتعون بالحق فى الحرية والمساواة..؟ لقد تغيرت المعايير بالطبع على مر الزمان. فى البداية كانت الحرية والمساواة قاصرتين على الرجال الأثرياء بيض البشرة. وبمضى الزمان سقط شرط الثراء، ثم امتد الأمر إلى النساء، وأخيراً امتد أيضاً إلى الفئات الأخرى غير بيضاء البشرة.

يترتب على مبدأ المساواة سالف الذكر افتراض أن الليبرالية التى تبرر المساواة فى تقسيم الموارد المادية أكثر شيوعاً بين الليبراليين، ولكنها رغم ذلك ليست عامة. وهنا يثور السؤال الرئيسى لهذا المقال: كيف تنظر النظرية الليبرالية إلى العلاقة بين المساواة فى الحقوق والمساواة فى الموارد..؟ وبمعنى آخر، ما هو معنى الهوة القائمة بين المساواة المزعومة فى حقوق الأفراد فى العالم الليبرالى المثالى وبين القدرة على ترجمة هذه المساواة إلى إنجازات فعلية فى العالم الحقيقي..؟ وبالتالى فإن السؤال المطروح دائماً يكون نفس السؤال: ما هى الشروط الضرورية لتحقيق هذه الحرية فى العالم الحقيقي..؟ وسوف أوضح فى موضع لاحق أن العلاقة بين المطالبة بالمساواة فى هذين السياقين (سياق المساواة فى الحقوق وسياق المساواة فى النتائج) هى نتيجة للطبيعة التى يتحدد بها الجوهر الأساسى للفرد، والناتج عن المصالح التى ترتبط به. ولذلك فسأقوم فى موضع لاحق ببحث ماهية هذا الجوهر والشروط المطلوبة لتحقيقه فى ضوء السياق التاريخى الذى يجسد الفكر الليبرالي.

ظهر مصطلح «ليبرالي»كوصف لموقف سياسي محدد للمرة الأولى فى القرن التاسع عشر. فى تلك الفترة تم استخدامه كلفظ استهجان لمواقف متخاذلة اتخذها حزب سياسي معين. ولتحقيق هذا الهدف تبنى المهاجمون اسم حزب سياسي أسباني، وهو حزب «ليبراليس» الذى كان معروفاً بأن مواقفه متخاذلة للغاية. ولكن جذور الأيديولوجية الليبرالية تسبق هذه الفترة، وترجع أصولها إلى الفكر السياسي الإنجليزى والاسكتلندى فى القرن السابع عشر، حيث تمثلت هذه الأفكار فى الثورة التى جرت فى انجلترا فى عام ١٦٨٨. كانت هذه الثورة تعبر عن مصالح الطبقة المتوسطة فى الحضر - والتى تضم التجار والباعة والمستثمرين- فى مواجهة المصالح التقليدية للأسرة المالكة وحلفائها فى الكنيسة والطبقة الأرستقراطية. وتبنت القوى الاقتصادية والاجتماعية الجديدة أفكار الليبرالية التى تبنت المبادئ الدستورية ومبادئ التسامح الدينى وحق التجارة واعتبرتها من الأمور التى تحظى بالأولوية، واستخدمت هذه المبادئ كوسيلة للنضال ضد الصفوة الحاكمة.

وهكذا ولدت الليبرالية - مثلها فى ذلك مثل حركة التنوير - من رحم العداء الشديد للحكومة. وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، ومع تطور أدوات التجارة والصناعة وتطور المدنية التقت الفكرة الليبرالية بقوى اجتماعية أخرى كانت تسعى للنضال ضد المبادئ التقليدية للأسرة المالكة والكنيسة، وهما المؤسستان الرئيسيتان اللتان قيدتا القدرة الخلاقة للمجتمع واتجاهه للتوسع. وبالتعبير السياسي فقد عبرت الليبرالية عن تمردها ضد سيطرة النظام الملكى الخانقة، وضد صرامة السلطة السياسية والدينية، وضد المبدأ التقليدى الذى يرى أنه لا وجود للفرد خارج سياق مجتمعه. وقد قدم الطرح الليبرالى بديلا جذاباً لقوة التقاليد والسلطة وللوسائل التى تستخدمها للقمع. وتم بناء هذا الطرح كنظرية تعبر عن الفرد الذى يناهض التسلط الاجتماعى الثابت ويسعى للتحرر منه. وبالفعل فإن مصطلح الحرية بمفهومه الليبرالى الذى يتمثل فى الاستقلالية الأساسية للفرد كان جامعاً لهذه العناصر. فعلى المستوى الاقتصادى تسعى الليبرالية إلى منع تقييد حرية التجارة وإلى نشر الاقتصاد الرأسمالى المتطور. ويمكن وصف الليبرالية التقليدية بأنها نتاج اللقاء بين هذه العناصر التاريخية. وقد أدى التغير فى مدى تركيز هذه العناصر فى الأماكن المختلفة إلى صياغة غير موحدة للمبادئ الليبرالية بما يتفق مع التطور التاريخى على المستوى المحلى فى كل مكان. وعلى سبيل المثال ففى فرنسا بعد الثورة المدنية أضيف إلى فكرة الليبرالية عنصر علمانى قوى للغاية، مع التأكيد على الناحية القومية بقدر يفوق ما حدث فى بريطانيا على سبيل المثال.

من الناحية الفكرية تأسست الليبرالية الكلاسيكية- وهو الاسم الذى تُسمى به الليبرالية الأصلية- على دعامتين وفرتا المشروعية للتطورات السياسية والاقتصادية التى جرت فى الغرب منذ القرن الثامن عشر. وضع الدعامة الأولى الفيلسوف جون لوك. وكانت نظريته التى تمثل حتى اليوم جوهر الليبرالية الكلاسيكية قائمة على أن المجتمع السياسى لابد أن يجعل نشاطه قاصراً على الدفاع عن الحقوق الأساسية للأفراد فى الحياة والحرية والملكية، وأن السياسة تمثل إطاراً مصطنعاً، حيث يعتبر الحق فى الملكية الشخصية حقاً مصيرياً ومبدئياً ومؤسساً للحياة السياسية.

لقد كُتب الكثير عن علاقات جون لوك ومشاركته فى الثورة. وبمضى الوقت تم الربط بين نتائج الثورة، التى عجلت بانتشار الليبرالية وبين أفكار هذا الفيلسوف المعروف. بعد ذلك بمائة عام تبنى رواد الثورة الأمريكية ضد البريطانيين فى عام ١٧٧٦ هذه القاعدة بشكل حرفي، وتكشف لنا القراءة المتأنية فى الأساس الفيدرالى (وهو مجموعة المقالات التى نشرت فى إطار مناقشة الدستور الأمريكي) مدى التأثير الثقافى للفيلسوف لوك. كما تكشف لنا أهمية ما قام به لوضع اللبنات الأساسية للفكر الليبرالى فى المجتمع الأمريكي.

أما الدعامة الثانية التى قامت عليها الليبرالية الكلاسيكية فقد وضعها الفيلسوف والمفكر الاسكتلندى المعروف آدم سميث. ففى كتابه المؤثر «ثروة الأمم»، طور آدم سميث الأساس الفكري، والمنطق الاقتصادى الرأسمالي، كما طور منطق استخدام آليات السوق، والامتيازات التى يمكن أن يحصل عليها الأفراد والجماعات من جراء استخدامها. كان سميث الذى بدأ الكتابة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر (بعد لوك بنحو مئة عام) شاهداً على بداية تطور الاقتصاد الرأسمالي، الذى قام على مبادئ الجدوى الاقتصادية لعملية الإنتاج، ومراكمة الثروة وزيادة رأس المال، وآلية تحديد السعر كأساس للمنطق الاقتصادي. وكان أهم ما تحدث عنه هو العلاقة بين المصلحة الشخصية ونشاط الفرد والصالح العام. وتساءل: كيف يمكن الجمع بين مجموعة مصالح محددة وبين المصلحة العامة للجمهور..؟ وكانت إجابته مكملة لمبادئ الفردية ولاستقلالية الليبرالية السياسية. كان سميث يعتقد أن تحقيق المصلحة الشخصية الجامحة والمستقلة هو فى النهاية أفضل ضمان لتحقيق المصلحة العامة. بمعنى أنه لن يكون من الممكن تحقيق الثراء العام سوى فى إطار مناخ سياسى واقتصادى يضمن للفرد تحقيق مصلحته الشخصية الأنانية. وبمعنى آخر فإن المصلحة العامة لن تتحقق سوى لو تحققت المصالح الشخصية للأفراد، الذين يتكون منهم المجتمع. وكان سميث يعتقد أن نظرية السوق الحرة- القائمة على تحديد السعر بناء على العرض والطلب- تمثل آلية للتنسيق والتوفيق بين المصالح المختلفة للأفراد، وتؤدى بالضرورة إلى أفضل نتيجة تحقق الصالح العام. حيث ستسعى الآلية المنظمة التى تكفلها

السوق الحرة - والتى وصفها سميث بأنها اليد الخفية - دائماً لتحقيق الصالح العام بشكل غير مغرض. وبذلك فإن الرأسمالية تستغل الطابع الإنساني- المتمثل فى الأنانية والعقلانية - من أجل ضمان تنظيم احتياجات المجتمع.

وأخيراً فقد افترضت الليبرالية الكلاسيكية أن مصالح الفرد تتجسد فى سماته الأساسية، وهى الأنانية والسعى إلى الاستقلالية. بمعنى أن ضمان حرية الفرد يرتبط بمساحة الاستقلالية المكفولة له لتحقيق أهدافه الشخصية.

***

فى منتصف القرن التاسع عشر جرت مراجعة الخطاب الليبرالى ليبدأ الابتعاد عن فردية سميث ولوك الصارمة. وبدأ المفكرون الليبراليون فى تلك الفترة الشعور بعدم الارتياح لنتائج الرأسمالية المتوحشة التى كان من بينها زيادة حدة التفاوت الاجتماعى والاقتصادى بين الطبقات. وكلما تزايد الفقر وتزايد التفاوت بين الطبقات كلما زاد تفنيد نظرية سميث بشأن النتائج الاجتماعية لنشاط الفرد. أضف إلى هذا أن انعدام الرقابة على نشاط السوق أدى لظهور احتكارات كبيرة، تسببت فى عدم وضوح المنطق من وراء حرية السوق. من الناحية العملية أسفرت فكرة المساواة الجوهرية بين الأفراد- التى وضعت أساسها الليبرالية الكلاسيكية فيما يتعلق بمطالب هؤلاء الأفراد المعنيين- عن عدم مساواة شديد فى تقسيم العائد من المنظومة الاقتصادية. أضف إلى هذا أن النظرية الكلاسيكية- التى ترى وجوب أن يكون دور الدولة مقيداً بكونها وسيلة للدفاع عن الأفراد والحفاظ على حقوق الملكية- منعت أى تدخل للإصلاح.

بذلك تركزت مراجعة الفكر الكلاسيكى على نقد كفاءة نظرية «اليد الخفية» كآلية اجتماعية للتنظيم. وقد نشأ من خلال هذا النقد الأساسى اتجاهان فكريان جديدان. تمثل الاتجاه الأول فى إعادة التفكير فى تحديد الظروف المناسبة لخلق إطار اجتماعي، يستطيع الإنسان فى ظله تنمية قدراته، وبذلك يحقق ذاته ككائن عقلانى وأخلاقي. وقد أدى هذا الخط الفكرى لظهور مناقشة نقدية بخصوص الأولوية التى تم إعطاؤها لحق الملكية، وبالتالى بخصوص أهمية الحقوق السياسية. ويمكن وصف النقد الذى ثار فى هذا الاتجاه بأنه ليبرالية اجتماعية أو تقدمية، ويمكن أن نشير إلى أنه كان من بين المفكرين الرئيسيين الذين تبنوا هذا الاتجاه ل. ت. هوبهاوز وجون ديفى وهربرت كارولي. وقد عارض ديفى وكارولى على سبيل المثال فى انفراد الفرد بالمسئولية عن تحقيق الحرية لنفسه، حسبما تقتضيه الليبرالية الكلاسيكية، واعترفا بالمسئولية الاجتماعية والسياسية عن تحقيق هذه الحرية. ومعنى هذا أن الليبرالية الحديثة اعترفت بأهمية الظروف المعيشية الأساسية لتحقيق الحد الأقصى من الاستفادة بالطاقات الإنسانية والحرية، واعترفت بعدم المساواة القائم بين قدرة الأفراد فى المجتمع على خلق هذه الظروف لأنفسهم، نظراً للتأثير الهدام الذى يخلفه النظام الرأسمالي. وبذلك تكون الليبرالية قد بدأت تعترف بأهمية دور الدولة فى ضمان الشروط المادية الأساسية، كالتعليم والعمل والصحة. وبذلك نرى أن الأصول الأيديولوجية لدولة الرفاهية ترجع إلى الفكر الليبرالى نفسه، وليس إلى الفكر الاشتراكى فحسب.

تباطأت الأحزاب الليبرالية الكلاسيكية فى تبنى هذه المبادئ الجديدة خلال القرن العشرين. وفى بريطانيا على سبيل المثال ناضل الحزب الليبرالى بشدة ضد هذه التجديدات الفكرية، بينما فى الولايات المتحدة لم يبدأ وصف الساسة التقدميين بالليبرالية سوى فى العقد الثالث من القرن العشرين، بعد الكساد الشديد الذى ساد فى تلك الفترة، وتطبيق خطة الإصلاح التى طرحها الرئيس فرانكلين روزفلت وسماها «الصفقة الجديدة» (New deal). وأصبح ليبراليو القرن التاسع عشر يوصفون بأنهم محافظون متشددون. ومن هنا فخلال القرن العشرين تزايد توجيه الجدل- الذى انتشر بين الأحزاب الليبرالية وبين المنظرين الليبراليين- فى اتجاه استيضاح معنى مبدأ المساواة. وكان معنى هذا حدوث تداخل بين مناقشة مفهوم الحرية ومناقشة مفهوم المساواة. وتزايد معدل التساؤل بشأن المدى الذى يمكن الفرد من القدرة على ممارسة حريته فى ظل المساواة الاقتصادية أو تكافؤ الفرص الاقتصادية.

أدت هذه الليبرالية المنقحة إلى ليبرالية الرفاهية، التى ترتب عليها تطوير مفهوم سياسة الرفاهية، التى تهدف إلى تحسين الوضع العام لمواطنى الدولة وتحييد الآثار الهدامة المترتبة على النظام الرأسمالي. وتمثل ذلك فى إعانات البطالة والتأمين الوطني، وتعديلات قانون ضريبة الدخل وقانون التعليم الإلزامي، والتأمين الصحى لكبار السن وللفقراء، وقوانين العمل وفرض قيود على تشغيل الأطفال. كان ضمان المزيد من الحرية لعدد أكبر من الناس يتطلب المساواة بينهم فى الظروف. وتشمل هذه الظروف الموارد المختلفة التى يتولى المجتمع تعبئتها، حتى يتمكن من استثمارها فى تطوير قدرة الأفراد على مواجهة التحديات التى يطرحها المجتمع بشكل يتسم بالمساواة. ظهرت براعم هذه الأفكار فى فترة خطة الإصلاح التى طرحها روزفلت، ولكن العصر الذهبى والتنفيذ العملى لها لم يحن سوى فى السنوات التى تلت الحرب العامة الثانية.

يقودنا هذا الكلام إلى الخط الفكرى الثانى الذى تتسم به الليبرالية المنقحة. فإذا كانت الليبرالية الكلاسيكية وصفت حريات الأفراد بأنها مثل الحريات الاقتصادية، وركزت بشكل أساسى على الحرية المقننة، التى تكفل حقوق الملكية الفردية، فإن

الليبرالية الجديدة بدأت قصة تطورها الطويلة بالديموقراطية ومبدأ الحرية السياسية. بدأ مبدأ مساواة الجوهر الإنسانى فى الاختلاط بمبدأ القدرة على التأثير على العالم السياسي، وبالتالى على العالم الاقتصادي. ولم يعد فى استطاعة الملكية الفردية أن تمثل المعيار الوحيد للحقوق. وأصبحت السياسة، ولمزيد من الدقة السياسة الديموقراطية، فى حاجة لتحديد المعايير الجديدة.

أدت هذه الشراكة إلى تجديد نسبي، فظهور الليبرالية- سواء من حيث المبادئ أو من حيث الشكل السياسى والاقتصادي- سابق على ظهور الديموقراطية بنحو مائتي عام، حتى لو كان هناك اليوم اتفاق بين بعض المبادئ الليبرالية والمبادئ الديموقراطية. من الناحية العملية كانت الليبرالية فى الأصل معادية لمبادئ الديموقراطية. وكان الخوف الرئيسى من الديموقراطية يرجع إلى خشية الليبراليين الكلاسيكيين من أن حق المساواة فى الاختيارات المتاحة - على المستوى العام - قد يهدد التفوق السياسى والأخلاقى لحق الملكية الخاصة، والسيطرة السياسية لأصحاب الأملاك. وبالتالى فلا غرابة أن تأخرت المشاركة بين الليبرالية والديموقراطية، فلم تظهر سوى مع التراجع المبدئى لأولوية هذا الحق. فأصبح من الصعوبة بمكان اليوم أن تجد نظاماً ليبرالياً غير ديموقراطي، ولكن هناك كثير من النظم الديموقراطية ليست ليبرالية، أو لا تمثل المبادئ الليبرالية الأساس القيمى لها. ونحن نشهد فى إسرائيل- على سبيل المثال- نموذجاً صارخاً لنظام ديموقراطى غير ليبرالي.

***

فى عام ١٩٦٦ ألف تيودور لافى أستاذ العلوم السياسية كتاباً عنوانه «نهاية الليبرالية» زعم فيه أن عصر الليبرالية قد انتهى. بعد ذلك بنحو عشرين عاماً كتب مفكر اجتماعى آخر يدعى فرانسيس فوكوياما مقالا كان له تأثير شديد، أكد فيه أن انهيار الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى كان فوزاً لليبرالية. لذلك فقد حان عصر انتهاء الأيديولوجية وأصبحت الليبرالية هى الصيحة المفضلة. وكما لاحظنا فإن عصر الليبرالية لم ينته بعد بالطبع، كما لم ينته التاريخ الإنسانى أو التاريخ الأيديولوجي. وفى مقابل ذلك يمكن القول بأن ليبرالية أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادى والعشرين مشغولة بجدل مكثف يجرى بين أنصارها. ورغم الجدل الجديد، وما تم استخدامه فيه من مصطلحات جديدة، فإن الخطاب الليبرالى الجديد تحركه نفس المشكلة الرئيسية؛ وهى تحديد الظروف المناسبة لضمان الحرية الأساسية للإنسان.

تستمد الليبرالية الجديدة المعاصرة أصولها من الظروف السياسية والاقتصادية السائدة فى عصرها، كما كان الحال بالنسبة لليبرالية الكلاسيكية ولليبرالية المنقحة من قبلها. وتتأثر هذه الليبرالية بظرفين عامين بارزين: الأول هو الانهيار التدريجي لدولة الرفاه الغربية، الذى أدى إلى تعميق الأزمة الاقتصادية التى تواجهها الطبقات الفقيرة، واتساع نطاق هذه الطبقات لدرجة كادت تصل إلى إنهاء وجود الطبقة المتوسطة. وينشغل قطاع كبير من الخطاب الليبرالى الجديد بالاعتراف بالتأثير البالغ لعدم المساواة الاقتصادي، الناتج عن عدم المساواة السياسي.

أما التطور السياسى الثاني- الذى يستمد منه الخطاب السياسى المعاصر أصوله- فيرتبط بتطور ما يطلق عليه اسم «سياسة الهويات». تعطى سياسة الهويات لهوية الفرد مكانة مركزية فى تحديد حدود حرياته الشخصية. ومعنى هذا أن الليبرالية الجديدة تساوى بين الحق فى الاعتراف العام بالهوية الجماعية وبين الحقوق الفردية الأخرى. ومن الواضح أن هذا التطور يمثل تحدياً للمبادئ التى تقدسها الليبرالية، ومن بينها إعطاء أولوية أخلاقية للفرد قبل المجتمع، كما يمثل تحدياً للأيديولوجية الفردية، التى تعد نتاجاً مباشراً لهذا المبدأ، وعودة واضحة للاعتراف العام بتقسيم المجتمع إلى جماعات. وعلى سبيل المثال فإن الفيلسوف السياسى الكندى ويل كيمليكا يروج لنظرية ليبرالية تعترف بحق الجماعات فى الحصول على مستويات مختلفة من حق تقرير المصير، دون أن يقلل هذا الحق من استقلالية الفرد.

كان من بين الدوافع السياسية الرئيسية التى أدت إلى المطالبة بالاعتراف العام بالهويات الجماعية زعم، يقوم على الاعتراف بأن المظالم الجماعية التى تم ارتكابها فى الماضى ضد الأقليات- سواء كانت هذه المظالم عنصرية وعرقية، مثل ما تعرض له ذوو الأصول الأفريقية من الأمريكيين فى الولايات المتحدة، أو كانت متعلقة بالجنس أو النوع مثل اضطهاد النساء- مسئولة إلى حد كبير عن عدم المساواة السياسى والاقتصادى القائم فى الحاضر. ومعنى هذا أنه فى إطار توفير تلك الظروف الحيوية التى تكفل للفرد ممارسة المساواة فى الحقوق والإمكانيات وفقاً للقانون (مثل التعليم والصحة والرفاهية الاقتصادية) مطلوب من الدولة الاعتراف بأن المظالم- المترتبة على سياسات الماضي- هى المسئولة عن عدم المساواة القائم فى الحاضر، وبذلك تعطى الدولة للجماعة التعويض المناسب عنها كجماعة. وقد كانت هذه هى الطريقة التى تشكل بها البرنامج الفكري، الذى يرى أن النساء أو الأقليات المضطهدة الأخرى من حقها المطالبة بإصلاح الظلم الذى وقع فى حقها، بإعطائها الأولوية فى التمثيل السياسي، أو التوظيف فى المؤسسات الاقتصادية وغيرها. كما أصبح هناك أساس فكرى ليبرالى لمطالبة الأقليات القومية بدرجات مختلفة من الحكم الذاتي.

هناك دافع آخر للمطالبة بالاعتراف العام المشار إليه آنفاً وهو الشكوى الصادرة عن أقليات ثقافية مختلفة، فى دول ديموقراطية

ليبرالية، من حيدة الدولة الليبرالية. ووفقاً لليبرالية الكلاسيكية، على الدولة أن تفرق بوضوح بين الصالح العام والحق. عندما تميل الدولة إلى تبنى حق معين يصبح دورها الكلاسيكى بالتالى هو توفير الإطار الذى يتيح للمواطنين التمتع بالمساواة فى الحقوق. فالصالح العام هو المجال الذى يتطلب إعطاء أولوية أخلاقية لمبادئ ووجهات نظر. وهو ما يعنى أنه المجال القياسى الذى تمتنع الدولة عن التدخل فيه، حتى لا تُساق إلى إعطاء أولوية أخلاقية لشيء معين عن غيره، لتمنع بذلك أفراد معينين فى المجتمع من تحقيق أولوياتهم. وتدخل الثقافة فى ذلك المجال الذى يجب الدفاع عنه ضد التدخل الضمنى بشكل تقليدي، وبذلك تضع الليبرالية حداً هاماً تمنع الدولة من تجاوزه فى تدخلها.

إن الجدل حول مشروعية تدخل الدولة فى المجال الثقافى يمتد ظاهرياً إلى العلاقة بين التعددية والليبرالية. فقد أيدت الليبرالية الكلاسيكية مبدأ التعددية الاجتماعية، القائمة على الزعم بأن وجود هويات متعددة فى العالم يجعل من واجب الدولة الليبرالية أن تكون متسامحة مع كل هذه الهويات. ويتمثل هذا التسامح فى امتناع الدولة عن تبنى فهم أى من هذه الهويات للصالح العام. وهذا على سبيل المثال هو جوهر التعددية الأمريكية، القائمة على هوية جماعية تجعل فى استطاعة جميع الأمريكيين جعل الهوية العرقية الطائفية تقف على قدم المساواة مع الهوية الأمريكية، نظراً للتساوى بين مكانة كل هذه الهويات على الصعيد العام.

يرى ديشاليت وأفنون أن التعددية الثقافية قائمة على ما يطلق عليه تعددية سيكولوجية وعلى الافتراض بأن كل فرد له مجموعة من الهويات المختلفة. وعلى سبيل المثال فلكل إنسان هويته الخاصة التى تجعل تمكنه من ممارسة حريته مشروطاً بالمساواة فى الدفاع عن الحقوق المدنية، وخاصة حق الملكية الفردية. وفى نفس الوقت فإن للإنسان هوية ثقافية جماعية، تتطلب الاعتراف العام به وضمان تمثيله فى المجال العام حتى يمكنه أن يمارس حريته، سواء تمثل ذلك التمثيل فى الاحتفال بعيد قومى أو بمناسبة دينية، أو كان من خلال الاعتراف بلغة جماعته كلغة رسمية. وبذلك فإن التعددية الثقافية فى صياغتها الليبرالية تفترض أنه بسبب مجموعة الهويات التى يحملها الفرد يجب المطالبة بالاعتراف به بالمستوى العام عن طريق إرساء حقوقه والحفاظ عليها على مستويات مختلفة.

وأخيراً، ما هى الشروط الضرورية لممارسة الحرية الإنسانية..؟ لقد تطور الرد على هذا السؤال حسبما نعرف على مدى تاريخ الليبرالية الطويل. وإذا كان الفرد فى بداية ظهور الليبرالية كان يطالب بأقصى قدر ممكن من الاستقلالية عن الدولة حتى يتمكن من ممارسة هذه الحرية، فإن الفرد بعد ذلك بثلاثمائة عام، مع مطلع الألفية الجديدة، أصبح يطالب أكثر من ذى قبل بالدعم والاعتراف من الدولة بحقه المطلق فى ممارسة هذه الحرية. وترتبط ممارسة هذه الحرية بممارسة المساواة وما يترتب عليها من نتائج، وهذا ليس قاصراً على الناحية الشكلية فقط، وللدولة الليبرالية دور هام فى تحقيق هذه المعادلة.

النوع

بقلم: حنا هرتسوج

النوع هو ترجمة كلمة «gender» الإنجليزية ويُقصد بها الذكر أو الأنثى. وتنطوى هذه الكلمة فى اللغة الإنجليزية على نوع من التصنيف الداخلى اللغوي، حيث تتناول الفارق بين النوعين- الذكر والأنثى- من وجهة النظر القواعدية. وخلال العقد السابع من القرن العشرين تبنت البحوث النسائية هذه الكلمة للتمييز بين النوع البيولوجى وبين النوع بمفهومه الاجتماعي. تتناول كلمة الجنس (sex) الفارق البيولوجى بين الرجال والنساء، بينما تتناول كلمة النوع (gender) الوصف الاجتماعى الثقافى للنوعيات المختلفة للرجال والنساء (بمعنى أنها تتناول مفهوم الأنوثة والذكورة).

كان أهم نجاح حققته الحركات النسائية هو نجاحها فى تحديد المساحة الممتدة بين الجنس والنوع، حيث تم طرح مصطلح النوع كأساس للبحث النقدى لتوسيع مفهوم مصطلح "الجنس" البيولوجي، ليضم الترتيبات الاجتماعية، ولإجراء تقسيمات اجتماعية بين هويات وسلوكيات الرجال والنساء. يتضمن هذا التقسيم نظاماً ثقافياً متكاملا، يؤسس تنظيماً يرتبط من الناحية الظاهرية بالجنس البيولوجى رغم عدم ارتباطه فعلياً به. وبينما يجرى النظر إلى الجنس البيولوجى على أنه صفة بيولوجية موروثة تأتى مع الميلاد ولا يمكن تغييرها، فإن مصطلح النوع ينطوى على معنى ثقافى متغير وله مفهوم بديهى إذا قورن بالنوع الآخر، ولا يمكن فصله عن تاريخ توازن القوى بين النوعين. وبهذا المفهوم فإن تأثير مصطلح الجنس البيولوجى يعد قليلا جداً، وفى

مقابل ذلك يبرز بشدة التأثير الاجتماعى والثقافى لمصطلح النوع.

أدى انتشار هذا المصطلح فى الخطاب الأكاديمى والجماهيرى إلى إثارة التساؤلات بشأن الصلة البديهية التى تفترضها ثقافات معينة بين الفوارق البيولوجية وبين الممارسات والترتيبات الاجتماعية المتعلقة بالنساء والرجال. وبدلاً من تقبل الفوارق بين الجنسين على أنها أشياء مسلم بها، أصبح مصطلح النوع يستوجب إعادة النظر بشكل مستمر فى الترتيبات الاجتماعية، التى تفرز الفوارق بين الجنسين أو تنقلها إلينا من مكان آخر أو تسمح بتغييرها.

تعرض المغزى النظرى لمصطلح النوع لتغيير مع التطورات التى حدثت فى نظريات عمل الحركات النسائية. والأدهى من ذلك أنه بمضى السنين أصبح استخدام هذا المصطلح متغيراً وليس ثابتاً، لكن لم يعد هناك من يزعم أن هناك أساس بيولوجى "طبيعي" يدعو لعدم المساواة. كما تطور مفهوم مصطلح "الجنس" البيولوجي، ليتعرض لتقييم نقدى من جانب الحركات النسائية، والنظريات التى تفرعت عنها. واليوم أصبحت هذه الحركات تتحدث- فى خطابها للجمهور- عن تعدد الأنواع.

انتشر استخدام كلمة "gender" الإنجليزية وتعنى "النوع" فى المجتمعات الناطقة بالإنجليزية، ثم تبنتها مجتمعات أخرى كما هى بدون تغيير أو ترجمة. وعلى سبيل المثال ففى اللغة الفرنسية، رغم وجود كلمة "Genere" وهى المقابل لكلمة "gender" الإنجليزية إلا أن العديد من الكتاب يفضلون استخدام المصطلح الإنجليزي. أما اللغة العربية فلم تستقر على ترجمة واحدة قاطعة لهذا المصطلح، حيث يترجمه البعض إلى مصطلح "الجنوسة" المشتق من كلمة "الجنس" ويترجمها البعض الآخر إلى "النوع الاجتماعى أو الجنسى أو النفسي"، غير أن البديل الشائع فى الاستخدام هو مصطلح "النوع الاجتماعي". وهناك من بين الكاتبات العربيات من يستخدمن مصطلح "gender" الإنجليزي-كما هو الحال فى لغات أخرى- سعياً للفت النظر إلى المفهوم النقدى لهذا المصطلح.. أما اللفظ المقابل الذى أدخل إلى اللغة العبرية فى العقد التاسع من القرن العشرين وهو لفظ "مجدار" فمشتق من لفظين أحدهما يحمل بين طياته معنى "جدار"، الذى يُقصد به تحديد حدود اجتماعية، كما يحمل معنى التحديد الاجتماعى للظاهرة، وأما حرف الميم فى بدايته فمأخوذ من كلمة "مين" وتعنى جنس وقد سقطت النون حتى يصبح رنين كلمة "مجدار" أقرب إلى رنين كلمة "gender" الإنجليزية.

وكما هو الحال فى كل تصنيف اجتماعى فإن هذه الكلمة- باعتبارها مصطلحاً نظرياً، يحمل بين طياته هوية جماعية وشخصية- أصبحت ساحة للنضال من أجل تحديد حدود لهذه الهوية ومعنى لها. يجرى هذا النضال فى المجال الأكاديمى والمجال العام، اللذان كثيراً ما تضيع الحدود بين الخطاب الذى يستخدمانه. ويعد ضياع هذه الحدود جزءاً من جدول الأعمال السياسى الاجتماعى الأكاديمى لأنصار الحركة النسائية، الذى يتحدى الترتيب الهرمى لسلطات مختلفة، منها سلطة المعرفة والسلطة السائدة بين المواقع التى تفرز هذه المعرفة.

فى بداية الدراسة فى مجال الاختلاف بين النوعين كان المصطلح السائد فى هذا المجال هو مصطلح الفوارق بين "مهام الجنس" (sex roles) وكان هذا هو أول معنى اكتسبه هذا المصطلح (مصطلح "النوع"). وبوحى من النظريات البنيوية التى سيطرت على الفكر الاشتراكى أصبحت كلمة "مهمة" تعبر عن العنصر الذى يربط بين الفرد والمجتمع. وترى النظرية النسائية الليبرالية- التى كانت لها الريادة فى هذا المجال فى البداية- أن نقطة الانطلاق كانت الأفراد الذين يتكون منهم المجتمع. وتم التأكيد على مواقف وسمات يكتسبها الأفراد الذين يتغيرون من خلال تطورات اجتماعية وتعليمية. وكان هناك افتراض بأن التشريعات الخاصة بالمساواة- والتوجيهات الاجتماعية التى تقضى على الفوارق الجنسية- سوف تسمح بالمساواة بين النساء والرجال فى النظام الاجتماعى القائم.

ومع تطور التصورات النقدية للحركة النسائية نشأت نظرية ترى أن التمييز بين الجنسين يقوم على تصورات اجتماعية، تفرز نظاماً من المعتقدات، ونظاماً اجتماعياً قائماً على التمييز بين النوعين. ولذلك كانت هناك حاجة لإعادة النظر فى النظام القائم، للبحث عن الآليات الأساسية التى تؤدى لإخضاع النساء وتهميشهن. يؤدى الزعم بأن التمييز بين الجنسين هو نتاج التحريف الاجتماعى للواقع إلى إماطة اللثام عن الزعم الأيديولوجى بأن النظام القائم هو نظام عام أو ضروري، وأن الإنسان الذى يدور حوله النقاش النظرى والاجتماعي هو عنصر مجرد ومحايد وعام، أى أنه إنسان له طابع عام وليس له صفات محددة. يكشف هذا الموقف النقدى عن مطالبة صارمة ببحث علاقات القوى التى تبلورت بين الجنسين فى سياقها التاريخى الذى نشأت وتغيرت فيه. ويكشف هذا النقاب عن الإخفاء والإسكات اللذان انتشرا فى الخطاب الأكاديمى والعام بشأن النوع، فيما ترتب عليه ظهور نظام اجتماعى واقتصادى وسياسى وثقافى يعطى الأفضلية للرجال والذكورة، ويلجأ فى نفس الوقت إلى التمييز ضد النساء وقهرهن. يوجه هذا الموقف البحث النظرى إلى الأسئلة التى تستوضح كيف يتم تشكيل العالم بناء على تقسيم الأنواع، وما هى آليات تشكيله وهل يمكن تغييره وكيف..؟ أضف إلى هذا أن التكوين الاجتماعى القائم على تقسيم المجتمع لنوعين موجود فى مجتمعات مختلفة. ورغم وجوده فى أغلب المجتمعات المعروفة لنا إلا أنه لا يتسم بنمط موحد ولا

يتسم بالبساطة، ويكتسي بأشكال ذات سياقات تاريخية واجتماعية وثقافية مختلفة.

كان الهدف الاستراتيجي من ترسيخ مصطلح النوع فى الثقافة العبرية هو الإشارة- على المستوى التحليلي وعلى المستوى السياسي والنقدى أيضاً- إلى وجود ترتيبات قامعة وظالمة للنساء، وهذه الترتيبات تكون موجودة فى مجتمعات معينة فى أوقات معينة. ولكن كان من قبيل المفارقة أن أدى ترسيخ المصطلح واستخدامه على نطاق واسع فى المجال الأكاديمى والمجال العام- فى كثير من الأحيان- إلى تقويض الافتراضات الأساسية التى قامت عليها هذه الاستراتيجية. ولكى نفهم سر هذه المفارقة لابد أن ندرس أسلوب تطور البحث فى هذا المجال، وأن نفهم بما لا يقل عن ذلك كيفية تأصيل الدراسات المتعلقة بالنوع.

كانت الحركات النسائية هى التى تبنت مصطلح النوع الذى اقترحت تلك الحركات استخدامه كمصطلح مستفز، يدعو العالم لإعادة النظر إلى الأمور من وجهة النظر النسائية، وقد لفت هذا المصطلح أنظار العالم إلى بحث وضع المرأة فى المجتمع. وليس فى هذه الحقائق ما يدعو للدهشة، فالادعاء بإقصاء ونبذ وقهر وظلم النساء يأتى بالطبع من جانب الفئات المضطهدة، وليس من الفئة التى تحتل مكان الصدارة فى المجتمع وهى الرجال. ونتيجة لذلك فقد تم اعتبار الخطاب الذى يتحدث عن النوع خطاباً نسائياً موجهاً من النساء للنساء. وتحدث الكثيرون- ومنهم أنصار الحركات النسائية- عن النوع والنساء على أنهما بديلان. وقد دعيت الأقسام الأولى التى تأسست فى الجامعات إلى إجراء بحوث نسائية وعبرت عن هذا الموقف إلى حد كبير.

كلما اتسع نطاق البحوث النسائية كلما زاد اتجاهها لاتجاهات نظرية متنوعة. وإلى جانب استخدام تصنيف النوع كتصنيف تفسيرى للبحث والتحليل النقدى فى تأثير النوع على النظام الاجتماعي، وموقع الرجال والنساء فى هذا النظام، تطور استخدام مصطلح النوع كمصطلح شامل. وتوجه العديد من الباحثات لكشف قوة النساء وتعظيمها، ولبحث خبرات النساء فى العلاقات مع الرجال، وفى المشاركة معهم فى أعمال مشتركة متنوعة. وبالتالى لبحث الهويات النوعية ومن بينها الهويات الذكورية. وأخلت الدراسات النسائية مكانها تدريجياً لدراسات النوع. ومع تزايد شرعية هذا المجال ووصوله لمكان الصدارة انتهى النقد الموجه له تدريجياً. وفى كثير من البحوث تم استخدام مصطلح النوع بدلاً من مصطلح الجنس، للتمييز بين الرجال والنساء. واستخدم الكتاب هذا المصطلح باعتباره ينطوى على لياقة سياسية، ولكن هذا حدث فى أغلب الأحوال، دون تدقيق فى الافتراضات النظرية المعارضة، التى كانت أساساً للمصطلح. وبهذه الطريقة أصبح هذا المصطلح- الذى جاء أصلاً من الخطاب النقدى النسائى التقليدي- يعد مصطلحاً عاماً وموضوعياً، قائماً على عدم التمييز بين النوعين. وقد أتاح هذا الأمر للتشريعات التى تعبر عن الموقف النسائى أن تشغل أدنى الدرجات وتصبح على هامش الخطاب الأكاديمى مع وصفها بأنها أيديولوجية. وفى نفس الوقت تم السماح بنقل نظام الآراء القائم على النوع إلى سياق الخطاب السياسى العام.

***

يرجع الأساس الأول لنظام معرفة النوعين إلى نشأة الحياة الرعوية. فقد كان الأساس للعمل الرعوى هو السيطرة على الجنس وعلى قدرة المرأة على التكاثر وسيطرة الرجال على النساء والأطفال فى الأسرة باعتبارهم قوة عاملة ومورد اقتصادى ورمزى بديل. وقد اتسع نطاق هذه السيطرة لتصبح سيطرة للرجال على النساء فى الأسرة على وجه العموم. ومع هذا فلابد من الإشارة إلى كثرة التغير الذى طرأ على أشكال السيطرة الرعوية على النساء على مر التاريخ حيث تنوعت أشكال هذه السيطرة بين المجتمعات وداخل المجتمع الواحد، فاختلفت باختلاف الأديان والطبقات الاجتماعية والجماعات العرقية. وكان الأساس للنظرية الرعوية هو القبول البديهى بتقسيم الأنواع كأساس للتنظيم الاجتماعي. ومع تبلور النظام الاجتماعى الغربى المعاصر، ظهر نظام قائم على التمييز بين الخاص والعام. ورغم قيام هذا النظام بنشر الأساس الرعوى فى نظمه الجديدة، فقد وصف نفسه بأنه نظام عام وحديث.

***

تطور التمييز بين مجالى الحياة- الخاص والعام- فى العصر الحديث، بما يتوازى مع تطور اقتصاد السوق والتصنيع والتحضر، ومع ترسيخ النظم البيروقراطية، وظهور الدولة الحديثة، حيث ظهر الفصل بين السوق والبيت، وبين الاستهلاك والإنتاج، وبين النشاط الخاص المنزلى والأنشطة الجارية فى المجال العام (كالعمل بأجر وممارسة السياسة وغيرها).

وكان الافتراض الذى بُنى عليه الفصل بين المجالين العام والخاص هو أن كل من المجالين يرتكز على مجالات تنظيم اجتماعى تختلف عن التى يقوم عليها المجال الآخر، ويهدف لتحقيق مهام اجتماعية مختلفة، وأن هناك تسلسلا هرمياً بين الاثنين. وبينما كان يُنظر إلى مبادئ العمل العام فى المجال الثقافى والبحثى على أنها من سمات التقدم التى يتسم بها العالم المعاصر والمتقدم، فإن قواعد السلوك داخل الأسرة كانت تعتبر ذات سمات اجتماعية تقليدية، تنتمى إلى المجتمع التقليدي، وإلى عالم الماضي، وتقوم على النظام الأبوي.

صاحب هذا التمييز بين المجالين العام والخاص تميز بين الجنسين. ورغم أن التمييز بين المجالين العام والخاص لم يصبح

واضحاً سوى فى العصر الحديث، فقد كانت الفوارق البيولوجية مبرراً للزعم بوجود فارق بين الجنسين فى الوظيفة الاجتماعية، بما يسمح بتصوير توزيع المهام بين الجنسين- على أساس النوع- على أنه توزيع طبيعي. لم تتسبب هذه الافتراضات الثقافية فى ظهور توزيع معين للمهام بين الجنسين فحسب، بل أسهمت فى تكريس نظرية سيطرة أحد الجنسين على الآخر. ورغم حدوث تغييرات عديدة فى الحدود بين الخاص والعام وعدم ثبات هذه الحدود إلا أن التمييز بين المجالين لا يزال قائماً ويؤثر على الكيفية التى ينظر بها الناس إلى الواقع ويفسرونه ويشكلونه من خلال العمل التنظيمى الاجتماعى والنموذجي.

أدى التفضيل الثقافى الممنوح لمجال العمل العام إلى دفع النساء إلى دخول معترك العمل العام، من أجل ممارسة حقوقهن الإنسانية وتحقيق المساواة. وشهدنا تزايد مشاركة النساء فى مجال العمل العام بتفرعاته المختلفة، اعتباراً من بداية القرن العشرين. غير أن عدم المساواة بين الجنسين- الذى نلاحظه فى مجال الأجور والسلطات والمكانة- لا يزال موجودا! حيث تدخل النساء لمجال الوظائف العامة منذ البداية فى وظائف ثانوية وهامشية، كأنهن يدخلن إلى مجال لا يخصهن، أو كأنهن يدخلن إلى مجال العمل العام بسبب وضعهن الأسري. والأدهى من ذلك أنهن سقطن أسيرات الأيديولوجية التى تزعم وجود تعارض بين عملهن فى المنزل وعملهن العام. وبالتالى فقد أصبح تزايد وجود النساء فى مجال العمل العام آلية لنقل التمييز بين النوعين إلى مجال العمل العام. وأصبحت مشكلة الهوية الجنسية موجودة فى كافة المجالات. وينطبق هذا على كافة النساء. ولكن عند اللقاء بين قوى التمييز على أساس النوع وقوى التمييز والقهر الأخرى - على أساس الانتماء الطبقى أو الأصل أو العرق - تمر النساء بتجارب مختلفة، وتنطوى هذه التجارب على أساس جنسى قوى ومشترك، ويكون لها تأثير مؤسس لاحتياجات وهويات جنسية مختلفة للنساء القادمات من طبقات مختلفة ومن أصول مختلفة ومن قوميات مختلفة.

وفى إسرائيل يتجلى تأثر المواطنة بالجنس أو النوع فى القوانين الأساسية التى تكفل المساواة للنساء،ومنها قانون الخدمة العسكرية (١٩٤٩)، وقانون المساواة فى الحقوق للنساء (١٩٥١). وقد صيغت هذه القوانين بمصطلحات تنطوى على التعميم فيما يخص الجنس أو النوع. فى هذه القوانين يُنظر إلى النساء فى المقام الأول فى إطار عملهن المنزلى على أنهن أمهات أو فى حكم الأمهات. ولكن هذا لا يجعل عملهن قاصر على البقاء فى البيت، وإنما يربطهن بالمجال العام من خلال المجال المنزلي. حيث يتم النظر إلى الأمومة على أنها الإسهام الرئيسى لصالح الجماعة، وقد كان هذا هو المنطق الذى برر حق النساء فى المساواة.

***

يفرز نظام الوعى بمسألة النوع توزيعاً أساسياً للعمل بين العمل المنتج بأجر وبين العمل بدون أجر فى البيت والإنجاب. ويترتب على هذا النظام فى سوق العمل ترتيب هرمي، كما يترتب عليه تهميش وظلم، قائمان على أساس النوع. ويأتى تهميش النساء فى سوق العمل بناء على الافتراض الثقافى بأن من المفترض فى النساء أن يؤدين مهامهن المنزلية فى المقام الأول، حيث تعتبر المرأة عائل ثانى بمعنى أنها مضطرة "لكسب" حقها فى المشاركة فى سوق العمل، ودفع مقابل ذلك بقبول وظيفة مؤقتة، أو لبعض الوقت، أو بأجر منخفض، أو بقيد على ترقيتها وحجم سلطاتها وما إلى ذلك، وذلك بسبب القيود التى تفرضها مهمتها كأم، وبسبب افتراض وجود تعارض لا يمكن إيجاد حل له بين العمل المنزلى والعمل فى السوق. وتؤثر هذه المواقف بالطبع على فرص النساء فى سوق العمل وعلى ترقيتهن وعلى تفانيهن فى العمل وعلى تقييم عملهن وعلى أجورهن فى سوق العمل. مع مطلع الألفية الثالثة تمثل النساء نسبة ٤٦٪ من القوة العاملة المدنية فى إسرائيل، ولكن أجورهن فى المتوسط تقل عن أجور الرجال بنحو الثلث. ولا يكاد يكون هناك تغير فى التفاوت بين أجور الرجال والنساء منذ منتصف العقد السابع من القرن العشرين رغم الزيادة فى تعليم وثقافة النساء ورغم الخبرات التى تجمعت لدى النساء فى سوق العمل. وفى إسرائيل يمكن للنوع أن يفسر التفاوت فى الأجور بين اثنين يعملان فى نفس المهنة ولهما نفس المؤهلات والخبرات. ويفوق تأثير النوع فى هذا الصدد تأثير الأصل العرقى أو القومي. فالنساء اللاتى يعملن فى الوظائف العامة- التى يعمل فيها الرجال- يحصلن على أجور أقل، ويترقين بمعدل أبطأ، ولا يصلن إلى مراكز السلطة والسيطرة سوى بالكاد. وقد بلغت نسبة النساء بين من يحصلون على أجر يقل عن الحد الأدنى للأجور إلى ٦٠٪. كما بلغت نسبتهن بين من يحصلون على إعانة استكمال دخل ٦٢٪. وبلغت نسبتهن بين العاطلين عن العمل ٦٠٪، وفى حالات انتشار البطالة يكون النساء أول من يُفصل من العمل.

يعتبر التمييز على أساس النوع من أقوى الآليات المؤثرة فى سوق العمل، رغم وجود إيهام بأن هناك سوق مفتوح للجميع، إذ أن فرص النساء مشروطة من الناحية العملية بإمكانية استيعاب النوعين فى السوق، الذى يفرز أيضاً فصلاً قائماً على النوع بين مجالات العمل، ويفرز ترتيباً تسلسلياً قائماً على النوع بين هذه المجالات، وداخل كل مجال منها. فينجح النساء فى الدخول بسهولة إلى المجالات التى تعتبر مجالات عمل نسائية، أو للمجالات التى تقل مكانتها، أو يقل مستوى الأجور فيها. فمع خروج الرجال من هذه المجالات يصبح هناك مكان للنساء. ويتسبب دخول النساء فى هذه المجالات فى جعلها مجالات عمل "نسائية". وبذلك تنشأ دائرة مفرغة تقلل القدرة على المساومة فى هذه المجالات، وتقلل من مكانتها ومن الدخل الذى يمكن

تحقيقه من العمل فيها. ويصحب ذلك تبريرات تزعم أن هذه مهن نسائية. ولا شك أن إسباغ طابع نسائى على مجال عمل معين يسهم فى خلق هذه الدائرة المفرغة ويضيف حلقة جديدة للسلسلة. ويسمح هذا النمط بدخول نساء إلى سوق العمل دون تهديد وجهة النظر العامة بشأن توزيع المهام بين النساء والرجال.

***

يعد الجيش مجالاً آخر من المجالات التى تلتحق بها المرأة بناء على تقسيم قائم على النوع. فالمقاتلين الذين يتمتعون بالقوة والمكانة رجال. أما النساء اللاتى يخدمن فى الجيش فيعملن فى مهام خدمية وتمريضية وفى المهام التى يمكنهن فيها أن يكن بديلاً للرجال. وفى كثير من الحالات تجد النساء أنفسهن خاضعات لسلطة قادة من الرجال. وتتجاوز قدرة الجيش على التقسيم بناء على الجنس فترة الخدمة العسكرية. حيث ينجح الرجال فى استبدال خدمتهم العسكرية بمواقع أفضل فى السوق الاقتصادى والسياسي. وخلال انتقالهم إلى الحياة المدنية ينقلون معهم إلى مجال العمل المدنى والسياسى أنماط الفكر القائمة على التمييز بناء على النوع.

حصلت النساء على حق المشاركة السياسية فى الانتخابات فى إسرائيل فى بداية العقد الثانى من القرن العشرين، مع بدايات الديموقراطية الإسرائيلية (فى المستعمرات اليهودية التى أقيمت فى فلسطين فى تلك المرحلة فى الفترة السابقة على قيام دولة إسرائيل). ولكن لم يكن فى المشاركة الكاملة للنساء وإعطائهن حق التصويت ما يكفل تغيير توزيع المهام بناء على النوع. وأصبحت السياسة ساحة أخرى من ساحات العمل القائم على التمييز بين الجنسين، حيث ينخفض تمثيل النساء فى السياسة المحلية، وتقل نسبة النساء فى المناصب الحزبية عن نسبتهن بين أعضاء الأحزاب. وكلما زادت أهمية المناصب السياسية وزاد تأثيرها قلت نسبة تمثيل النساء فيها. وتمت تنحية النساء إلى مواقع ثانوية فى المنظمات السياسية وفى المناصب التى يتولينها. وتهتم كثير من المنظمات النسائية بما تطلق عليه اسم "عالم النساء" والمسائل المتعلقة بالبيت والأسرة، مثل العنف ضد النساء والأطفال والاغتصاب ودور الحضانة والنساء المعلقات. وتعد الأعمال الأدبية والمسرحية والفنية هى الآلية التى تجعل العمل العام يعبر عن المجتمع بكل معنى الكلمة.

فى إسرائيل يعتمد التقسيم التعسفي للعالم إلى حد كبير على الثقافة الأبوية التقليدية، التى تأصلت بين اليهود، وبين الفلسطينيين من مواطنى الدولة. وقد أدى وصف الدولة بأنها دولة يهودية، وعدم الفصل بين الدين والدولة إلى وضع لبنة أخرى لدعم وجهات النظر التقليدية، التى تدعم النظام القائم على التمييز حسب النوع. وتتضمن ترتيبات الوضع الراهن التى تسعى للحفاظ على الطابع اليهودى للدولة إعطاء سلطة الدولة للجهات الدينية فى مجال الأحوال الشخصية. وبذلك تسهم الدولة فى دعم النظام الأبوى وفى تفضيل الرجال على النساء. وقد دعم الصراع الفلسطينى الإسرائيلى الطويل من قيمة الجيش والعسكرية من ناحية ومن قيمة الأسرة والحياة العائلية من ناحية أخرى. وأخيراً فإن النظرية القومية الصهيونية تعطى أهمية وطنية للنساء باعتبارهن أمهات الأمة، ليس فقط بالمفهوم الرمزى للمصطلح، بل وبالمفهوم العملى أيضاً. فالنساء هن اللاتى يلدن ويربين أبناءهن، وهن على استعداد للتضحية بهؤلاء الأبناء فى الصراع من أجل الحق المشترك لهذه الأمة، وهكذا فمن خلال العمل المنزلى تتحول النساء إلى جزء من المجال العام، الذى يدعم هويتهن الجنسية المؤسسة للحق فى إطار ترتيبات قائمة على الفصل بين النوعين.

دولة الرفاه

بقلم: جونى جل

رغم الاستخدام واسع النطاق لمصطلح دولة الرفاه سواء فى الخطاب السياسى والاجتماعى أو فى الخطاب الفنى المتخصص، لا يوجد من الناحية العملية اتفاق حول المعنى الدقيق لهذا المصطلح. ومن الممكن أن نجد فى البحوث المتخصصة تعريفات متعددة لدولة الرفاه، تعكس الاتجاهات النظرية للباحثين، والمبادئ التى يعتنقونها، أو تعكس السمات المحددة للحالة التى يقومون ببحثها. يزعم بعض الباحثين أن وجود أجهزة خدمة اجتماعية فى دولة معينة يكفى لاعتبارها دولة رفاه. ولكن بعكس هذا الاتجاه – الذى يميل إلى الأخذ بالحد الأدنى لما يمكن وصفه بدولة الرفاه – فهناك باحثون آخرون يؤكدون على الاختلاف الكبير بين دول أوربا الغربية وأمريكا الشمالية التى توصف بصفة عامة بأنها دول رفاه. ويزعم الباحثون أن عدم وجود تعريف واضح لدولة الرفاه يرجع إلى عدم وجود نموذج عام لدولة الرفاه، حيث توجد نماذج شديدة التباين لدولة الرفاه فى أماكن مختلفة. وعلى سبيل المثال فإن نموذج دولة الرفاه فى الدول الاسكندنافية يختلف تماما عن النموذج المعروف فى النظم الليبرالية

كالولايات المتحدة وكندا، وكلاهما يختلف تمام الاختلاف عن نموذج دولة الرفاه المتحفظة المنتشر فى وسط أوربا ومن أمثلته ألمانيا.

ورغم الاختلاف والتباين بين الدول المختلفة التى توصف بأنها دول رفاه فإن هناك عدة سمات مشتركة بين كافة دول الرفاه تتيح لنا الوصول إلى تعريف لها، يميز بين الدول التى تعد دول رفاه والدول التى لديها أجهزة خدمة اجتماعية تلبى بعض احتياجات مواطنيها، ولكن لا يمكن وصفها بأنها دول رفاه. ونظراً للتكلفة المرتفعة المرتبطة بتشغيل أجهزة الخدمة الاجتماعية فى دول الرفاه، فإن جميع هذه الدول تنتمى إلى الدول الصناعية المتطورة والثرية نسبياً. أضف إلى هذا أن جميع هذه الدول تنتمى إلى الدول الرأسمالية، التى لديها اقتصاد سوق متطور. وتحتاج دولة الرفاه- بالإضافة إلى البنية الأساسية الاقتصادية واسعة النطاق- لوجود نظام ديموقراطى يعترف بالحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمواطنيه. وفى هذا الصدد لا تعتبر الخدمات الاجتماعية التى تقدمها الدولة للمواطنين فضلاً أو إحساناً منها، ولكنها جزء من الحقوق التى يحق لكل مواطن أن يحصل عليها من الدولة. ومن هنا يمكن القول بأن دولة الرفاه هى دولة تلبى الاحتياجات الإنسانية الأساسية لسائر مواطنيها كجزء من حقوقهم السياسية. وبشكل أكثر تحديداً فإن دولة الرفاه تسعى لضمان الأمن الاجتماعى لمواطنيها، من خلال ضمان استمرارية توفر الدخل والغذاء والرعاية الصحية والتعليم والإسكان والعمل والخدمات الاجتماعية الشخصية لسائر المواطنين، وكذلك الحد من التفاوت الاجتماعى بقدر معين. وتتحقق هذه الأهداف من خلال إجراءات تتخذها الدولة بعدة طرق. ومن بين هذه الطرق دفع معاشات بشكل مباشر وتقديم خدمات اجتماعية مباشرة، وضمان تقديم مساعدات غير مباشرة من خلال النظام الضريبى والممارسات المختلفة المرتبطة بالتدخل فى الاقتصاد وفى سوق العمل.

***

إن دولة الرفاه هى ظاهرة سياسية واقتصادية حديثة نسبياً. وكان أول من استخدم مصطلح دولة الرفاه المستشار الألمانى «فون بابن» (١) عام ١٩٣٢ وكان الهدف من وراء استخدامه مهاجمة التشريع الاشتراكى فى الجمهورية الفايمارية (٢). ولم يحمل هذا المصطلح معنى إيجابى سوى فى العقد الرابع من القرن العشرين عندما سعى ويليام تمبل أسقف كونتربرى إلى المقارنة بين حرص النظام الديموقراطى البريطانى على رفاهية مواطنيه وبين الوضع فى ألمانيا النازية.

لم تبدأ فكرة مسئولية الدولة عن رفاهية مواطنيها بالطبع مع ظهور دولة الرفاه المعاصرة. وتعد «قوانين الفقراء» التى صدرت فى بريطانيا عام ١٦٠١ قوانين طليعية فى هذا الصدد، نظراً لأنها قررت للمرة الأولى التزام الدولة نحو رفاهية مواطنيها. غير أن هذه القوانين والقوانين التى تلتها فى بريطانيا وغيرها كانت تركز بشكل أساسى على مسئولية الدولة عن أولئك الذين ليس فى استطاعتهم كسب الحد الأدنى، الذى يضمن لهم حياة كريمة دون مساعدة من الناس. أضف إلى هذا أن مساعدة الدولة فى هذه الحالات كانت محدودة، وكانت مصحوبة بشروط مخزية ومهينة. ولكن كان هناك نموذج لدولة الرفاه شبيه بنموذج دولة الرفاه المعاصرة تحقق فى ألمانيا فى العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر. فقد أقام المستشار بسمارك لأسباب سياسية- وكجزء من صراعه ضد الحركة الاشتراكية الديموقراطية- نظام تأمينات اجتماعية تحت مسئولية الدولة قام فى إطاره بتوفير تأمينات اجتماعية للعمال فى حالة عدم قدرتهم على كسب رزقهم من العمل نتيجة لحوادث العمل أو نتيجة للشيخوخة.

يمكن فى المقام الأول الربط بين تطور دولة الرفاه فى القرن العشرين وبين الأزمة الاقتصادية التى واجهت الدول الصناعية كافة فى العقد الثالث من القرن العشرين. ورغم أن جميع هذه الدول قد تبنت برامج تأمينات اجتماعية مختلفة فى السنوات الأولى من القرن العشرين، وأن وتيرة تبنى هذه البرامج تزايدت بعد الأزمة الاقتصادية التى نتجت عن الحرب العامة الأولى، إلا أن الرأى الاقتصادى الذى كان رائجاً حتى الأزمة الاقتصادية التى شهدها العقد الثالث من القرن العشرين كان يزعم أنه لا يجب المساس بآليات عمل السوق الحرة وأن على الدولة الامتناع عن التدخل فى سوق العمل بهدف مكافحة البطالة، وبالطبع أنه لا يجب على الدولة تشجيع البطالة عن طريق تقديم مساعدات اقتصادية سخية. ولذلك فإن البرامج الاجتماعية التى تم تبنيها كانت تركز أساساً على الفئات التى تعمل، وتسعى للدفاع عنها ولحمايتها من أخطار حوادث العمل والشيخوخة والبطالة.

تسببت الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى واجهها العالم الصناعى بعد انهيار بورصة وول ستريت عام ١٩٢٩ واتساع نطاق البطالة الذى تلاها فى حدوث تغييرات بالغة فى هذا التوجه. فللمرة الأولى كان هناك تهديد يتمثل فى احتمال أن يتسبب العاطلون والمشردون الذين أيدوا الحركات الراديكالية فى تغيير النظام الاجتماعى القائم. وكان هناك أيضاً شعور بأن الحلول الاقتصادية الكلاسيكية غير قادرة على التعامل مع الأزمة الاقتصادية. وكانت الحاجة إلى البحث عن اتجاه يحافظ على استقرار النظام الرأسمالى والحاجة لخلق نظام اجتماعى يضمن الحياة المعقولة حتى لغير القادرين على العمل- ممن ليس لهم ذنب فى هذا الوضع- سبباً فى ظهور دولة الرفاه. وبالفعل ففى نهاية العقد الثالث من القرن العشرين وُضعت الأسس لدولة الرفاه فى دول متعددة، وتمثل ذلك سواء فى «الصفقة الجديدة» التى طرحها روزفلت فى الولايات المتحدة، أو فى إطار مفهوم «بيت الشعب»

فى السويد، أو فى القوانين الاجتماعية المختلفة التى تبنتها دول أخرى.
جاءت الحرب العامة الثانية لتقطع سياق هذا التطور من ناحية، ولكن من ناحية أخرى كانت تجارب الحرب الرهيبة التى تشارك فيها مواطنو دول أوربا الغربية، والشعور بالمشاركة فى المصير الذى نشأ أثناء الحرب، وكذلك الرغبة فى خلق مجتمع أفضل بعد انتهائها سبباً فى خلق أساس أفضل لبناء دولة الرفاه بعد نهاية الحرب. وبالفعل فبعد انتهاء الحرب الثانية أصبح من الممكن الحديث عن «عصر دولة الرفاه».
يمكن ربط النموذج الأساسى لدولة الرفاه ببريطانيين هما «جون مينارد كينز» و«ويليام بفريدج». زعم رجل الاقتصاد «كينز» فى كتاباته- التى نشرها فى نهاية العقد الثالث من القرن العشرين- أن الطريقة الوحيدة التى يمكن للدولة الرأسمالية أن تنجو بها من الأزمة هى التدخل الحكومى لتحقيق الاستقرار فى السوق الحرة. وزعم كينز أن الحكومة لابد أن تستخدم ميزانيتها فى التوجيه والمساعدة فى تنظيم أداء السوق وضمان عمل للجميع. وزعم كينز أن أهداف استقرار السوق وضمان عمل للجميع يمكن تحقيقها بواسطة النمو الاقتصادى المتواصل، الذى يتحقق عن طريق الاستثمارات الحكومية، وتقديم الإعانات الحكومية للمواطنين من خلال أجهزة الخدمة الاجتماعية، والاستعداد لقبول وجود عجز موازنى فى فترات الكساد الاقتصادي.
كان السبب الأساسى فى ارتباط اسم ويليام بفريدج بدولة الرفاهية هو الوثيقة التى قدمها للحكومة البريطانية عام ١٩٤٢، بشأن تنظيم الخدمات الاجتماعية فى البلاد، وسميت «خطة بفريدج». كانت هذه الخطة بمثابة خطة عمل لخلق دولة رفاه. وزعم بفريدج فى هذه الوثيقة أن من الممكن محاربة الفاقة والقضاء على الفقر عن طريق خلق فرص عمل للجميع وإقامة أنظمة شاملة للتأمينات الاجتماعية تضمن لكل إنسان الحد الأدنى من مقومات الحياة وإمكانية الحصول على الخدمات الاجتماعية والتعليمية والصحية بغض النظر عن دخله.
تميزت وثيقة بفريدج بأنها اقترحت إقامة نظام يخدم جميع المواطنين ويموله جميع المواطنين. لم يعد نظام الخدمة الاجتماعية موجهاً لخدمة المحتاجين والمهمشين وحدهم وإنما..؟أصبح نظاماً يكفل الحياة الكريمة لكل فرد فى المجتمع- من يوم ميلاده إلى يوم وفاته- بغض النظر عن طبقته أو مكانته أو حالته. ونجح بفريدج من خلال هذا البرنامج فى نقل الاهتمام بهذه الأمور من هامش العمل السياسى والاجتماعى إلى مكان الصدارة من الحياة السياسية والاجتماعية. وكان الهدف من عمله هو خلق شعور لدى كافة الطبقات السكانية بأن لديها مصلحة فى وجود نظام دعم اجتماعى غير موجه للفقراء والمساكين وحدهم، وإنما موجه لتقديم خدمة اجتماعية وتأمين اجتماعى لسائر مواطنى الدولة. وبمعنى آخر فقد كان برنامج بفريدج برنامجاً عاماً، لا يتقيد استحقاق الخدمات المقدمة فى إطاره بتقييم مدى حاجة الإنسان، وإنما يقدم الخدمات للمواطنين كافة على أساس عام. وقد حظى برنامج بفريدج - الذى نُشرت أخباره فى لحظة من لحظات السقوط البريطانية فى الحرب العامة الثانية - بشعبية هائلة. ولم تبد الحكومة البريطانية برئاسة تشرشل فى البداية حماساً شديداً لهذا البرنامج، ولكنها اضطرت فى النهاية لتبنيه بالكامل. ويبدو أن ردود الفعل عليه كانت نتيجة للتوقيت الذى نُشر فيه، وللمغزى الذى كان يحمله. فقد قدم هذا البرنامج للشعب البريطانى المبرر لاستمرار الحرب، والذى تمثل فى الأمل فى خلق مجتمع أفضل بعد تحقيق النصر.

***

كانت العقود الثلاثة التى تلت الحرب العامة الثانية عقود ازدهار لدولة الرفاه. فقد تبنت جميع الدول الرأسمالية فى أوربا وأمريكا واستراليا دولة الرفاه. ورغم عدم تبنى أى دولة - حتى بريطانيا - لتقرير بفريدج حرفياً، فقد كان هذا التقرير مصدر إلهام لبرامج إعادة بناء الدول التى خاضت الحرب. وكان الدافع لتطور دولة رفاه فى كافة الدول الديموقراطية الصناعية هو النمو الاقتصادى السريع الذى تميزت به اقتصاديات تلك الدول فى العقدين الخامس والسادس من القرن العشرين، والشعور بالتكافل الذى نشأ فيها فى فترة الحرب، وسعى صناع القرار فى تلك الدول إلى خلق مجتمعات تقدم لمواطنيها فرص عمل ومستوى معيشة أفضل من المتاح فى الدول الشيوعية، التى تقع خلف الستار الحديدي، حيث قامت هذه الدول بطريقة أو بأخرى بتنفيذ برامج تأمينات اجتماعية تحمى المواطنين من أخطار مختلفة، وطورت أجهزة حكومية شاملة تتولى المسئولية عن الإسكان والتعليم والصحة، وتخلق أجهزة خدمة اجتماعية شخصية وأجهزة إغاثة، وتعمل على تقليل مساحة الفقر والحد من التفاوت الاجتماعي. وأدى النمو الاقتصادى المتواصل فى هذه الدول- بما يتفق مع نظرية كينز- وتوفير فرص عمل للجميع، إلى خلق إجماع عام مؤيد لدولة الرفاه وأفكارها بما أتاح الفرصة للقيام بإنفاق مالى على نطاق واسع لضمان تقديم الخدمات الاجتماعية الحكومية. وإذا كانت دول الرفاه فى عام ١٩٦٠ قد أنفقت نحو ١٠٪ من إجمالى نفقاتها على الخدمات الاجتماعية، فقد تضاعف متوسط النفقات على الخدمات الاجتماعية فى تلك الدول عام ١٩٧٥ ليصل إلى أكثر من ٢٠٪ من الناتج المحلى الخام لها. وبينما فى العقد الثالث من القرن العشرين كانت نسبة ٥٠٪ فقط من السكان هى التى تتمتع بتغطية تأمينية ضد ضياع دخلها نتيجة لحوادث العمل أو البطالة أو الشيخوخة، فقد بلغت نسبة من يحظون بالتغطية التأمينية ضد هذه الأخطار فى عام

١٩٧٥ نحو ٩٠٪ من القوة العاملة.

بدأ هذا التطور السريع والشامل لدولة الرفاه فى إبطاء إيقاعه اعتباراً من منتصف العقد السابع من القرن العشرين. وأدت أزمة النفط التى واجهت العالم الصناعى فى عام ١٩٧٣ نتيجة لحظر النفط الذى فرضته الدول المنتجة للنفط، وإبطاء معدلات النمو الاقتصادى وتزايد معدلات البطالة إلى حدوث أزمة اقتصادية فى تلك الدول. أضف إلى هذا أن الانخفاض المتواصل فى معدلات المواليد منذ نهاية الحرب العامة الثانية والزيادة الكبيرة فى متوسط الأعمار أدى إلى تغيير ديموجرافى كبير، تمثل فى زيادة أعداد كبار السن ونقص القوة العاملة. وتسببت الأزمة الاقتصادية والتغييرات الديموجرافية فى زيادة كبيرة فى عدد السكان المحتاجين للخدمات الاجتماعية فى دولة الرفاه، وفى انخفاض فى مصادر التمويل المتاحة لتمويل تلك الخدمات. وتسبب هذا الوضع- الذى يُطلق عليه فى بعض الأحيان «أزمة دولة الرفاه»- فى طرح علامات استفهام صريحة حول فكرة دولة الرفاه، وحول الافتراضات الأساسية الاقتصادية والاجتماعية التى قامت عليها دولة الرفاه، وحول التطور المستقبلى لها.

فى العقدين التاليين لظهور «أزمة دولة الرفاه» أصبح من الواضح تماماً أن هناك مبالغة شديدة فى الخوف من احتمال زوال دولة الرفاه من العالم. ورغم الإبطاء فى معدل زيادة الإنفاق على النواحى الاجتماعية، والنقص الشديد فى تنفيذ برامج اجتماعية جديدة، والتشدد فى ظروف استحقاق الحصول على خدمات اجتماعية معينة فى تلك الفترة، إلا أنه لم تحدث تغييرات مبالغ فيها فى أى من دول الرفاه، حتى تلك التى سيطر عليها قادة لا يؤمنون بفكرة دولة الرفاه، مثل رونالد ريجان فى الولايات المتحدة ومارجريت تاتشر فى بريطانيا. وبالتالى فلا يزال معدل الإنفاق على الخدمات الاجتماعية فى دول الرفاه الآن يصل إلى نحو ثلث الناتج القومى الخام لهذه الدول.

ومع هذا فإن دولة الرفاه الموجودة حالياً تختلف اختلافاً شديداً عن تلك التى كانت موجودة فى السنوات السابقة على الأزمة من نواحى عديدة. أولا لأنها تعمل فى بيئة اقتصادية مختلفة تمام الاختلاف، تتسم بالعولمة وتزايد الارتباط المتبادل، كما تتسم بإبطاء النمو الاقتصادي، وحدوث تغيرات هامة فى سوق العمل. وقد تمثل هذا فى تقبل حالات عدم وجود عمل والعمل لبعض الوقت. وثانيا، لأن المؤسسات الخاصة والمؤسسات غير الهادفة للربح أصبحت تلعب دوراً أكبر فى تقديم الخدمات الاجتماعية للمواطنين. كذلك فقد تعرض مجال الخدمات الاجتماعية لعملية خصخصة، ورغم أن ذلك لم يؤد إلى نقص شديد فى تكلفة الخدمات الاجتماعية إلا أنه أدى إلى جعل القطاع الخاص مسئولاً عن تقديم نسبة كبيرة من الخدمات الاجتماعية بدلاً من الدولة. وثالثاً، إلى جانب التأييد الشديد لتدخل الدولة من أجل ضمان تقديم تأمينات اجتماعية وخدمات اجتماعية على مستوى عالى يتزايد فى دول الرفاهية الاعتراف بأن دولة الرفاهية ليست قادرة على حل المشكلات الاجتماعية التى تواجهها الدول النامية منذ سنوات طويلة. وعلى سبيل المثال فإن أغلب دول الرفاه لم تنجح بعد فى مواجهة مشكلات الفقر والتفاوت الاجتماعى التى تتزايد حدتها بمضى الوقت. وبناء على ذلك فإن بول بيرسون (٢٠٠١) الباحث فى شئون دولة الرفاه يصف حالة دولة الرفاه الآن وفى المستقبل المنظور بأنها حالة «تقشف دائم» (Permanent Austerity).

دولة الرفاه فى إسرائيل

بقلم: زئيف روزنهيك

تمثل دولة الرفاه أحد الأسس الرئيسية للنظام السياسى الاجتماعى الذى تتسم به النظم الرأسمالية المتقدمة، حيث لها تأثير كبير على الجوانب الرئيسية فى الحياة الاجتماعية مثل نشاط الساحة الاقتصادية وعلاقتها بالساحة السياسية، وكيفية تحديد الفرص المعيشية للأفراد والجماعات، والعلاقات بين الدولة ومواطنيها. وقد قامت دولة الرفاه على مبدأ المشاركة الفعالة للسلطة- أو للدولة- فى توزيع الموارد الاقتصادية. تقوم دولة الرفاه باستبعاد جزئى لتوزيع الأدوات الاستهلاكية وبعض الخدمات الاجتماعية من السوق، وبذلك تحمى مواطنيها من خطر الاندماج التام فى نشاط السوق الاقتصادى كعنصر يحتكر التأثير على فرص معيشتهم. ولذلك فإن تدخل الدولة المباشر فى توزيع الموارد على المواطنين، وفقاً لمعيار سياسي، يرتبط بتغيير بالغ فى نسبة انتشار عدم المساواة فى المجتمعات الرأسمالية. وكما ذكر مارشال (١٩٥٠) فإن هذا التدخل من جانب الدولة يحظى بالقبول والشرعية من خلال توسيع نطاق مصطلح المواطنة، الذى أصبح الآن لا يقتصر على ضمان الحقوق السياسية والمدنية، وإنما امتد إلى ضمان الحقوق الاجتماعية والاقتصادية.

وإذا كانت نشأة دولة الرفاه ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتوسيع نطاق مفهوم المواطنة فحرى بنا أن نتذكر أن هناك فئات اجتماعية

معينة- مثل النساء والأقليات العرقية- لم تدخل فى قائمة من يتمتعون بالمواطنة سوى بشكل جزئي. بمعنى أنه رغم الأسس العامة التى يحملها مصطلح المواطنة، فإنه لا يتضمن الطبقات الضعيفة سياسياً واجتماعيا. وحتى عندما توصف الحقوق الاجتماعية بصفة عامة بأنها عامة ومكفولة لكافة السكان، فلا يوجد ما يؤكد أن الفئات المقهورة سوف يُكفل لها الحصول على تلك الحقوق. فى ضوء هذا يمكن أن ندرك أن مفهوم دولة الرفاهية- كنظام متشعب- لا يترتب فقط على أنها تضعف من ارتباط المواطنين بوضعهم فى السوق، وإنما يترتب على اختلاف نشاطها مع اختلاف الفئة الاجتماعية الموجه لها هذا النشاط. ويفرز هذا الاختلاف نظاماً متشعباً تتعرض فيه الفئات المختلفة لتأثير قوى السوق وتختلف قوة ارتباطها به. وتتسبب المبالغة فى تعريض الفئات الاجتماعية المقهورة- التى لا تتعرض فيها دولة الرفاهية لتأثير قوى السوق- فى تزايد ضعف مكانتها فى سوق العمل، وتزايد القهر الذى تتعرض له فى النظام الاجتماعي.

***

رغم السيطرة الطويلة لحركة العمل الصهيونية على النظام السياسى فى إسرائيل (حيث سيطرت على المؤسسات الطائفة للطائفة اليهودية قبل قيام الدولة وعلى مؤسسات الدولة اعتباراً من عام ١٩٤٨)، ورغم وجود منظمة عمالية شمولية وقوية، فإن دولة الرفاه الإسرائيلية لم تنشأ وفقاً للنموذج الاشتراكى الديموقراطى القائم على السياسة الاجتماعية. فبعكس هذا النموذج تتسم دولة الرفاه الإسرائيلية بانخفاض مستوى المعاشات والإعانات الاجتماعية فيها، والتوسع النسبى فى تنفيذ البرامج الانتقائية القائمة على بحث الموارد المتاحة، وبالطبع تطبيق ممارسات إقصاء رسمية وغير رسمية لفئات اجتماعية مختلفة. وبصفة عامة يمكن الزعم بأن دولة الرفاه الإسرائيلية تعطى درجات مختلفة من الحماية- فى مواجهة قوى السوق- للفئات السكانية المختلفة، وفقاً للانتماء العرقى والقومى والمدني. وبذلك فإنها تمثل عنصراً هاماً لا يعكس التكوين الهرمى للسيطرة العرقية والقومية فى المجتمع فحسب، وإنما يسهم فى تشكيله (وهذا التكوين الهرمى مرتب على النحو التالي: يهود إشكناز، يهود شرقيين، فلسطينيين مواطنى الدولة، فلسطينيين من الأراضى المحتلة، عمالة مهاجرة).

ترجع الجذور التاريخية لدولة الرفاه الإسرائيلية إلى النظام المؤسسى الذى نشأ فى المجتمع اليهودى فى فلسطين فى الفترة السابقة على قيام دولة إسرائيل. كان هذا النظام مكوناً من لبنتين أساسيتين واضحتين وهما: جهاز الخدمة الاجتماعية التابع للاتحاد العام للعمال (الهستدروت) الذى وجه نشاطه للعمال أعضاء الاتحاد، وجهاز الخدمة الاجتماعية التابع لمكاتب الخدمة الاجتماعية المحلية والذى تولى التعامل مع «العناصر غير المنتجة» فى المجتمع. ورغم اعتماد الجهازين على موارد عامة (ولاسيما الموارد القادمة من المؤسسات اليهودية، فضلاً عن الموارد القادمة من بريطانيا دولة الانتداب، وهى موارد كان الاعتماد عليها أقل إلى حد كبير) فإن المعونة التى قدمها اتحاد العمال كانت تعتبر حقاً للأعضاء، ووسيلة لتحقيق الأهداف القومية، بينما كانت المعونة التى قدمها الجهاز الآخر أقل فى مستواها وحجمها وكان ينظر إليها على أنها إحسان. ويرتبط هذا التمييز بالمهمة الرئيسية التى أدتها خطط التنمية الاجتماعية المختلفة، وخاصة التى نفذها الاتحاد العام للعمال فى عملية بناء الدولة الصهيونية. جرى القيام بخدمات اجتماعية مثل تقديم الخدمات الصحية والإسكان المدعم ومساعدة العاطلين وإقامة مكاتب العمل وما إلى ذلك كوسيلة لضمان الحد الأدنى من المستوى المعيشى الكريم، الذى يتيح للمستعمرين الصهاينة البقاء والاستقرار فى البلاد، وهو أمر كان شديد الأهمية لنجاح المشروع الصهيوني. وتمثل هذا بوضوح فى محاولة استخدام الخدمات الاجتماعية كوسيلة لدعم العمال اليهود (ذوى الأجور المرتفعة)، ومساعدتهم بهذه الطريقة فى المنافسة ضد العمال العرب (منخفضى الأجور) فى سوق العمل. وكان من بين نتائج النشاط الذى قام به الاتحاد العام للعمال فى المجال الاجتماعى خلق ارتباط بين المستعمرين الصهاينة وبين الأجهزة السياسية بهدف الحصول على موارد هامة وفرص عمل وإسكان وخدمات صحية. وبذلك أسهم تقديم هذه الخدمات- كوسيلة أساسية للدعم السياسى من جانب المستعمرين- لصالح مؤسسات حركة العمل الصهيونية، مما أسهم بشدة فى تدعيم مكانة هذه الحركة، التى كانت المسيطرة على المجتمع اليهودى فى الفترة السابقة على قيام الدولة.

ظلت بعض الأنماط وأساليب العمل التى تبلورت فى الفترة السابقة على قيام الدولة سمة مميزة لدولة الرفاهية فى إسرائيل بعد عام ١٩٤٨، ولاسيما فى العشرين عاماً التى تلت إعلان قيام الدولة. وكان أبرزها ما يلي: تطبيق خطط اجتماعية لدعم الأهداف المتعلقة ببناء الدولة، والتمييز المؤسسى الصارخ وعدم المساواة الشديد فى الخدمات الاجتماعية، الموجهة للفئات السكانية المختلفة، واستخدام مؤسسات غير حكومية لتقديم الخدمات، وتجنيد هذه المؤسسات لحشد تأييد سياسي. وأدت استمرارية هذه السياسة- فى الفترة التى تلت قيام دولة إسرائيل- إلى وجود دولة رفاه ترتبط الخدمات الاجتماعية فيها بالأصل العرقى القومي، حيث انقسمت الفئات فيها إلى قدامى المهاجرين (ذوى الأصول الإشكنازية) والمهاجرين الجدد (الذين كان أغلبهم من الشرقيين) والمواطنين الفلسطينيين الذين تفاوت مستوى الخدمات التى حصلوا عليها، ومستوى قدرتهم على الوصول للموارد العامة حسب موقعهم من المجتمع السياسي.

من الممكن أن نرصد أبرز تعبير عن التقسيم فى سياسة الخدمات الاجتماعية فى تلك الفترة وتأثيرها فى مجال الإسكان، الذى احتل مكان الصدارة نظراً للأعداد الكبيرة من المهاجرين الذين توافدوا على إسرائيل. فى العقد الخامس من القرن العشرين شهد مجال الإسكان تبلور عنصرين أساسيين، كان أحدهما بناء إسكان شعبى للمهاجرين اليهود الذين توافدوا على إسرائيل بعد عام ١٩٤٨، وكان الآخر إعداد خطط إسكان موجهة لخدمة قدامى المهاجرين اليهود. وكان هناك فارق كبير بين الجانبين فيما يتعلق بالموقع الجغرافى للإسكان، وفيما يتعلق بحجم السكن ونوعيته. تم بناء قطاع كبير من المساكن المخصصة للمهاجرين فى المناطق النائية من الدولة، وفى مقابل ذلك جرى بناء إسكان شعبى لقدامى المهاجرين فى المدن الكبرى وفى المستعمرات الغنية. وكان هناك فارق كبير بين الطرفين أيضاً فيما يتعلق بمساحة المسكن وعدد الغرف فيه. ولم يكن هناك أى نشاط حكومى موجه لبناء مساكن للسكان العرب فى تلك الفترة.

أتاح للحكومة الارتباط التام لجموع المهاجرين بسياسة الإسكان الحكومية، وعدم قدرتهم على إحداث أى تأثير سياسي، أن تستخدم استخدام الإسكان الشعبى كوسيلة لتحقيق أهدافها الجغرافية والسياسية. وتمثل هذا فى بناء مستعمرات لليهود فى المناطق الحدودية المكتظة بالسكان العرب. وكان لهذه السياسة انعكاسات هامة عديدة، لا تزال محسوسة حتى اليوم. كانت القيمة المادية لإسكان المهاجرين ولا تزال منخفضة للغاية. أضف إلى هذا أن المساكن فى كثير من الأحوال ظلت مملوكة للدولة، بحيث لا تصبح فى أى وقت من الأوقات أساساً لتكوين ثروة عائلية. وأخيراً فإن تجميع المهاجرين فى المناطق النائية قلل من حجم الفرص المتاحة لهم ولذريتهم فى مجالات أخرى رئيسية مؤثرة على فرصهم فى الحياة، مثل التعليم وسوق العمل. وفى مقابل ذلك كانت القيمة الاقتصادية والاجتماعية للإسكان الشعبى المدعم- المخصص لقدامى السكان اليهود- كبيرة، وأدى وجوده فى منطقة وسط البلاد إلى توفير فرص لهم فى مجال العمل والتعليم، وهو ما كان بمثابة أداة رئيسية ساعدتهم على تحقيق ثروة.

كانت هناك أنماط مماثلة لتوزيع دولة الرفاه للموارد بشكل يفتقر إلى المساواة- بشكل مباشر وغير مباشر- فى مجالات أخرى عديدة. وعلى سبيل المثال بينما كان قطاع كبير من قدامى السكان اليهود (الذين كانوا يعملون فى سوق العمل الرئيسي) يحظى بتغطية تأمينية تكفل له الحصول على معاش من الاتحاد العام للعمال، من خلال مبدأ الإسهام بجزء من الدخل، وكان الاتحاد يعطيهم- بمساعدة الدعم الحكومى المقدم من الدولة- معاشات كبيرة نسبياً، لم يكن باقى السكان (ولاسيما المهاجرين الجدد والمواطنين الفلسطينيين الذين كانوا يعملون فى سوق العمل الثانوي) يستحقون الحصول على شيء سوى معاش الشيخوخة العام، الذى بدأت مؤسسة الضمان الوطنى فى منحه اعتبارا من عام ١٩٥٣. وكانت هذه المعاشات ولا تزال قائمة على مبدأ توفير سبل الإعاشة الأساسية ولذلك فإن قيمتها كانت منخفضة للغاية. وبالإضافة إلى هذا كانت هناك أجهزة اجتماعية تعمل على المستوى المحلى من أجل ضمان توفير الحد الأدنى من الاحتياجات للفئات المحتاجة. وكانت هذه الأجهزة تعمل وفقا لمبادئ سياسة رفاهية انتقائية، دون إطار قانونى يحدد حقوق المواطنين، ومن خلال إجراءات متعنتة تقوم على انتقاء الحالات بعد بحث مدى احتياجها، فيما كان يعد وصمة لطالبى المعونة، فى ظل غياب معايير رسمية وعامة لتحديد مدى استحقاق المواطن للدعم، وحجم هذا الدعم، وفى ظل التفاوت الشديد فى حجم الدعم الذي تقدمه مكاتب المساعدة الاجتماعية فى المناطق المختلفة. وقد تركز عمل هذا الجهاز بين المهاجرين. ولم يكن له أى وجود تقريباً فى البلدات العربية، وفى بعض الحالات كان يقدم مساعدات محدودة للغاية فى تلك البلدات.

كانت الخطوة الأولى فى تأسيس جهاز ضمان اجتماعى (شبه عام) قائم على مبدأ الحقوق الاجتماعية للمواطنين هى إقامة مؤسسة الضمان القومى عام ١٩٥٣. وكان حجم نشاطها فى البداية محدوداً للغاية وكان قاصراً على ثلاثة برامج، وهى التأمين ضد الشيخوخة، والتأمين ضد حوادث العمل، والتأمين على الأمهات. ومع ذلك فقد تحولت مؤسسة الضمان القومى فى وقت لاحق، وخاصة فى العقد السابع من القرن العشرين، إلى مؤسسة رئيسية رائدة فى تدعيم وتوسيع نطاق دولة الرفاهية فى إسرائيل. كانت أول بادرة تشير إلى ذلك هى البرنامج الذى طرح عام ١٩٥٩ لتقديم معاشات للأسر المعيلة فى إسرائيل، وقد قدم هذا البرنامج معاشات شهرية ضئيلة للغاية للأسر التى لديها أربعة أطفال فأكثر يقل عمرهم عن الرابعة عشرة. وكان الهدف الرئيسى من هذا البرنامج هو الحيلولة دون التهميش الزائد عن الحد لأسر المهاجرين الشرقيين، والحيلولة دون الخطر الذى قد يمثله ذلك على النظام السياسي. وقد اتسع نطاق برامج إعاشات الأطفال بأطوارها المختلفة فى وقت لاحق، ليصبح فى العقدين السادس والسابع من القرن العشرين واحداً من أكبر البرامج وأكثرها فعالية فى مكافحة الفقر (بين السكان اليهود) فى إسرائيل.

يمثل العقد السابع من القرن العشرين العقد الذهبى لدولة الرفاه فى إسرائيل، حتى لو اعتبرناه عصراً ذهبياً قصيراً وجزئياً للغاية. فى تلك الفترة اتسعت وتنوعت برامج التأمينات الاجتماعية التى قدمتها مؤسسة التأمين الوطني، سواء من ناحية

حجمها أو من ناحية الامتيازات التي تقدمها. وكان أكبر مثال يوضح ذلك هو التوسع فى برامج منح إعاشات للأطفال. كذلك فقد تأسست برامج جديدة للتأمينات الاجتماعية مثل برنامج التأمين ضد البطالة الذى بدأ تطبيقه عام ١٩٧٣، وقانون إعانة تأمين الدخل الذى صدر عام ١٩٨٠. وكان الجانب الآخر الواضح فى الاتجاه لعولمة سياسة التأمينات الاجتماعية، والذى يرتبط بتزايد قوة أجهزة الدولة فى مواجهة المنظمات غير الحكومية، هو نزع الطابع السياسى عن نشاط الجهاز الحكومي. وقد أدى هذا إلى تناقص نفوذ الأحزاب والحركات السياسية التى كانت تتصرف كعنصر وسيط بين الدولة والمواطن الذى يتلقى خدماتها. وقد أدى هذا إلى تقليل التمييز المؤسسى بين الأجهزة التى توجه خدماتها لقدامى المهاجرين وبين الأجهزة التى توجه خدماتها للمهاجرين الجدد الذين وفدوا لإسرائيل فى العقد الخامس من القرن العشرين. أضف إلى هذا أن الدولة قد وسعت من نطاق الحماية التى تكفلها للمواطنين اليهود ضد تأثير قوى السوق فى تلك الفترة. وبمعنى آخر فقد تم إخراج مزيد من الأدوات الاستهلاكية والخدمات والامتيازات بعيداً عن تأثير قوى السوق وتوزيعها على المواطنين بموجب معايير الحقوق الاجتماعية. ويتمثل اتساع نطاق دولة الرفاه فى إسرائيل فى الزيادة الكبيرة فى إنفاق الدولة على الخدمات الاجتماعية وبرامج التأمينات الاجتماعية. فبينما كانت هذه النفقات تمثل نسبة ١٣,٢٪ من الناتج القومى الخام عام ١٩٧٠، وصلت نسبتها إلى ٢٠,١٪ عام ١٩٨٠.

كان هذا التطور نتيجة لتضافر عدة عناصر. أولاً: كان اتساع نطاق برامج الرفاهية الاجتماعية رداً من جانب أجهزة الدولة والحزب الحاكم على بوادر ثورة سياسية واجتماعية لدى جيل أبناء المهاجرين، الذين هاجر آباؤهم فى العقد الخامس من القرن العشرين، وهو الجيل الذى بدأ فى الظهور بعد حرب ١٩٦٧ (وكان من أبرز المظاهر التى عبرت عن تلك الثورة ظهور حركة الفهود السوداء). تأثرت الصورة التى اتسع بها نطاق دولة الرفاهية بتوازن القوى بين مؤسسات الدولة المختلفة. ففى العقد السادس من القرن العشرين بدأت منظمة الضمان القومى فى تطوير نفسها تدريجياً بشكل مبنى على الاحتراف لدعم قدرات المؤسسة، ووصل هذا التطور إلى ذروته فى العقد السابع من القرن العشرين. وقد أتاح ذلك للمؤسسة القيام بمبادرات سياسية بما يتفق مع أيديولوجيتها ومصالحها المؤسساتية. وكان معنى ذلك التوسع فى برامج الرفاهية الاجتماعية العامة، التى ينظمها القانون، فى مقابل برامج المساعدة الانتقائية، التى كانت تدخل تحت سلطة وزارة الشئون الاجتماعية.

كما سبق أن ذكرت، كان الاتجاه لعولمة دولة الرفاه جزئياً ولم يكن موجهاً سوى للسكان اليهود. وكان التوسع فى تقديم برامج مختلفة للخدمة الاجتماعية مصحوباً بممارسات رسمية مختلفة، تهدف لإقصاء المواطنين الفلسطينيين عن الاستفادة بالامتيازات التى توزعها الدولة، أو لفرض قيد على قدرتهم على الاستفادة بها. وتظهر هذه الظاهرة بوضوح فى برنامج إعاشات الأطفال. فعندما تقرر زيادة إعاشات الأطفال عام ١٩٧٠ لتصبح عنصراً هاماً فى دخل الأسر المعيلة، تقرر أن يتم منح نصيب الأسد من الزيادة الجديدة من خلال برنامج جديد أطلق عليه اسم «إعاشات أطفال لمن أدوا الخدمة العسكرية». وبذلك لم يكن فى استطاعة أغلب الفلسطينيين الاستفادة بالزيادة الكبيرة. وفيما يتعلق ببرامج الإسكان المدعمة لجأت الدولة إلى ربط الاستفادة بهذه البرامج بأداء الخدمة العسكرية حتى يمكنها إقصاء المواطنين الفلسطينيين عن المشاركة فيها. وهناك جانب آخر - يعبر عن الانتقائية فى سياسة دولة الرفاه الإسرائيلية - ظهر فى العقد السابع من القرن العشرين، ويرتبط بدخول أعداد كبيرة من الفلسطينيين أبناء الأراضى المحتلة لسوق العمل فى إسرائيل بعد حرب ١٩٦٧. فقد تم إقصاء هؤلاء الفلسطينيين بشكل شبه تام عن الحصول على امتيازات من دولة الرفاه الإسرائيلية على اعتبار أنهم لم يكونوا مواطنين. ففيما يتعلق بالتأمينات الاجتماعية لم يكن ينطبق عليهم سوى ثلاثة برامج، وهى برنامج التأمين ضد إصابات العمل، وبرنامج التأمين ضد إفلاس رب العمل، وبرنامج التأمين على الأمهات (عندما تحدث الولادة داخل حدود الدولة). وكان فى مجرد وجود هذه العمالة التى لا يحميها القانون فائدة لأصحاب الأعمال، حيث أدى وجودهم لتقليل استخدامهم للعمال الإسرائيليين الذين تحميهم قوانين دولة الرفاه ضد قوى السوق. وفى العقد التاسع من القرن العشرين أضيفت العمالة المهاجرة أيضاً إلى العمال الفلسطينيين أبناء المناطق، لتعمل إلى جانبهم فى سوق العمل الثانوى كقوة عاملة لا تحميها قوانين دولة الرفاه.

انتهى عصر اتساع نطاق دولة الرفاه فى إسرائيل فى العقد الثامن من القرن العشرين. وكما هو الحال فى دول الرفاه الأخرى فإن دولة الرفاه الإسرائيلية تجتاز فى العقدين الأخيرين تغييرات هامة تشير فى بعض الأحيان إلى أزمات شديدة الوطأة. ومن بين هذه التغيرات انخفاض القيمة الحقيقية للمعاشات، والتشدد فى معايير استحقاق الاستفادة من البرامج التأمينية المختلفة، وتقليل حصة أصحاب الأعمال فى التأمينات الاجتماعية، وتزايد الانتقائية فى بحث استحقاق الحصول على معونة، وخصخصة خدمات اجتماعية معينة. وكان هذا التغيير فى السياسات مصحوباً بتزايد قوة الليبرالية الجديدة التى تعتبر دولة الرفاه العامة عقبة أمام النمو الاقتصادي، وتزايد نفوذ المؤسسات الحكومية المؤيدة لهذه الأيديولوجية مثل بنك إسرائيل ووزارة المالية. كانت هذه التغيرات جزءاً من تطور أوسع تعرض له الاقتصاد السياسى فى إسرائيل. وتمثل هذا التطور فى تحرير الأسواق،

وانحلال كافة القيود فى سوق العمل، وتقليل نفقات الدولة، والمزيد من الانخراط فى الاقتصاد العام. وكان هذا الأمر مرتبطاً أيضاً بتغييرات اجتماعية وسياسية مثل تزايد قوة الطبقة المتوسطة الجديدة، والاتجاه لمزيد من الفردية، والتقليل من الاستعداد للمشاركة فى أهداف بناء الدولة. وأسهم تضافر هذه التحولات الهيكلية والسياسية والأيديولوجية فى إضعاف دولة الرفاه إلى حد معين من الناحية السياسية. وفى مقابل هذا فإن الاتجاه إلى النقص الفعلى فى نشاط دولة الرفاه كان أقل وضوحاً مما يبدو من كلام الطبقة المسيطرة المؤمنة بالليبرالية الجديدة. وكما كان تحرير الاقتصاد السياسى فى إسرائيل منقوصاً وجزئياً ومليئاً بالمتناقضات، كذلك كان الحال فى التغيرات التى طرأت على دولة الرفاهية.

يتمثل تعقيد التوجهات المشار إليها آنفاً فى البيانات المنشورة بشأن نفقات الدولة فى مجال الشئون الاجتماعية. فهناك اتجاه إلى الزيادة فى معاشات الضمان القومي، حيث زادت هذه المعاشات لتصل نسبتها إلى ٦,٣٤٪ من الناتج القومى الخام فى عام ١٩٩٠، ونسبة ٧,٦٩٪ منه فى عام ١٩٩٩، بعد أن كانت بنسبة ٥,٠٥٪ من الناتج القومى الخام فى عام ١٩٨٠ (تقرير بنك إسرائيل لعام ٢٠٠٠ ص٣٣٢). أضف إلى هذا أنه مقارنة بما حدث فى العقد السابع من القرن العشرين لم تكن الزيادة الأساسية نتيجة للتوسع فى البرامج القائمة وتطبيق برامج جديدة، بل جاءت كل هذه الزيادة تقريباً نتيجة لتطورات خارجة عن السياسة الاجتماعية، مثل تزايد معدلات أعمار السكان وارتفاع مستوى البطالة والهجرة الجماعية من الاتحاد السوفيتى السابق. ومن الممكن أن نلاحظ تناقضات فى إنفاق الدولة على الخدمات الاجتماعية (كالتعليم والصحة والإسكان والخدمات الشخصية). فقد انخفضت القيمة الحقيقية لهذه النفقات بنسبة كبيرة فى النصف الأول من العقد الثامن من القرن العشرين، بينما بقى مستواها ثابتاً فى النصف الثانى منه. وفى مقابل ذلك ففى النصف الأول من العقد التاسع زادت النفقات بمعدل سريع. وكانت الهجرة الجماعية من الاتحاد السوفيتى السابق هى العنصر الرئيسى وإن لم يكن الوحيد الذى أدى لهذا التوجه.

من الممكن أن نلاحظ توجهات متناقضة أيضاً فى مبادئ عمل دولة الرفاه. ورغم التوجه إلى تقلل النفقات، والتشدد فى معايير الاستحقاق، حدثت تغيرات معينة فى اتجاه توسيع نطاق دولة الرفاهية. وعلى سبيل المثال ففى العقد الثامن وبداية العقد التاسع من القرن العشرين تم إدخال عناصر للانتقائية فى معايير اختيار المستحقين للحصول على إعاشات الأطفال، ولكن الدولة قررت إلغاء هذه المعايير فى عام ١٩٩٣. أضف إلى هذا أن ذلك العام شهد إلغاء القيد الذى يربط بين الحصول على الزيادة الكبيرة فى إعاشات الأطفال وبين أداء الخدمة العسكرية، وبهذا أصبح برنامج إعاشات الأطفال برنامجاً ذا طابع عام للمرة الأولى منذ عام ١٩٧٠، ليس من الناحية الرسمية فحسب، بل ومن الناحية العملية أيضاً. فأصبح من حق السكان الفلسطينيين من مواطنى الدولة الحصول على إعاشات مماثلة لتلك التى يحصل عليها السكان اليهود. أضف إلى هذا أن العقدين الأخيرين شهدا إضافة العديد من البرامج لمنظومة دولة الرفاه فى إسرائيل. ففى عام ١٩٨٧ تم وضع برنامج لتأمين خدمات التمريض، ينظم تقديم هيئة الضمان القومى تمويلاً جزئياً لخدمات التمريض على أساس قانوني. ولا شك أن أكبر تطور حدث فى الفترة الأخيرة كان فى عام ١٩٩٤، عندما صدر قانون التأمين الصحى الحكومي، الذى يقنن حق المواطنين فى الحصول على الخدمات الصحية.

وأخيراً فإن دولة الرفاه الإسرائيلية فى العقدين الأخيرين أصبحت فى موقف دفاعى ضد تزايد الهجمات الأيديولوجية من جانب أنصار الليبرالية الجديدة. حيث تحاول مؤسسات الدولة القوية، والقوى السياسية الرئيسية، تنفيذ مشروع الليبرالية الجديدة الذى يقتضى تقليل حدود دولة الرفاه. وعلى الرغم من هذا فلا شك أن دولة الرفاه الإسرائيلية لم تختف. وكما هو الحال فى دول الرفاه الأخرى فهناك عناصر سياسية ومؤسسات حكومية فى إسرائيل تكسب دولة الرفاة قدراً لا يستهان به من القدرة على مقاومة ضغوط الليبرالية الجديدة. وهناك تزايد فى عدم المساواة فى المجتمع الإسرائيلى يدفع بأعداد متزايدة من السكان إلى هامش المجتمع. ولكن السبب الرئيسى فى ذلك ليس انحسار دولة الرفاه الإسرائيلية بل التطورات التى تحدث فى سوق العمل.

---

(١) فرانز فون بابن (١٨٧٩-١٩٦٩): انتُخب مستشاراً لألمانيا عام ١٩٣٢ عن حزب العمال الاشتراكى الوطنى الألماني. تلقى تعليماً عسكرياً وخدم بالجيش الألمانى حتى عام ١٩١٣، حيث عين فى ذلك الوقت ملحقاً عسكرياً بالسفارة الألمانية فى الولايات المتحدة. لمزيد من المعلومات راجع: http://en.wikipedia.org/wiki/Franz_von_Papen

(٢) الجمهورية الفايمارية: نسبة إلى مدينة فايمار الألمانية التى اجتمعت فيها عام ١٩١٩ الجمعية الوطنية الألمانية لأول مرة بعد الثورة الألمانية التى جرت عام ١٩١٨، حيث تم إقرار دستور جديد لألمانيا فى محاولة لتبنى نظام ليبرالى ديموقراطى فيها. ويطلق المؤرخون هذا الاسم على الجمهورية الألمانية فى الفترة من ١٩١٩ إلى ١٩٣٣.

◆ دراسات ◆

(٣)

مركز بيجين - السادات، جامعة بار إيلان
مناقشات حول الأمن القومي - مجموعة باحثين يوليو ٢٠٠٨
استعداد الجيش للتحديات المستقبلية

مجموعة باحثين - ترجمة وإعداد: مصطفي الهواري

(١)
بناء القوة وفق مجموعة من السيناريوهات

بقلم/ زئيف بونين

عندما كنت أعمل في هيئة تطوير وسائل القتال (رافائيل) في الثمانينات، توصلت إلى استنتاج بوجوب تشغيل عسكريين متقاعدين كبار في الهيئة، وذلك بغرض توطيد العلاقة بين التكنولوجيا والعسكريين حتى تكون هناك لغة مشتركة تساعد بالتأكيد على أن تفي عمليات تطوير الأسلحة باحتياجات الجيش.

في تلك الفترة لم يكن في الإمكان تحقيق ذلك، ولكن في الوقت الحالي وبعد مضي عشرين سنة، أصبح للعسكريين السابقين تمثيل ملحوظ في هيئة تطوير وسائل القتال، وهو ما يسهم بلا شك في الحوار المثمر بين التكنولوجيا والعسكريين.

يدور موضوع هذه المحاضرة حول ما إذا كان يمكن بناء جيش جاهز لعدة سيناريوهات. تجدر الإشارة إلى أن بناء القوة يستغرق سنوات، وأنه لا يتم خلال سنة أو أقل. من ناحية أخرى، لا يمكن التكهن بالسيناريو الذي سيتحقق بعد عشر سنوات، فالأمر الطبيعي هو أن الإنسان في حرب استنزاف طويلة من خلال مواجهة محدودة مع التنظيمات العصابية والإرهابية. إلا أنه يحتمل أن تنشب حرب تقليدية واسعة النطاق ضد دول بنظرية جديدة وليس بالنظرية التي كانوا يعتنقونها في الماضي.

لذلك، عندما نبني قوة لمدى طويل يجب أن نكون متأهبين لعدة سيناريوهات، لأن التركيز على سيناريو واحد ستكون له عواقب وخيمة. نحن في حاجة لبناء قوة قادرة على مواجهة عدة سيناريوهات حتى لو كانت إحتمالات تحققها ضئيلة. عندما نعرف سلفا ما هو السيناريو الذي سيتحقق، لن تكون هناك مشكلة، لأنه سيكون هناك وقت طويل للاستعداد والتدريب

وتجهيز كل ما هو مطلوب. ولكن عندما يتحقق سيناريو مستبعد او لم يتم تدارسه، يختلف عما تكهنا به، ستكون هذه مشكلة خطيرة.

كيف نبنى القوة وفق عدة سيناريوهات؟ وهل هذا ممكن؟

إن مواجهة أي تطور مفاجئ يقتضي بناء قوة مرنة. والمرونة هى القدرة على الأختيار والتنقل بين أشكال مختلفة من القوة، أي أشكال من الوحدات القتالية والوسائل المتاحة وفقا للسيناريو الذي تحقق فعلا. هذه المرونة تنقسم إلى قسمين: المرونة التكنولوجية والمرونة البشرية.

سأبدأ من النهاية، المشكلة الرئيسية هى المرونة البشرية وليست المرونة التكنولوجية، فالتكنولوجيا لا تحل كل المشاكل. أنا لا أقبل مقولة "تقديس التكنولوجيا"، لأنها كارثية وتعني التواكل وعدم الاستغلال الأمثل للتكنولوجيا. المرونة في أشكال وصور القوة، المرونة البشرية، أهم من المرونة التكنولوجية. المشكلة هى كيف نؤهل الأفراد للمرونة البشرية، كيف تتمكن من غرس ملكة المرونة البشرية في أذهان الضباط. سأتناول بالحديث القوات البرية التي تعتمد على تشكيل كبير من قوات الاحتياط، لذلك فإن مشكلة تأهيل القوات البرية لعدة سيناريوهات ستكون أكبر.

سأعرض السيناريوهات وأتطرق إلى الموضوع الرئيسي: ما الذي يمكن القيام به على المدى المنظور والمدى البعيد من أجل زيادة المرونة. النقطة المهمة الأخيرة تتمثل في مدى تأثير المفاجأة – عندما يحدث شيء غير متوقع ما الذي يجب القيام به؟ الاختبار الحقيقي لكل ما نقوم به من أجل تحقيق المرونة البشرية، يكون خلال الأزمات. سأوجز السيناريوهات فيما يلي:

حرب ذات شدة عالية – ضد دولة أو ضد جيش تنظيم إرهابي.

مواجهة محدودة أو نشاط أمن دائم.

نوعية الأرض – مفتوحة/ مبنية / جبلية، مكتظة ومبنية.

تطور جديد مفاجئ

وكل هذه السيناريوهات يجب أن تضع في اعتبارها حربا ضد الجبهة الداخلية المدنية.

اى مواجهة محدودة مستمرة وطويلة تتحول كل عدة سنوات إلى فترة حرب ذات شدة عالية ضد جيش تنظيم إرهابي أو ضد دولة. لا يجب أن نفترض نشوب حرب واسعة النطاق ضد دولة بعد عشر سنوات. فالحروب واسعة النطاق ضد دول يمكن أن تنشب مستقبلا، ويجب أن نكون مستعدين لها. والحرب ضد سوريا بعد سنة أو عدة سنوات لن تكون كالحروب السابقة ضدها.

هناك مسألة أخرى: هل يمكن أن نفاجأ بتطور ما يكون مزيجا من تلك السيناريوهات معا؟ هذا أمر غير منطقي، لأن بناء قدرات هائلة من أجل تشكيل تهديدات كبيرة من نوع جديد، يستغرق من العدو سنوات، كما أنه أمر لا يمكن إخفاؤه. ولكن، إذا لم نهتم بالأمر وتجاهلنا التهديد الجديد، قد تحدث مفاجأة خطرة في ميدان القتال.

جميعنا نعرف مدى تأثير الصواريخ المضادة للدبابات في حرب يوم الغفران (أكتوبر ١٩٧٣). بعد فترة قصيرة من نشوب الحرب، توجه رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية الأسبق آهارون ياريف إلى اجتماع بوزارة الدفاع ووضع على الطاولة مجموعة كبيرة من التقارير والكتب التي لا تتحدث فقط عن مواصفات وسمات الصواريخ المضادة للدبابات، أو عن كيفية عمل قوات العدو كمجموعات، ولكنها تصف أيضا استعدادات هذه القوات على الجانب الآخر من القناة بنشرها أطقم صواريخ مضادة للدبابات أكبر من المعتاد، حتى تكون معروفا، ومن الصعب أن نجد نموذجا لسيناريو جديد مفاجئ، ولكن المشكلة شبه الدائمة هى التجاهل.

النقطة الأخيرة والمهمة هى أن الجبهة الداخلية. إذا كان حزب الله يعتقد انه انتصر في حرب لبنان الثانية، فإن هذا يرجع إلى أنه واصل إمطار الجبهة الداخلية بوابل من صواريخ الكاتيوشا حتى اليوم الأخير من الحرب. يجب أن ندرك أن الحرب ضد الجبهة الداخلية هى جزء لا يتجزأ من الحرب، أيا كانت نوعية الحرب. حتى لو حسمنا الحرب في ميدان القتال وفشلنا في الدفاع عن الجبهة الداخلية، فإن حزب الله والعالم كله سيفسرون ذلك على أنه انتصار لحزب الله. وهذا الأمر يجب الحذر منه، ولكننا للأسف لم ننتبه لذلك.

ما الذي يجب القيام به لتحسين المرونة على المدى المنظور والمدى البعيد؟

على المدى المنظور – إذا توفرت الوسائل والإمكانيات يمكن على الفور إدماجها معا في أشكال جديدة للقوة، كما يمكن أيضا إدخال تعديلات وتحسينات إضافة على أشكال القوة القائمة فعليا. يمكن أن يستغرق ذلك ما بين سنة إلى ثلاث سنوات على الأكثر، وهذا يتوقف على كم التعديلات ونوعيتها. وتجدر الإشارة إلى أن نظرية العمل العامة لن تتغير، لأن التغيير والتعديل سيتم في إطار نفس نظرية العمل المتبعة.

ذات يوم سألت إيتان بن إلياهو (قائد سلاح الطيران سابقا) عن الوقت الذي استغرقه سلاح الطيران - وهو سلاح نظامي ومعظم مقاتليه يخدمون خدمة دائمة - لتطوير وبلورة نظرية قتالية جديدة، فقال لي إن هذا استغرق أكثر من عشر سنوات. أي أن من يعتقد انه يمكن التوصل بسرعة إلى نظرية عمل جديدة مخطئ تماما. النتيجة التي يمكن أن نستخلصها من كل هذه الأمور هي أن تحسين مدى المرونة محدود على المدى المنظور، ولكن الوضع يكون أفضل على المدى الطويل.

ما الذي كنا نسعى إليه على المدى الطويل؟ ليس كل ما يرغبه الإنسان يستطيع تحقيقه. كنا نريد الوصول إلى بناء قوة مرنة متعددة المهام تكون متأهبة لعدة سيناريوهات. وسوف أتحدث أولا عن المرونة التكنولوجية، بعد عشر سنوات ستشمل القوة المرنة معدات حديثة متعددة المهام وقادرة على مواجهة كل السيناريوهات المحتملة. من المعروف أن المعدات متعددة المهام أغلى ثمنا وأكثر تكلفة من المعدات ذات المهمة الواحدة، إلا أن هذا هو ثمن المرونة. يمكن استخدام المعدات ذات المهمة الواحدة في وحدات خاصة ولمهام خاصة، ولكننا إذا كنا نسعى فعلا للمرونة، فإن القوة الرئيسية والعتاد الرئيسي يجب أن تكون متعددة المهام.

سوف تكون التكنولوجيا المستخدمة في السنوات العشر القادمة هي التكنولوجيات التي خرجت من المعامل أو تلك التي في طريقها للخروج، وهي تكنولوجيات ذات قدرات معروفة، ولكن على الجانب الآخر يجب تطوير تكنولوجيات لمدى أطول، لخمس عشرة سنة، في حين يتحتم بناء القوة في الوقت الحالي على أساس تكنولوجيات معروفة أو تكنولوجيات في طريقها للخروج من المعامل، مع إمكانية تطبيق التكنولوجيا ذات المهمة الواحدة أو متعددة المهام. وأعتقد انه من الأفضل تطبيق التكنولوجيا متعددة المهام على مختلف مستويات العتاد بدء من المقاتل الفرد. هناك نماذج فيما يتعلق بالمستوى الأعلى: المزج الجيد والسريع بين عدة وحدات مقاتلة. فعن طريق قاعدة اتصال جيدة يمكن الربط بين عدة وحدات من الناحية التقنية، ومن الناحية التكنولوجية يكون هناك اتصال بين الجميع. من المهم تكنولوجيا أن تكون هناك إمكانية لخلق ارتباط بين الوحدات ووسائل القتال، وتغيير هذا الارتباط بسرعة عندما يتغير شكل القوة. ونحن في هذا الشأن متقدمون بشكل لا بأس به.

بالمناسبة، كانوا في هيئة تطوير وسائل القتال قد أدخلوا تعديلات تنظيمية وأنشأوا إدارة معلومات وحرب الشبكة. تعني حرب الشبكة استخدام شبكة اتصال عسكرية على مستوى الدولة وإتاحة الإمكانية لبناء عدة أشكال مختلفة للقوة، وفقا للاحتياجات. ونحن نتقدم في هذا الاتجاه، ليس في الجيش فقط، بل أيضا في هيئة تطوير وسائل القتال وهيئات تطوير أخرى.

فيما يتعلق بالمرونة البشرية فإنها تتطلب عدة أمور:

مرونة تنظيمية تتيح إمكانية الإسراع بوضع أشكال مختلفة للقوة.

مرونة في نظرية العمل العامة - أي القدرة على التحول السريع من نظرية عمل إلى نظرية أخرى.

مرونة فكرية قيادية. أي القدرة على القراءة السريعة للوضع والانتقال إلى أسلوب عمل يناسبه.

التأهيل المسبق له أهميته بالنسبة للضباط من مستوى قائد الكتيبة فأعلى، أما على المستويات الأدنى - أي المقاتلون في الميدان - فإن القدرات الأساسية لا تتغير كثيرا. صحيح أن هناك بعض التغيرات على مستوى المقاتل الذي يحمل سلاحا شخصيا وعلى مستوى المستجدين، إلا أن الأمر يختلف على المستويات القيادية التي تشهد تغيرات عديدة.

هناك عدة مشاكل تواجه مثل هذا التأهيل. السؤال الأول المطروح هو هل هناك وقت للقيام بهذا مع قوات الاحتياط؟ إذا كنا نتحدث فقط عن تأهيل الضابط من مستوى قائد كتيبة فأعلى فمن الممكن والضروري إيجاد الوقت لهذا، السؤال الثاني هو: هل هذا يثير البلبلة والارتباك؟ ألن يسبب هذا ارتباكا للقادة في اللحظات الحرجة؟ أنا أتحدث عن الارتباك الذي يتسبب فيه اختلاف السيناريوهات ومن شأنه أن يؤدي إلى عدم الاستعداد الكافي وإلى إجراءات خاطئة. هذه مشكلة حقيقية تنبع من السعي إلى المواجهة والإفاقة من المفاجأة: السؤال الثالث والأهم هو: هل الثقافة العسكرية تسمح أساسا بمثل هذه المرونة وبمثل هذا التأهيل؟ لا أدري.

حتى لو استطعنا وضع وتنفيذ برنامج تأهيل جيد، فإن الاختبار الحقيقي لهذا البرنامج سيكون وقت الأزمة. عندما تحدث أزمة سنكون مضطرين فورا لرصد السيناريو الصحيح واختيار الحل المناسب والإسراع بوضع أشكل للقوة. هذه العملية تتعارض مع الجمود البشري، الذي يشمل الجمود الثقافي، لاسيما الثقافة العسكرية. كما يشمل أيضا الجمود الفكري: كيف ترى الأمور، ما هي الأفكار التي تعتمل في ذهنك. ويشمل أيضا الجمود التنظيمي.

الجمود البشري هو نقيض المرونة، وهو ليس آفة التنظيمات العسكرية فقط، بل هو موجود أيضا في الأجهزة المدنية، وهو أكثر الأسباب المعرقلة للتغيير. من الصعب تغيير نظرية والتحول من نظرية لأخرى خلال الأزمة، ولكن هل التأهيل المسبق سيتيح لنا إمكانية القيام بهذا أثناء الأزمة؟ هذا أمر صعب للغاية ولكنه غير مستحيل.

أخيرا، فإن مفتاح المرونة في ميدان القتال هو المرونة البشرية لدى مجموعة القادة، وخاصة على المستويات الأعلى. مطلوب

وضع برنامج تأهيلي من أجل تطوير وترسيخ المرونة، وإعداد مثل هذا البرنامج وتنفيذه هو تحد صعب وآمل أن يوفق الجيش الإسرائيلي في التغلب عليه.

(٢)

أهمية الأرض في ميدان القتال

بقلم: يوسي بيلد

سأتحدث عن أهمية الأرض في العصر الحديث، ولكني سأطرح أولا هذا السؤال: ما الذي يقصدونه بقولهم "في العصر الحديث"؟ إنهم في الغالب يقصدون الصواريخ بعيدة المدى ثم يتساءلون: ما هي أهمية الأرض؟

هذا السؤال طرح بقوة في منطقتنا بمجرد انتهاء حرب الخليج الأولى في عام ١٩٩١، بعد أن أطلق العراقيون الصواريخ صوب الجولان ويهودا والسامرة (الضفة الغربية) وحيفا وتل أبيب والجنوب الإسرائيلي. على الفور ترددت أصوات تتساءل عن أهمية الأرض في الوقت الحالي.

هيا نري ما يحدث في العالم: ظل الاتحاد السوفيتي على مدى عقود يضم مجموعة من الشعوب ثم تفكك، وعادت أوكرانيا وجورجيا وغيرها دولا مستقلة ذات سيادة. وحدث نفس الشيء في يوغوسلافيا، أصبحت كرواتيا هي كرواتيا وصربيا هي صربيا. يبدو أن التاريخ المشترك لشعب يفوق في أهميته أي نظريات أخرى.

ما الذي تغير تغير في ميدان القتال، من المنظور العسكري - الأمني البحت؟ مازالت الأرض هي نفس الأرض تقريبا، ولكن بعض العناصر تغيرت، وسوف أتطرق لثلاثة منها فقط: الأول هو التطور الذي طرأ على مدى الصواريخ، وهذا أمر معروف. الثاني هو التغير الحاد في فاعلية الأسلحة وقدرتها التدميرية. أما الثالث فهو بالطبع التغير الجوهري في مجال التكنولوجيا وفي مجال جمع المعلومات الاستخبارية. هذه ثلاثة عناصر تغيرت، وهي من أسباب التساؤل حول أهمية الأرض اليوم.

هل تغيرت عوامل النصر العسكري نتيجة لهذه المعطيات؟ أنا أؤكد على الانتصار العسكري رغم أنني أعلم أن الحرب هي امتداد للسياسة ولكن بأسلوب مختلف. على سبيل المثال، بدأت حرب يوم الغفران بالشكل الذي بدأت به وانتهت بوجود عسكري إسرائيلي على مسافة ١٠٠كيلو متر من القاهرة و٤٠ كيلو مترا من دمشق - هذا في اعتقادي هو أكبر انتصار عسكري يحققه الجيش الإسرائيلي، ولكنه إخفاق من المنظور السياسي.

هل تغير شيء أساسي نتيجة تلك التطورات التي ذكرتها؟ مادمنا نتحدث عن الحرب التقليدية ستكون الإجابة بالنفي، أما إذا كنا نرغب في الحديث عن حرب غير تقليدية فالأمر يختلف تماما.

موضوع مدى الصواريخ والقذائف واضح ومعروف جدا في المعارك التقليدية، ذات يوم كان المدى عشرات الكيلو مترات، ثم أصبح مئات الكيلو مترات ووصل الآن إلى آلاف الكيلو مترات. أما فيما يتعلق بالقدرة التدميرية للأسلحة فسوف أعطي مثالا: عندما كنت رئيسا لشعبة التدريب درست بالاشتراك مع سلاح الطيران موضوع الهجمات الجوية التي شنها سلاحنا الجوي على قواتنا. درسنا ما حدث في عملية قادش عام ١٩٥٦، وفي عملية سلام الجليل عام ١٩٨٢. درسنا عدد الطلعات الجوية وقارناها بعدد الحالات التي وقعت فيها أخطاء وهاجم خلالها سلاحنا الجوي قوات إسرائيلية. على النقيض من الاعتقاد السائد لدينا، فقد حدثت خلال عملية قادش أخطاء أكثر مما في حرب سلام الجليل، إلا أن الإصابات خلال حرب سلام الجليل كانت أكثر رغم قلة الأخطاء فيها، ذلك لأن السلاح أصبح ذا قدرة تدميرية أكبر.

أعتقد أننا يجب أن نتعلم من التاريخ. قلت ذات مرة في أحد الملتقيات العسكرية إن ما كان في الماضي لا يجب بالضرورة الأخذ به كله في الحاضر. ولكن يمكن أن نضيف إلى هذا أن ما كان في الماضي لا يجب رفضه كله تلقائيا. بين هذا وذاك يجب إيجاد التوازن الصحيح.

نعود إلى موضوع الأرض. أريد أن أضرب بعض الأمثلة التاريخية التي لم تستطع أي تكنولوجيا أن تغيرها: خلال الحرب العالمية الثانية دمر الألمان لندن بالصواريخ أرض/ أرض. لم يحتلوا لندن ولم يحتلوا بريطانيا، بل احتلوا هولندا وفرنسا وبلجيكا، حيث يسهل هناك إدخال القوات البرية.

وفي حرب الخليج عام ١٩٩١، لم يتوقف سلاح الطيران الأمريكي عن قصف العراق طوال أربعين يوما. كما أطلقوا صواريخ توما هوك من البحر المتوسط على بغداد. ولكن عندما حرك الجنرال شوار تسكوف القوات البرية لم يستغرق صدام حسين سوى ٧٢ ساعة لكي يدرك أنه إذا لم يستسلم ستكون هى نهايته ونهاية نظامه.

لا تتشابه ساحتنا القتالية – حتى في المستقبل – مع الساحة القتالية للجيش الأمريكي أو للجيش البريطاني أو لكثير من الجيوش الأخرى في العالم.

سلاح الطيران الإسرائيلي يعد أحد الركائز الرئيسية في واقعنا العسكري، وهو عنصر رئيسي في تحقيق قدرتنا على الردع كجيش وكدولة، وهو العنصر شبه الوحيد عندما نتحدث عن قدرة الذراع الطويلة للجيش الإسرائيلي ولدولة إسرائيل، إلا انه لن يستطيع تحقيق الانتصار العسكري بمفهوم تحييد قدرة العدو على القتال أو تحييد رغبته في القتال. هذا الأمر لن يستطيع تحقيق سوى القوات البرية.

منذ ثلاث سنوات اطلعت على ملخص لإحدى مناقشات هيئة الأركان العامة. كان هناك سيناريو شبيه بما شهدناه في صيف عام ٢٠٠٦، وكان الرد هو ضرورة استخدام السلاح الجوي، كما ترددت آنذاك أيضا تلك المقولة الشهيرة: "اتركوا الكاتيوشا تصدأ". أتمنى أن يكون من قال ذلك يقصد أن تصدأ الكاتيوشا فيما وراء الحدود وليس عندنا. هذه النظرة أدت بنا إلى الوضع الذي وجدنا أنفسنا فيه في صيف ٢٠٠٦.

أعتقد أن هذا أمر خطير للغاية، وهو نابع من مزيج من عدم الفهم والعبودية للتكنولوجيا فقط. أنا لست ضد التكنولوجيا، فالتكنولوجيا عنصر حيوي ورئيسي للغاية في ميدان القتال، مادمنا ندرك أن التكنولوجيا داعمة للقتال وليست رائدة له. لا يمكن لأي تكنولوجيا في العالم أن تكون بديلا عن القيادة القتالية أو عن النموذج الشخصي أو التفاني في أداء المهمة والاستمرارية وتوحيد الجهود. لا توجد تكنولوجيا قادرة على أن تحل محل هذه العناصر البشرية.

الأساس الذي يعمل وفقا له الجيش الإسرائيلي هو تعزيز القوات إعطاؤها القدرة والإمكانيات لتنفيذ مهامها، لأن أي خطة عبقرية لن تساوي شيئا إذا لم يكن هناك من ينفذها.

أعتقد أن تعزيز القوات البرية بالشكل الذي يجري تنفيذه حاليا في إسرائيل نابع من النظرية الأساسية السليمة التي تقول إن الحسم والانتصار العسكري في الحرب التقليدية يتحققان دائما بعملية برية، ومثلما تقول المقولة القديمة بأن حدود الحرب ستتحدد في المكان الذي تصل إليه أقدام مقاتلي المشاة وجنازير الدبابات. السلاح يتغير، القدرات تتغير، ولكن تبقى الأرض دائما عنصرا رئيسيا في أي مواجهة عسكرية، على الأقل بالنسبة لنا.

---

(٣)

العالم العربي: العقيدة القتالية الجديدة

بقلم: إيهود يعري

طلب مني الحديث عما أعتقد أن نظرية جديدة في العالم العربي، نظرية المقاومة، في السياق الذي أتحدث عنه لا أري أن المقاومة هى المدلول الفعلي لهذه الكلمة فالمقاومة هى المذهب، هي العقيدة العسكرية، العقيدة العسكرية للجهاد الذي لا يتوقف، وللقتال المتواصل الذي ينطوي عليه الجهاد الدائم وشبه الأبدي.

ظهرت عقيدة المقاومة في السنوات الأخيرة، ووصلت إلى أقصى درجاتها في الفترة الأخيرة، واحتلت الفضاء الفسيح داخل العالم العربي. وقد صدرت في العقد الأخير بالعالم العربي كتب لاقت رواجا شديدا، وكانت تحمل عناوين مثل "خروج العالم العربي من التاريخ". كان هذا هو الشعور السائد. العالم العربي يعيش أزمة في العقود الأخيرة، وأعتقد أن هذه الأزمة لا تقل في عنفها وفي الصدمة الشعورية والفكرية التي سببتها، عن الأزمة الكبرى التي اجتاحت العالم العربي بعد حرب التحرير عام ١٩٤٨ وموجة التغيرات والتحولات التي أعقبتها.

عقيدة المقاومة هى قاسم مشترك لثلاثة معسكرات في العالم العربي / الإسلامي تتنافس فيما بينها على حصاد ما تعقد – و يعتقد الكثيرون – أن الإخفاق الأمريكي وأفول نجم الولايات المتحدة كقوة مهيمنة، على الأقل في آسيا.

هذه المعسكرات الثلاثة هى: تنظيم القاعدة بمختلف تفرعاته. المعسكر الثاني هو الشيعي الراديكالي الذي تمثله قوات الحرس

الثوري الإيراني وحزب الله.
أما المعسكر الثالث هو حركة "الإخوان المسلمون" وشبيهتها القريبة منا، حركة حماس، ورغم أن هذه المعسكرات تستنزف بعضها البعض يوميا، لاسيما على ارض العراق، فإنها جميعا تشترك في عقيدة واحدة. وهى لا تنضوي تحت لواء واحد ولا تجمعها وحدة المصير أو الشراكة السياسية، والشيء الوحيد الذي يجمع بينها هو الولاء لتلك العقيدة الجديدة التي تبلورت في السنوات الأخيرة.
سأعرض هنا من خلال اطلاعي على إصداراتهم الأدبية الكثيرة، أهم مبادئ وأسس هذه العقيدة. المبدأ الأول والأهم هو عدم السعي للنصر. أي أننا – الأمريكيين وحلف الناتو في أفغانستان وغيرهم – نواجه عدوا لا يضع النصر كغاية معلنة له، بل يسعى إلى حرمان الطرف الآخر من تحقيق النصر.
لأول مرة منذ هزيمة الأسطول المملوكي – العثماني على أيدي البرتغاليين في البحر الأحمر، أو منذ وطأت قدما نابليون أرض مصر، أو منذ إيقاف العثمانيين عند أبواب فينا، يشعر العالم الإسلامي أنه اهتدي للطريق الصحيح وعثر على الوصفة السحرية لمواجهة التفوق التام للتكنولوجيا العسكرية الغربية. كان أسلوب المواجهة هو منع الهزيمة وليس السعي للنصر.
النقطة الثانية: عدم السعي إلى الحسم في أي معركة. حتى في المعارك المعدودة التي تجري وفقا لهذه النظرية، من الأفضل – ولكن ليس بالضرورة – تحقيق الحسم. مبدأهم الأساسي هو أن تتواصل المعارك، ولا يعنيهم الانتصار في الحرب، أو حتى الانتصار في معركة، ذلك لان الجدول الزمني الذي وضعوه لأنفسهم طويل، ويمتد لأجيال. يصدر في العالم العربي الآن كم هائل من الكتب التي يمكن أن نطلق عليها "الحساب الإسلامي"، وهى تتناول مسألة التوقيت، توقيت القضاء على إسرائيل. وفي أحد الكتب التي لاقت رواجا شديدا في القاهرة نجد تشبيها بين إسرائيل والاتحاد السوفيتي، حيث يقول المؤلف عنه إذا كان القضاء على الاتحاد السوفيتي قد استغرق سبعين سنة، فإن القضاء على إسرائيل سيستغرق نفس المدة تقريبا. المقصود بكل هذا هو القول بأن هذا الجيل ليس مكلفا بحمل راية النصر، وكل ما هو مطلوب منه هو التضحية بالنفس، وربما أيضا الجيل القادم والجيل الذي يليه.
هناك نقطة أخرى، وهى الاعتراف التام بأن الجانب الآخر، أي الجانب العربي/ الإسلامي، دائما ما يكون في وضع متدن عسكريا أمام العدو، أيا كان هذا العدو: إسرائيل أو الجيش الأمريكي أو حلف الناتو أو غيرهم. إلا أنهم يعتقدون أن هذا التدني هو بمثابة دافع وحافز لهم. وأبرز مثال على ذلك هو الخطاب الذي ألقاه الرئيس السوري بشار الأسد في جامعة دمشق بعد حرب لبنان الثانية في صيف ٢٠٠٦. قال بشار إن السلام هو خيارنا الاستراتيجي، ولكن السلام ليس هو السبيل الوحيد، لأن هناك خيارا آخر هو خيار المقاومة. وهو في حديثه هذا يقصد تلك العقيدة التي أتحدث عنها، ويتجاهل تراث والده حافظ الأسد الذي تحدث عن مبدأ "التوازن الاستراتيجي" الذي يجب أن يكون قائما بين إسرائيل من جهة وبين سوريا والعالم العربي من جهة أخرى كشرط لإشعال فتيل الحرب بنظرية المقاومة. لذلك فإنهم يعتقدون أن الدونية هى مفتاح تشغيل ولا يجب الخوف منها بل يجب التباهي بها.
الحرب عقائديا ليست من أجل الأرض، بل من أجل الدم. لذلك يستطيع الجيش الأمريكي أن يفعل ما يحلو له في العراق، يمكنه أن يسقط تمثال صدام حسين ويستقر في بغداد، ولكنه رغم ذلك لن يكون قد حقق الانتصار بعد. كما كانت التصريحات الصادرة عن كل قيادات حركة حماس في أعقاب تحذيرات وزير الدفاع إيهود باراك من احتمال القيام بعملية عسكرية في غزة، تقول لإسرائيل ضمنا: تستطيعون دخول غزة، ولكن هل هذا سيحقق لكم النصر؟ أنظروا إلى أفغانستان، وانظروا إلى الصومال وإلى ساحات القتال الأخرى.
نقطة أخرى ذات أهمية كبيرة، ألا وهى النظرة إلى الموت في العقيدة الإسلامية، على النقيض من اليهودية، وأن الحياة جسر ضيق جدا، وكلما قصرت الحياة كان ذلك أفضل. الموت هو سلاح النضال.
يتناول الأدب في الجامعات الفلسطينية بجدية وموضوعية المسائل النابعة من هذه النظرة المختلفة إلى الموت. ماذا تساوي حياة المجاهد؟ كما يتناول هذا الأمر كبار علماء الدين الإسلامي، معلمو الأجيال. وهم يتناولون مسألة حوريات الجنة الاثنتين وسبعين. ولكن يأتي من يقول إن هناك شهداء كثيرين، فكيف احتفظت هذه الحوريات بعذريتهن. على الفور تصدر فتوى تقول إن هذه العذرية دائمة. ولكننا نجد مسائل أخرى يتطرق إليها الشباب، مثل أجر الانتحارية، وهذا أمر محل نقاش وجدل واسع. على سبيل المثال، هناك فتوى تقول إن أجر الانتحارية هو أنها ستختار زوجها من بين عشرات ومئات الشهداء الذين سبقوها إلى الجنة. هذه النظرية أثمرت عن وجود نوع من الأدب الذي يجذب إليه أوساط معينة من الشباب المرشح للتجنيد.
وهم يرون أن الدولة العربية ليست ضرورة ولا حاجة إليها، فهى لا تسهم بشيء. الدولة العربية من وجهة نظرهم – وفي اعتقادي أن هذه أيضا وجهة نظر البعض منا – هى دولة فاشلة. وهم يقولون: فضلا عن أننا نقاتل أفضل مما تقاتل الجيوش

النظامية، فإننا أيضا نخدم مواطنينا. هل هناك من في حاجة إلى هذه الدولة؟ إنها نتاج اتفاقية سايكس بيكو، ويمكن التخلي عنها، ولا يجب النضال من أجلها. لذلك يقيم تنظيم القاعدة في العراق – من خلال جدل عنيف مع تنظيمات محظورة أخرى – ما يسمى بـ"الإمارة الإسلامية العراقية" ولا يضعون لها حدودا جغرافية، ولا حتى حدودا مستقبلية تقديرية. لهذا، فإن أنصار هذه العقيدة ليسوا مقاتلين من أجل الحرية، وهم ليسوا وطنيين جاءوا للنضال من أجل "تحرير" هذه الأرض أو تلك، بل هم مقاتلون من أجل الإسلام، يقاتلون من أجل الخلافية الإسلامية التي بطبيعتها لا تعرف الحدود الجغرافية، والجميع يشتركون في هذه النظرة. وفقا لهذه العقيدة فإنه لا توجد جبهة قتال مختارة، ولا جبهة قتال مفضلة، بل توجد مجموعة من الجبهات والجبهات المحتملة. ويدور القتال والنضال من خلال التنقل بين الجبهات التي ليست لإحداها الأفضلية على الأخرى.

هذه العقيدة لا تضع في اعتبارها جداول زمنية قصيرة بل تضع في اعتبارها نضالا يمتد لأجيال. أعني بهذا أننا أمام عدو يرسل إلى المعركة جيلا من المقاتلين الذين قيل لهم سلفا إنهم في طريهم إلى معركة لا ينتظرون منهم الانتصار فيها، وإنهم لن ينتصروا فيها. هذا عدو مختلف، ليس هو الجندي في الجيش التقليدي الذي يريد الانتصار في حرب أو في معركة من معركتها، إنه جيل تربي على إلا يكون النصر حليفه.

حتى الآن، لم تستطع أي ساحة مواجهة هذه العقيدة. صحيح أن هذه العقيدة في بعض الساحات تشهد حالة من التراجع، كما هو الحال في السعودية والجزائر ومصر، إلا أن أيا من هذه الساحات لم تستطيع تحقيق حسم فعلي ضد هذه العقيدة.

سأختم حديثي بالقول بأن الحرب في لبنان لصيف٢٠٠٦ كانت بمثابة اختبار للعقيدة كلها، وفرصة للقضاء، أو على الأقل لزعزعة بعض العناصر التي تعطي هذه العقيدة سحرها وجاذبيتها في المنطقة التي نعيش بها وأعتقد أن ما حدث في نهاية الحرب هو أن هذه العقيدة نالت دفعة كبيرة وتعززت عن ذي قبل، وأن هذا سيتجلى في أماكن أخرى.

◆ شهادات ◆

المقاتلون الذين غطسوا فى نهر كيشون يتحدثون

بقلم: طل آريئيل أمير
معاريف ١٩/١٢/٢٠٠٨

منذ أربع سنوات، يخوض ٩٠ مقاتلا ممن تدربوا فى نهر كيشون نضالا قانونيا ضد المصانع التي تصب مخلفاتها فى النهر. والمدعى عليهم هم شركة حيفا للكيماويات، ومصانع تكرير البترول، واتحاد مدن منطقة حيفا. يقول المدعون إن المدعى عليهم كانوا يلقون مواداً سامة ومخلفات صلبة فى مياه النهر الذى كانوا يغطسون فيه للتدريب، ويطالبون بتعويض قيمته ٢٠٠ مليون شيكل. ومن المقرر أن تنتهى هذا الشهر مرحلة جمع الشهادات. وفى المرحلة التالية، سيتم بحث العلاقة بين هذه المواد الملوثة والأمراض التى أصيبوا بها. فى الأسابيع الأخيرة، وافق ثمانية من هؤلاء المقاتلين على إجراء حوارات مع الملحق الأسبوعى لصحيفة معاريف "موساف شابات"، جميعهم مصابون بالسرطان، وبعضهم فى مرحلة متقدمة.

* هرتسل آلوني- مقاتل فى وحدة العمليات الخاصة "شييطت ١١":

فى الثالث والعشرين من يونيو ١٩٧٢، أقلعت أربع طائرات فانتوم فى مناورة جوية فوق البحر المتوسط. فجأة، اصطدم جناح إحدى الطائرات بطائرة أخرى، فخرجت الطائرتان عن السيطرة. سقط طاقم المقاتلتين فى البحر، وتم انتشال ثلاثة منهم بواسطة مروحية إنقاذ.

بقى طيار واحد فى المياه الباردة. كان مصابا ويضع رأسه على قارب نجاه. وصلت مروحية أخرى إلى المكان، وألقت باثنين من مقاتلى وحدة "شييطت ١١"- وحدة الكوماندو البحرى الخاصة بسلاح البحرية. أمسك أحدهما الطيار الجريح بإحكام، وبدأ يتسلق حبل الإنقاذ المتدلى من المروحية.

انتظر المقاتل الثانى فى المياه. وفجأة، انقطع حبل المروحية وسقط بالمقاتل والطيار الجريح. فما كان من المقاتلين إلا أن سبحا لساعات طويلة، وهما ممسكان بالطيار، انتظارا للإنقاذ. ولكنهما فى النهاية فقدا الوعى من التعب. كانت بدل السباحة التى يرتديانها تحميهما من الغرق، ولكن الطيار أفلت من أيديهما، وتم إنقاذ المقاتلين، فيما اعتبر الطيار فى عداد المفقودين.

بعد عودتهما للوحدة، حصل المقاتلان- هرتسل آلونى ودافيد نحمياس- على وسام تقدير من قائد سلاح البحرية. وفى سبتمبر ٢٠٠٨، أى بعد ٣٦ عاما، وجد آلوني- المريض بمرحلة متقدمة من الشلل الرعاش- نفسه مضطرا للدفاع عن وسام التقدير الذى حصل عليه أمام المحكمة المركزية فى حيفا، حيث حاول أحد المحامين الموكلين للدفاع عن المصانع الواقعة على نهر كيشون التقليل من شأنه والادعاء بأنه لم يحصل إلا على خطاب تقدير.

يقول آلوني: "بدا لى المحامون كأنهم يريدون إهانة المقاتلين وإظهارهم كمن يكذبون. أصروا على أننى عملت فى رش المبيدات الزراعية وهكذا وصل السم إلى جسمي. أحدهم حطمنى تماما عندما قال لي: وإذا قلت لك أنهم رأوك وأنت تلقى بأدويتك فى المرحاض..؟ صُعقت من اتهامه لى بالاحتيال. توجهت إلى القاضي، عَدى زرنكين، وقلت له إننى غير مستعد للإجابة. خيم الصمت على القاعة. قلت إننى أتمنى لشعب إسرائيل أن يقاتل حزب الله بنفس الضراوة التى يقاتلنا بها، لأن وضعنا الأمنى كان حينها أفضل بكثير. لدينا سوريا، وحماس، وغزة، ولكننى فهمت الآن من العدو

الحقيقي. إنهم نحن، المقاتلون الذين سبحوا في نهر كيشون".
قضى آلوني، المقيم فى كفار يحزقئيل، مئات الساعات فى نهر كيشون، ولا يزال يشعر بالزيت الملوث الذى ألتصق بجسده، والرائحة النتنة وطعم المياه المليئة بالمخلفات المعدنية.

فى الصورة التى تعود إلى فترة خدمته العسكرية، يظهر شاب ممشوق القوام بعينين زرقاوين. أما الآن، فلم يتبقَ إلا رجل مريض يتحرك ويتحدث بصعوبة؛ لا يستطيع حتى التحكم فى حركة عينيه. رعشة قوية تسيطر على كل جسده ولا يستطيع التحكم فيها إلا من خلال جهاز مزروع فى صدره يرسل إشارات إلى المخ.

يقول آلوني: "فى عام ١٩٩٧، كنت أعمل فى شركة نقل، وفجأة لم أستطع أن أمد يدى لأرد على الهاتف. كانت يدى منتفخة. عندما ظهرت نتائج الفحوصات وقالوا لى إنه مرض الشلل الرعاش "باركينسون"، شعرت أن مطرقة هوت على رأسي.

"انهرت، فكيف يصاب رجل بمرض كهذا، وهو فى سن السادسة والأربعين فقط..؟ أحد الخبراء المتخصصين فى هذا المرض قال لى إن إصابتى حدثت بسبب المواد الكيميائية التى امتصها جسمي. ولكن وزارة الدفاع تعترف بالسرطان فقط، وليس بالأمراض المتعلقة بالأعصاب. فى دولة يكون رموزها أشخاص مثل هالفرون، وأفرجيل وبوفليل (من قادة عصابات الجريمة المنظمة فى إسرائيل) لا عجب أن أكون أنا العدو. شعرت فى المحكمة أننى لا أساوى شيئا".

* مناحم كورين - مقاتل فى وحدة الكوماندوز البحرى "شييطت ١٣":

عدد ساعات الغطس التى نفذها مناحم (آكي) كورين، فى نهر كيشون والبالغة ٤١٠٠ ساعة، تتلخص كلها فى ورقة واحدة لأحد معامل التحليل الأمريكية، حيث وُجدت فى دمه نسب عالية جدا من النيكل، والكادميوم، والفضة، والألومونيوم، والتيتنيوم واليورانيوم، وغيرها من المواد المشعة التى تدمر الكالسيوم فى جسمه.

النسب العالية من هذه المواد المعدنية تجعل أى جهاز للكشف عن المعادن يصدر صفيرا عاليا كلما اقترب منه كورين. تنبعث من جسده رائحة حادة. يقول كورين، الذى يعاني هو الآخر من مرض الشلل الرعاش فى مراحله المتقدمة: "كنت دائما أضحوكة أصدقائى وكانوا يسموننى الرجل الآلى، ولكننى أعرف الآن أن هذا غير مضحك".

غير أن مشكلة كورين أكثر تعقيدا، حيث إنه مصاب أيضا بمرض ضمور العظام، وانهيار شامل فى الجهاز العصبي، ولديه أورام خبيثة فى الأمعاء الغليظة وأورام حميدة فى الكلى والغدة الدرقية والصدر. وهو الآن لا يقوى على السير أو الوقوف دون مساعدة، وذلك لعدم قدرته التحكم فى حركة أطرافه.

ورغم حالته الصحية الصعبة، أصر كورين فى سبتمبر من هذا العام على الذهاب إلى المحكمة فى حيفا للإدلاء بشهادته، ولكنه فوجئ بكتيبة من المحامين يحاولون إرجاع السبب فى مرضه إلى تدخين السجائر.

يقول كورين: "وصفونى منذ البداية بأننى محتال، وهو أمر مهين. أدخن بين الحين والآخر سيجارة أو غليون، وبالطبع يستحيل أن يكون هذا مصدر المعادن التى يمتلئ بها جسدي. تحدثت فى شهادتى كيف كان يتم معاقبتى أثناء خدمتى العسكرية بشرب الماء من النهر، وبعد ذلك يسألون عن التدخين. أثناء إدلائى بشهادتي، وقف قائدى فى الجيش، واعتذر لى عن طريقة معاقبته لي، وبعد كل ذلك يتحدثون عن التدخين.

"شعرت أنهم يفضلون موتى حتى لا أكون عبئا عليهم. يصعب على المصانع أن تعترف بأنها السبب فى الأمراض التى أصبنا بها. بعد شهادتي، قلت فى نفسى أنه لو تكفلت وزارة الدفاع بعلاجنا وقامت بنفسها بمقاضاة المصانع، لربما وفرت علينا هذه المهانة".

لا يستطيع كورين، المقيم فى تل أبيب، نسيان التدريبات التى اجتازها فى نهر كيشون، ويقول: "المياه كانت تكوى الشفاه والأعين، وكانت تدخل فى الأنف والفم، ولكننا اعتقدنا أن كل ذلك سيزول بحمام ساخن من المياه. اعتقدنا أن المياه التى بلعناها ستخرج بالطريقة الطبيعية. عانيت طوال فترة خدمتى من التهاب فى الأذن.

"باختصار، أصبحت حطام إنسان. جسدى ينهار من الداخل. فى السنوات الأولى لم أعرف ماذا يحدث لي، إلى أن عُرض على يوفال تامير- المقاتل الذى كشف قضية نهر كيشون- إرسال عينة من دمى إلى مختبر فى الولايات المتحدة. عندما عرفت بنتائج التحاليل، طويت كل مشاريعى المستقبلية. أنهيت عملى وأفلست. لم أعش حياتي. تقاعدت وأنا فى سن الرابعة والخمسين، والآن أريد أن أحتفظ برصاصة سيانيد فى جيبي. أنا لا أهاب الموت، ولكنى أخشى أن أكون عبئا على أسرتي".

* جيورا تشي- مقاتل فى وحدة الكوماندوز البحرى "شييطت ١٣":

حضر عدة مداولات فى المحكمة ورأى أصدقاءه وهم يُحرجون من الأسئلة التى يوجهها لهم ممثلو المصانع. ولكن خلافا لآلونى وكورين، لم يكن جيورا مطلوبا للشهادة، وهو يقول بنظرة واثقة: "كنت لأوفر على هؤلاء الأشخاص الذين ضحوا بحياتهم وصحتهم من أجل الدولة المهانة التى يتعرضون لها الآن. أعتقد أنه من الحرى بالقاضى أن يقنع الجانبين بتسوية، فمن الأفضل للمصانع أن تنفق أموالها على الضحايا بدلا من إنفاقها على المحامين. صورة المصانع

ستتحسن بشكل كبير جدا إذا أدركت أن من يعانى هنا هم هؤلاء الأشخاص الذين لم يؤذوا أحدا فى حياتهم. لقد رفعت الدعوى كخطوة احتجاجية. صحتنا تأذت ونستحق تعويض عن ذلك، ولكن يبدو أننى لن أستمتع بهذه الأموال، ربما يستفيد منها أبنائي".

يتعامل جيورا تشى مع مرض السرطان بشجاعة. إنه يبدو أصغر من سنه، ولا تتضح عليه علامات المرض. كان يعتقد أنه شُفى من سرطان الحنجرة الذى أصابه، ولكن فى عام ٢٠٠٤ أخبره الطبيب بأنه مصاب أيضا بسرطان فى الرئة اليمنى يتفشى باتجاه الرئة اليسرى.

لدى معرفته بنتائج التحاليل، قرر جيورا أن يعيش بطريقته ما تبقى من حياته: "لا أعرف متى سيطرق ملك الموت بابي، وفى تلك الأثناء أريد أن أستمتع بكل لحظة أحياها. بحسب معدل انتشار السرطان فى جسمي، فليس هناك داع لإجراء عمليات. إذا خضعت لعلاج إشعاعي أو كيميائي، سينهار جسدي. ولذا أفضل العيش هكذا إلى أن أشعر بألم وضيق فى صدري، فربما حينها أسافر للعلاج فى ألمانيا".

التحق جيورا بالوحدة ١٣ فى أغسطس ١٩٦٣، وشارك فى العديد من العمليات الخاصة. بعد إنهائه الخدمة العسكرية، واصل العمل فى مجال الغطس. وفى أغسطس ٢٠٠٤، وبينما هو جالس على شاطئ البحر فى هرتسليا بصحبة صديقته، فقد الوعى فجأة.

تبين من الفحوصات الطبية أنه مصاب بسرطان فى لوزة الحلق. خضع جيورا لعلاج إشعاعى أدى إلى احتراق حنجرته، ومنذ ذلك الحين لا يشعر بالشق الأيسر من رأسه ولا يستطيع شرب الكحوليات أو أكل اللحم الأحمر، كما أنه فقد تقريبا حاسة التذوق. ويقول: "لقد أصبح السرطان جزءاً مني. تعلمت أن أتعايش معه. دائما أقول لنفسى إننى لست مريضا، فأنا لدى مجرد سرطان".

* إيلى سورساكي- قائد كتيبة هندسة بحرية:

فى بداية الحوار، قال لى المقدم احتياط إيلى سورساكي: "عندى سرطان فى المخ فى مرحلة متقدمة جدا. اجتزت ثلاث عمليات جراحية، ولكن يستحيل استئصال الورم بسبب مكانه الحساس. أدركت بعدها أنه لا فائدة. من الواضح لى إلى أين يقودنى هذا الوضع".

يرفض سورساكى الاستعانة بعكاز أو مشاية، ويفضل أن تساعده زوجته "فريدة". أدلى بشهادته أمام المحكمة فى شهر يونيو الماضي، وكان خارجا للتو من جلسة علاج كيميائي. وقد رفض الأسئلة التى وجهها له ممثلو المصانع.

أجاب سورساكى بهدوء على الأسئلة التى حاولت نفى أى علاقة لمرضه بنهر كيشون، وإرجاع مرضه إلى استنشاقه للبنزين فى محطات التزود بالوقود أو إلى تناول الطعام فى الأوانى المصنوعة من التيفال. ويقول بغضب: "فجأة سألونى عن سبب نزولى إلى مياه النهر، قالوا لى إننى قائد وكان بمقدورى البقاء خارج المياه. فمن سيختبر أداء الجنود وما إذا كانوا يتدربون بشكل صحيح أم لا..؟ هذا جزء من مهام القائد. القائد لا يلقى بجنوده فى الماء ويبقى هو فى الخارج. شعرت أن المحامين يحاولون انتقاد أدائى كقائد، ولكن لم تكن لدى القوة للصراخ. أتمنى أن يهتم أحد بقضيتنا. هذه فرصتنا الأخيرة. أتساءل دائما كم فرد منا سيعيش ليرى نهاية هذه القصة..؟".

سورساكي، الذى يعيش فى بلدة كريات موتسكين الواقعة إلى الشمال الشرقى من حيفا، تدرب مئات المرات فى النهر الملوث بالمواد الكيميائية. لم يفكر أبدا فى التلوث أو المرض، وإنما فقط فى أمن بلده. فى عام ١٩٩١، وأثناء حفل بمناسبة إنهاء ابنه لدورة ملاحة بحرية، سقط مغشيا عليه وكان جسمه متشنج بشدة.

بعد خضوعه للفحوصات الطبية، اكتشف الورم. وبعد خمس سنوات من العمليات الجراحية والعلاج القاسي، قرر ترك عمله فى مجال الهندسة المعمارية والبقاء فى البيت. كان يهوى أعمال النجارة، ولكنه اضطر للتنازل عن هذه الهواية أيضا بعد الجراحة الأخيرة التى أجراها قبل ثمانية أشهر. منذ ذلك الحين، وهو قابع فى المنزل، ويقول بهدوء: "المرض عقاب. أشعر أحيانا بالرغبة فى الذهاب إلى البحر لنصف ساعة، ولكني لا أستطيع. لا أستطيع الاعتماد على نفسي، ومن الصعب أن تكون حياتى متوقفة على الآخرين. ليس لدى صبر لقراءة صحيفة أو الحديث مع الناس. المرض بمثابة حرب وجودية أخوضها كل يوم".

* نير فلتيتيل- قائد فصيلة هندسة بحرية:

قبل نحو ثلاثة أسابيع، وقف الرائد إحتياط نير فلتيتيل أمام ممثلى المصانع، ولكنه يتمنى الآن أن تمحى هذه الواقعة من ذاكرته سريعا. فقد شعر أن الساعات الطويلة التى قضاها فى نهر كيشون ذهبت سدى، إذ تبين له أن هناك سببا جديداً فى مرض السرطان الذى أصابه فى الغدة الدرقية والرقبة والكلى- وهو زوجته الأولى التى اعتادت التدخين!. ويقول: "حاولوا بعد ذلك إقناعى بأنه ربما يكون مرضا وراثيا، رغم أنه لا يوجد أحدا فى عائلتى مريض بالسرطان.

"حققوا معنا جميعا بنفس الصورة، ولكنى لست غاضبا منهم. إنهم فى النهاية يؤدون عملهم. أنا غاضب من أصحاب المصانع. لو كان لدى القدرة، لتظاهرت أمام مصانعهم. بدلا من أن يضعوا فى فيلاتهم المزيد من لوحات فان جوخ، يتعين عليهم أن يستوعبوا أنه يوجد هنا يتامى ونساء أرامل. من يضمن أننا لن نورث أبناءنا وأحفادنا هذه الأمراض.

"لا يمكن أن أنسى كيف أن أحد شهود الدفاع حاول

الدفاع عن نهر كيشون، وقال إنه على استعداد للشرب من مياهه. انفجرت من الغضب وقلت له إننى مستعد للسفر وإحضار كوب له لنراه وهو يفعل ذلك. إنهم يحاولون الإيحاء بأننا مرضى نفسيين نحاول النصب عليهم بأمراضنا".

وصل فلتيشيل إلى نهر كيشون عندما كان جنديا شابا، ولم يفارقه إلى أن أنهى حياته العسكرية. كان يعيش فى مياهه، ويبيت فى الخيام على ضفافه ويأكل من أسماكه.

كان فلتيشيل يعيش فى سلام حتى عام ٢٠٠٢، ولكن حينها اكتشف ورم خبيث فى رقبته. عندما عرف الأطباء بأمر غطسه فى نهر كيشون، طلبوا منه إجراء المزيد من الفحوصات الشاملة وتبين منها أنه مصاب بسرطان الرئة أيضا.

خضع فلتيشيل فى عام واحد لثلاث عمليات جراحية، وأصبح بعدها ملازما للبيت، وهو فى الخامسة والخمسين من العمر. ويقول: "ينتابنى الرعب عند كل فحص من الفحوصات التى أجريها كل ستة أشهر. تشعر بالسعادة للحظة عندما تعرف أن نتائج التحاليل تشير إلى استقرار الحالة، ولكن عندما تحصل على ميعاد الفحص التالي، على الفور يعود الرعب ليلازمك طوال الستة أشهر التالية، ويزداد هذا الرعب كلما اقترب ميعاد الفحص.

"لا يمكن أن أصف هذا الرعب النفسي. فى دولة إسرائيل لا يعترفون بالضرر النفسى من هذا النوع، إلا إذا قرر طبيب نفسى أنك غير متزن. أرتدى قمصان بأكمام طويلة لأننى أخشى من سرطان الجلد، وأكاد لا أتحدث فى الهاتف المحمول. فإذا كانوا لا يعترفون بهذا الرعب النفسي، فليعوضونا على الأقل عن انهيار أعمالنا. لقد ثبت أن نهر كيشون هو السبب فى أمراضنا، ولذا يتعين على المصانع التى تلوث مياهه أن تدفع الثمن".

* آفى زوهر- مؤسس كتيبة هندسة بحرية:

العميد احتياط آفى زوهر أقل انزعاجا من سرطان الغدد الليمفاوية الذى انتشر فى كل جسده. إنه يأسف فى الأساس على الجنود الذين تدربوا فى هذا النهر الملوث، حيث كان هو الذى اختار مكان الكتيبة على ضفاف النهر، وهو الذى أصدر الأوامر للجنود بالغطس، وهو الذى أجبر من رفض منهم على السباحة فى المياه الملوثة.

ويقول بصوت مرتجف: "أشعر بالأسى على الجنود الذين سبحوا فى هذه المياه كل يوم، من الصباح حتى المساء، بدون بدل غطس. فقط بزيهم العسكري. يصعب أن أصف شعورى بأن هناك مقاتلين يموتون بسبب تعليماتي. لقد ساروا خلفى ووثقوا في، ولكن الأحياء منهم الآن لا يستمتعون بحياتهم".

تولى زوهر إدارة نجمة داوود الحمراء (الإسعاف الإسرائيلي) حتى عام ٢٠٠٥، ولكنه رغم ذلك لم يفكر أبدا فى البحث عن السبب وراء عدم استطاعته تحريك رأسه إلى الجنب. وفقط فى عام ٢٠٠٣، عندما تزايدت الآلام فى قدميه ويديه، قرر إجراء فحوصات.

بعد ظهور نتائج الفحوصات، قال لأطبائه: "أعرف أننى على وشك أن أصبح أقرع". فى الآونة الأخيرة، اكتُشف فى جسده سرطان آخر فى الحنجرة. ولكنه رغم كل ذلك يرفض الاستسلام: "لا أستوعب هذا السرطان حتى اليوم، ولست خائفا من المرض. كل ما أخشاه فقط أن أفقد حيويتى ونشاطي.

"قبل نحو ثلاث سنوات، شاركت فى بحث طبى دولى تموله شركة أدوية فرنسية، ومنذ ذلك الحين أخضع لجلسات علاجية كل شهرين. ورغم أننى لا أشعر بتحسن ونزلات البرد لا تفارقني، إلا أننى أصبر فربما يُجدى ذلك فى النهاية. وعلاوة على ذلك، أحصل على الأدوية بالمجان فى إطار البحث. لم أكن لأتحمل تكلفة هذه الأدوية لأن المرض اضطرنى إلى ترك عملى فى نجمة داوود الحمراء".

انضم زوهر إلى رافعى الدعوى قبل نحو عام، ولكن المحكمة لم تطلبه للشهادة. ورغم ذلك، فهو لا يدخر نقدا لأصحاب المصانع، ويحلم بأن يتظاهر أمام مكاتبهم. ويقول: "لا يوجد أى سبب يجبر المقاتلين على الخوض فى دعاوى من هذا النوع. المصانع تربح المليارات كل عام وأصحابها يتفاخرون بالتبرعات التى يدفعونها، فلماذا يرفضون التوصل لتسوية مع المقاتلين..؟ إذ بمقدورهم إنهاء الموضوع بأقل من ١٠٠ مليون شيكل. من الأفضل للطرفين التوصل إلى تسوية، لأن المبالغ التى سيدفعها أصحاب المصانع ستسقط من الضرائب، وبالنسبة لنا فقد نحظى أخيرا برؤية المال ونحن أحياء".

* طوفيا تيشل - مقاتل فى وحدة العمليات الخاصة "شييطت ١١":

فى السابق، كان طوفيا تيشل يشعر بأن الدنيا كلها بين يديه. بيت كبير فى شيكاغو، وحوض سباحة فى الحديقة، وطائرة خاصة. أما اليوم، فليس لديه أى شئ، فحتى البيت اضطر إلى بيعه. سرطان الشفاه، الذى أدى إلى بتر شفته السفلية، والأورام السرطانية فى مجرى البول، قلبت حياته رأسا على عقب.

أنفق تيشل كل ما يملك على العلاج وعاد إلى إسرائيل صفر اليدين. ويقول بمرارة: "علاج هذا النوع من السرطان باهظ جدا. إذا اكتشفته فى الوقت المناسب، فإنك لن تموت منه، ولكنه سيجبرك على علاجه طوال الوقت. عندما اكتشف الطبيب سرطان الرئة فى جسدي، وصفه بأنه غابة من الأورام. اجتزت حتى اليوم خمس عمليات جراحية، واليوم بدأت أفكر كم من الوقت تبقى لى فى الحياة".

تيشل أيضا لم يُطلب للشهادة فى المحكمة، حيث إنه انضم إلى الدعوى العام الماضى فقط، ورغم ذلك فهو يحرص على حضور المداولات للشد من أزر رفاقه. وعندما يجد أن أحد محامى المصانع يسأل أسئلة لا علاقة لها بالموضوع، يقفز من مقعده فى المحكمة صارخا.

يقول تيشل: "كيف أسكت وأنا أشاهد محاميا لا يزيد عمره على الثلاثين عاما، وهو يمزق بأسئلته مقاتلا قديما يكافح السرطان، ويطلب منه أن يقدم شهادة تفيد بأنه غطس فى المكان قبل ما يزيد على ٤٠ عاما، للتأكد من أن المقاتل لا يكذب، ومن أنه غطس فعلا فى نهر كيشون..؟ قلت للمحامى غاضبا أننى أشك إذا كان هو نفسه يتذكر الأشياء التى فعلها أمس الأول. لا ينبغى أن يقف المقاتلون بهذه الصورة أمام المحامين. إنه لعار. لماذا يتعين علينا نحن الذين أوشكنا على مفارقة الحياة أن نبرهن على ذلك..؟".

يقول تيشل، الذى يعيش حاليا فى نتانيا، إن عام ١٩٧٥ كان العام الحاسم فى حياته، حيث أنهى حينها خدمته العسكرية، ولكنه قرر التطوع لشهر ونصف الشهر فى خدمة الاحتياط للتدرب على إزالة الألغام البحرية. ويضيف قائلا: "لم يقتصر الأمر هذه المرة على الغطس لساعتين أو خمس ساعات، بل كنا نقضى اليوم كله فى الماء. لم نهتم بالرائحة النتنة أو أعيننا التى كوتها المياه. كل ما شغلنا هو أداء مهامنا على أكمل وجه. بعد ذلك بنحو عشرين عاما، ظهر سرطان الشفاه. لم أربطه فى البداية بنهر كيشون. ولكن عندما ظهر سرطان آخر فى جسدى أدركت العلاقة".

* مايك عتسمون- مقاتل فى وحدة الكوماندوز البحرى "شييطت ١٣":

كان مايك عتسمون أول من وقف على منصة الشهادة فى المحكمة، وكان أيضا أول من رفع الدعوى المدنية ضد المصانع، وهى الدعوى التى تضم اليوم ٩٠ مقاتلا وأرملة. فى مايو من هذا العام- وبعد فترة وجيزة من اكتشافه أن اللوكيميا (سرطان الدم) المزمنة تداهم جسده ثانية- وقف عتسمون أمام كتيبة المحامين، وطيلة ساعات أخذ يرد بهدوء على أسئلتهم.

يقول عتسمون إن الأسئلة كلها كانت مكررة: "الوضع كان غريبا. سألونى طيلة الوقت عن المكان الذى غطست فيه، وعدد الساعات التى قضيتها فى الماء، وعرضوا خرائط غير مُحدثة لنهر كيشون، واهتموا كثيرا بالسؤال عن أوانى التيفال. فى مرحلة ما، طلبت منهم أن يسألونى عن نهر كيشون، ولكنهم كانوا مهتمين بمناقشتى فى نوع بدل الغطس التى كنت أرتديها، وبإقناعى أن الشمس هى السبب فى إصابتى بالسرطان".

وقع عتسمون فى حب البحر، رغم أنه لم يفكر فى البداية فى الانضمام لوحدة الـ"شييطت". وحتى بعد تسريحه من الجيش، فتح مركزا لتعليم الغطس فى تل أبيب، ولكنه اضطر إلى إغلاقه بعد اكتشاف إصابته بهذا النوع من سرطان الدم المميز للعجائز وليس لشاب ابن الأربعين.

بعد نحو عام من اكتشاف إصابته بالسرطان، أُصيب أيضا بجلطة دماغية، وهو يجد الآن صعوبة فى تحريك الجانب الأيسر من جسده. لم تكن صحته فقط التى انهارت، بل أيضا حياته الأسرية، حيث تطلق عتسمون وتفككت الأسرة.

يقول عتسمون: "لا أبحث عن مذنبين فى هذه القضية. لم أكن أنا من ألقى مواداً كيميائية فى نهر كيشون. يجب على المصانع أن تتحمل المسئولية. المبدأ هو ما يعنينى فى هذه القضية، وهو أنه يتعين على المواطنين أن يستوعبوا ثقافة الحفاظ على البيئة. ليس المال هو الأساس هنا، وإنما النضال من أجل صورة المجتمع".

متحف التسامح بالقدس يخرج "يهوشع بن آريه" عن صبره

بقلم: عقيفا إلدار
هاآرتس ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٨

عندما يذكرون أمامه "متحف التسامح"، المخطط إقامته على أرض مقبرة "مأمن الله الإسلامية" بالقدس (*)، يفقد البروفيسور يهوشع بن آريه صبره، وهو يدرك بالطبع أن محكمة العدل العليا رفضت الالتماس المقدم ضد إقامة المتحف فى وسط العاصمة، غير أن الحائز على جائزة إسرائيل فى مجال دراسات أرض إسرائيل، وأحد كبار الباحثين فى دراسات القدس، يدعو الجمهور للتوجه لإدارة المتحف حتى تتراجع عن فكرتها الخطيرة.

فى الماضى عرض بنفسه أماكن أخرى بالقدس لبناء المتحف على مستثمرين أمريكيين. ويقول الخبير الجيوجرافى المقدسى: "إننى أتفهم أن هذه ليست قضية منتهية، ولكن لا مفر من المواجهة الشجاعة فى هذه القضية". ويحذر بن آريه من أن هذه سابقة خطيرة لا مثيل لها، تتيح الزعم مستقبلا بأنه يمكن إخلاء مقابر يهودية فى إسرائيل والعالم. "بناء المتحف سيؤدى إلى خلق وضع غير قابل للتغيير، سيمثل ضرراً على مر الأجيال وذريعة لانتقاد تعاملنا مع المقابر والأماكن المقدسة

الخاصة بأبناء الطوائف الأخرى".

فى الوثيقة المرفق طيها خرائط وسجلات، يطالب بن آرييه إثبات أنه من الناحية التاريخية والتقليدية والدينية، لا فرق بين إقامة مبنى على المقبرة الإسلامية وبين بناء مبنى مشابه فى قلب المقبرة اليهودية فى هار هازيتيم (جبل الزيتون). وعلى حد قوله، فإنه بموجب نفس المبدأ الذى يحرك المبادرين بإقامة متحف التسامح، يكون بمقدور النظام الحاكم الأردنى إخلاء أجزاء من المقبرة اليهودية فى هار هازيتيم، أو بناء تحفة معمارية عالمية فوقه.. وربما تحت اسم النهوض بالأخوة اليهودية – العربية فى العالم يتم بناء مبنى باسم "متحف التسامح العربي".

ويوضح بن آرييه فى الوثيقة أن أصل المقبرة يعود إلى العصور الوسطى، وفى محيطها توجد أيضاً مغارات مدافن عتيقة جداً، وهو يوضح فى خرائط المنطقة التى ترجع إلى بداية ستينيات القرن التاسع عشر، وفى الصور الأولى الملتقطة عبر الجو للمنطقة، أن هناك جداراً وطريقاً ترابياً يحيطان بالمقبرة من كافة الجهات، كما يمكن بوضوح مشاهدة أنه على مر الستين سنة الأخيرة للحكم العثمانى فى المدينة، والثلاثين سنة للحكم البريطانى، وعلى الأقل العشرين سنة منذ بداية الحكم الإسرائيلي، لم يتضرر جدار المقبرة.

هناك خرائط مفصلة منذ بداية الانتداب البريطانى تعرض كل منزل وطريق وشجرة. وتوضح هذه الخرائط أن عشرات المنازل العثمانية المقامة حول المقبرة، منذ مطلع سبعينيات القرن التاسع عشر، لا تتجاوز حدود الجدار مطلقاً، وهذا هو الأمر أيضاً على بالنسبة للانتداب البريطانى وفى سنوات الدولة الأولى.

ويرفض بن آرييه تماماً الزعم بأنه يمكن البناء فى هذا المكان لأنه فى الفترة ما بين ١٩٢٨ و١٩٢٩ تم بناء فندق "بالاس" فى هذه المنطقة. وعلى حد قوله، عندما تم بناء الفندق جنوب شارع إجرون، كان هذا الشارع هو الحدود الجنوبية للمقبرة. وهناك مجموعة من المباني، من بينها المبنى الذى يقيم فيه حالياً القنصل الأمريكى ومستشفى الجذام مقامة جنوب هذا الشارع. ولكن فى الجهة الشمالية منه، فى منطقة المقابر، لم يقم حتى الآن أى مبنى. "وفى ضوء كل هذا لا شك أنه خلال بناء الفندق لم يكن أحد يدرك أنه يتم بناؤه على جزء من منطقة المقابر".

كما يرفض بن آرييه مزاعم الخبراء الذين يؤيدون بناء المتحف بدعوى أن مفتى القدس صدّق على إقامة الفندق فى منطقة المقبرة، وهو يقول إن هذا الزعم من شأنه التشكيك فى أهمية المكان لدى المسلمين. وعلى حد قوله، فإن هؤلاء الخبراء يعتمدون بشكل غير علمى تماماً على اتهامات مغرضة من جانب أعداء المفتي، وهو يقول إنهم يتجاهلون القرائن الواضحة والقاطعة الواردة فى المصادر الأولية التى تعود لهذه الفترة. فضلاً عن ذلك، أضاف بن آرييه أن "المسألة لا تتعلق بكيفية تصرف المفتى وإنما بكيفية تعامل جمهور إسرائيلي، ثقافي، مستنير، صهيوني، مع مقبرة إسلامية مهمة، تقع ضمن السيادة الإسرائيلية".

ويقول بن آرييه أن الوحيدين الذين فكروا فى الاقتطاع من مساحة المقبرة، كانوا مخططين بريطانيين حاولوا توسيع الطرق فى المنطقة، كما أنهم أدركوا أيضاً أنه يحظر المساس بالمقبرة دون الحصول على ترخيص من الجهات الإسلامية المسئولة، وهو يؤكد أنه فى كل المكاتبات لا توجد إشارة إلى موافقة أعضاء المجلس الإسلامى على مشروعات المخططين البريطانيين، كما أنه خلال فترة الانتداب البريطانى لم يحدث أى تغير فى المنطقة.

حتى إقامة دولة إسرائيل، كانت أرض المقبرة وحدة واحدة كبيرة، مسجلة فى دائرة الأراضى بتاريخ ٥/ ٣/ ١٩٣٨ باسم المسئول عن المقدسات الإسلامية. وفور إقامة الدولة، قدمت الحكومة الأردنية احتجاجاً رسمياً بسبب "تدنيس مقبرة مأمن الله الإسلامية". ورداً على ذلك كتب يعقوف يهوشع (والد الأديب أ.ب يهوشع) يقول: "تعتبر مقبرة مأمن الله إحدى المقابر الإسلامية العريقة جداً، إذ يرقد فى داخلها سبعة آلاف محارب مسلم من جيش صلاح الدين الأيوبي، والكثير من الحكماء المسلمين". وتعهد يهوشع بأن تحافظ دولة إسرائيل دائماً على المكان وتحترمه".

هناك دليل آخر على تعامل السلطات الإسرائيلية مع المقبرة يسوقه بن آرييه فى الوثيقة: فى عام ١٩٥٨ تمت إقامة منصة للاحتفال فى منطقة المقبرة بالقدس بمناسبة ذكرى مرور عشر سنوات على إقامة دولة إسرائيل. وقد توجه سكرتير "اللجنة الاستشارية للشئون الإسلامية" فى منطقة حيفا آنذاك بطلب إلى رئيس بلدية القدس بنقل الاحتفال من المدينة إلى مكان آخر، وتمت الاستجابة لطلبه على الفور.

وتوضح أبحاث بن آرييه أن تراجع مكانة المقبرة بدأ فى ستينيات القرن العشرين. فى البداية تم شق طريق يربط بين شارعى هيليل وبن سيرا فى الطرف الشمالى للمقبرة. ثم تم تغيير طابع جزء صغير من المنطقة وتم بناء عدة مبانى فيها، من بينها ساحة انتظار سيارات كبيرة. ويقول بن آرييه: "يمكن الزعم بأن كل هذه الأنشطة كان يجب تنفيذها، ولكن هذا كان تطوير لمناطق خالية (على ما يبدو) وطرق ضرورية فى

وسط المدينة التى زادت رقعتها، لصالح الجمهور كله". ومع ذلك تم تقليص حجم البناء إلى حد لا يذكر، فى حين أن أعمال الحفر لبناء متحف التسامح تتم داخل المقبرة وتكشف النقاب عن مقابر ورفات. ويتساءل بن آرييه: "كيف يمكن تبرير بناء متحف خارجي، نبت شيطاني، فى مثل هذا المكان..؟ غداً سيقترح أحدهم بيع الأرض للمقاولين من أجل إقامة مبانٍ ضخمة واستخدام الأموال لرفاهية الجمهور".

(*) مقبرة "مأمن الله" التاريخية هى أقدم وأكبر مقبرة إسلامية فى مدينة القدس المحتلة.

ذكريات الماضي

بقلم: بوعاز جاؤون
معاريف ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٨

قبل أن تأذن الشمس بالمغيب ويملأ الظلام الدامس سماء مدينة تارومينا الإيطالية، دخل رجلان عريضا المنكبين تتسم مشيتهما بالسرعة إلى أحد فنادق المدينة. كان أحدهما أديب وشاعر غيَّر مجرى الصحافة الإسرائيلية قبل ثلاثة عقود على وجه التحديد. لقد علم الأديب عاموس كينان، أحد مقاتلى منظمة ليحى فى الماضى وكان يسمى قبل ذلك عاموس لفيان، جمهور القراء كيفية القراءة والكتاب كيفية الكتابة. وبعد نهاية حرب ١٩٤٨ وما اكتنفها من أحداث أثرت عليه، حاول كينان نسيان ذكريات تلك الحرب وتوجه إلى باريس ليضع خططاً خيالية مع جان بول سارتر حول "تأسيس دولة فلسطينية". وفى عام ١٩٦٧، هرب أثناء الحرب من وحدته العسكرية التى دمرت قرى فلسطينية فى منطقة اللطرون، وعمل فى إحدى الصحف التى أرسل بواسطتها خطاباً للكنيست والحكومة قال فيه "هكذا فقدنا النصر فى نفس اليوم". ومنذ ذلك الحين لم يتوقف عن الكتابة كسلاح يستخدمه بشكل أدبى حيث امتلأت كتاباته بالأبطال البواسل.

لم يكن كينان بمفرده حينما توجه إلى الفندق الواقع فى مدينة تارومينا الإيطالية فى يونيو ١٩٨٣. فقد اصطحب صديقه فى السلاح "رحاميم"، الذى لقب فى إطار عمله فى منظمة ليحى بـ"دافيد"، لكنه أطلق على نفسه ريموندو فى ايطاليا. وكان لقب كينان "يوحنان".

يقول كينان: "كان من الصعب أن أكون عاموس فى تلك الفترة التى كنت أسمَّى فيها يوحنان، حتى أن كثيرا من أصدقائى لم يستطيعوا الرجوع إلى أسمائهم الأصلية حتى الآن". وفى بداية التسجيل الصوتى الذى وثق لقاءه بدافيد، الذى لم يتخل عن لقبه حتى بعد انتهاء الحرب، يطرح عاموس سؤالا عليه: "هل تعتقد أن مقاتلى منظمة "ليحي" كانوا نوعا خاصاً من البشر..؟". لقد استمر الحديث عن ذلك أربعة أيام بلياليها، وكان الحديث يعج بقصص عن الحياة والموت، ففى بعض الأحيان أراد دافيد السكوت، وأحياناً أراد عاموس أن يتناسى، وحينها كان دافيد يضغط على عاموس ليتذكر، ثم يضغط عاموس على دافيد ليتحدث. وبعد هذه الرحلة، عاد عاموس لإسرائيل واستقر فى منزله الكائن فى تل أبيب ليكتب أحد أهم كتبه عن حرب ٤٨.

يقول عاموس فى كتابه "الطريق إلى عين حارود" الصادر عام ٨٤: "ما أردته قد مات، حتى ذكرياتى قد ماتت"، لكنه أصدر بعد أربعة أعوام كتاباً آخر باسم "وهبَّ فى العاصفة"، دارت أحداثه حول التسجيلات الصوتية التى سجلها فى فندق ايطاليا. فقد عاد عاموس ودافيد إلى إسرائيل، بعدما ابتعدا قليلا عن تارومينا وتوجها إلى صقلية، حيث هبطا وسط الدخان المتصاعد من اندلاع حرب لبنان الأولى. فعلى مدار عقدين، كانت التسجيلات الصوتية تتأرجح بين منزلى عاموس ودافيد، لكن حريقاً هائلا نشب فى منزل عاموس كينان عام ٢٠٠٠، مما دفعه إلى حفظ كافة تسجيلاته على ثلاثة اسطوانات طويلة مليئة بالذكريات.

يقول عاموس لدافيد: "هل مقاتلو منظمة لحى بشراً من نوع آخر..؟".

دافيد: "نعم أعتقد ذلك".

عاموس: "كيف..؟"

دافيد: "كانوا رجالاً فريدون من نوعهم. أشخاصاً ينتقدون أنفسهم وعلى استعداد للسير معك حتى النهاية. كان معظمهم يعتقد أن البريطانيين لن يغادروا إسرائيل وبذلوا قصارى جهدهم لطردهم. كنت قائد قوة تضم رجالا لم يأكلوا الخبز الأبيض على الإطلاق. كانوا أسوداً وحاربوا بالضبط مثل الأسود. كنا نعتقد كل يوم أنه سيكشف أمرنا

ونقتل في الغد. اعتقدتُ أنه يجب قتل أكثر عدد منهم، لأنهم سيصلون إلينا ونقتل بعد يوم أو يومين. لذا كنا أكثر عدوانية، بينما كانت قيادات ليحي أكثر ليبرالية وأكثر حرية لاعتمادها علينا، وكنت دائماً ما أحدث نفسي عن إمكانية أن يشرع العرب في قتلي الآن، لأنني قتلت كثيراً منهم".

بدأ الاثنان يعودان إلى البداية. ويتحدث دافيد عن وصوله إلى إسرائيل عام ١٩٤٦، بعدما حارب ضمن صفوف الجيش البريطاني. "كانت أول عملية أشارك فيها في ميدان صهيون. حيث أطلقت النار على ميجور بريطاني فسقط قتيلاً، ثم انسحبت مسرعاً نحو شارع سلومون باتجاه مقابر المسلمين. ولتعلم أنني كنت أحارب مع البريطانيين في الحرب العالمية الثانية، لكنني أصبحت فجأة أطلق النار على الإنجليز، لقد قتلت ميجور ذا بنية قوية وضخمة.

يقول دافيد لعاموس في أحد التسجيلات: "لقد أصدرت أوامري عدة مرات بقتل الإنجليز على مدار الـ ٢٤ ساعة أينما كانوا وفي أي مكان". وقد اقتبست نوريت جيرتس زوجة عاموس كينان هذه المقولة في كتابها "عن رأيه الشخصي".

عاد عاموس ودافيد إلى شوارع القدس في عام ١٩٤٦. ويقول دافيد: "كان يوجد ضابط بريطاني يبلغ طوله ٢,٢ متر ولديه ندبات في قدمه ووجه. كان مسئولاً عن سوق مخيم يهودا والسامرة (الضفة الغربية)، وتلقينا تعليمات بعدم المساس به لأنه يعمل لحسابنا. وقد اقتربنا من هذا الضابط في نفس اليوم وتحدثنا معه".

عاموس: "وهل مات بعد ذلك"..؟

دافيد: "نعم، وطلبنا منه إعطاءنا رشاش، وخزنة تحتوي على سبعين طلقة. كان يحمل أموالاً دائماً ويسألنا عما إذا كنا في حاجة إليها. ولا أتذكر إلا اسم عائلته "أوبريان"، كان ضابط الشرطة في مخيم يهودا والسامرة (الضفة الغربية).

بدأ دافيد يتذكر أسماء شخصيات أخرى أحدهم يهودي من أصل كردي يدعى "برزاني" عينه حاخاماً للمعسكر الذي يرأسه. كان أبناء برزاني الثلاثة أعضاء في منظمة ليحي وماتوا جميعهم خلال تنفيذ عدة عمليات، حيث أرسل أحدهم لإلقاء قنبلة على منزل قائد عسكري بريطاني يدعى بدفورد.

بدأ عاموس يتذكر ما جاء في تقرير حول اقتحام مقاتلي منظمة ليحي منزل دعارة واستيلائهم على مجوهرات وساعات. وكان صاحب المنزل لديه قدم مقطوعة. حينها طلب قائد المجموعة من كافة العاهرات الوقوف، فوقفن جميعاً. وفجأة صفعت إحداهن واحدة كانت تجلس قائلة لها انهضي ألست عاهرة، فضحك الجميع على هذا الموقف".

بدأ يتذكر الاثنان "يورا دوكس"، التي كانت تجلس على مقهى "النبي" الواقع في شارع الملك جورج. كانت دوكس فتاة جميلة من التشيك هاجرت لإسرائيل في الثلاثينيات. وقد أطلق عليها عاموس في كتاباته الجاسوسة الجميلة.

يقول دافيد: "كانت تتجسس على الإسرائيليين لحساب الإنجليز. وكانت تتجسس على الكنيست الإسرائيلية وعلى الرجال العسكريين، وتم إعدامها بالقرب من طبرية.

تقول جيرتس في كتابها "عن رأيه الشخصي" إن دوكس كانت إحدى النساء الجميلات في القدس نظراً لشعرها الذهبي ولون عينها الأزرق. وبينما كانت تجلس مع ابنها في مقهى النبي، دخل مقاتلو ليحي واصطحبوها للتحقيق معها، وقد اقتادوا ابنها أيضاً، ووجهوا لها تهمة العمل السري لحساب البريطانيين على مدار سنوات عديدة، وتم إعدامها رمياً بالرصاص.

يقول عاموس لدافيد: "هل تعلم أنك تثير الخوف لأنك تشبهني، لكنك لا تشبهني بالضبط وإنما تثير نوعاً من الخوف يجعل الناس يخافونك. إنك رجل مباشر وهذا ينطوي على قوة لكنه من ناحية أخرى يجعلك منعزلاً كثيراً. بدأ يتذكر الاثنان قتالهما جنباً إلى جنب في حرب عام ٦٧. وإفرايم الذي حارب معهما عند شارع صموئيل النبي، وطريقة عودتهم من العمليات مثل لصوص البنوك المسلحين، وهم يطلقون النار على سيارات العرب ويختطفون الأسلحة من الجنود البريطانيين. كان إفرايم يخشى العودة والعمل مع أبيه في مجال الكهرباء وأراد الانتحار، حيث قرر فجأة أنه لا يريد مواصلة العيش. وقطع عنقه ويده ونقلوه إلى المستشفى وبعد مغادرة الأطباء، أزال كافة الأجهزة التي كانت على جسده ومات على الفور.

في كتابه "بلوك ٢٣" الصادر عام ١٩٩٩، نشر عاموس كينان قصة الراعي الشهيرة التي تتحدث عن راعي غنم أعدمه مقاتلون يهود بسبب مطاردته إياهم طوال الوقت. يقول كينان: "لقد انتصرنا في هذه الحرب، لكن قصة هذا الراعي لم نستطع محوها من ذاكرتنا، لأنه تحول إلى شبح يهيم فوق الآبار المقفرة والحقول الشائكة والمناطق الخربة. والأطفال الذين ضلوا الطريق أو المجانين الذين هربوا من المستشفيات يهوون في هذه الآبار ولا يعودون مرة أخرى".

كما تحدث عاموس ودافيد عن الاستعدادات لمعركة دير ياسين ونقله للمستشفى بعد المعركة. وقد تجاوزا الحديث عن القتال وانتقلا للحديث عن المنازل التي خلت من سكانها العرب في مناطق أخرى، ونسيج الحياة الهش بين اليهود والعرب قبل حرب ٤٨، والذي تحول إلى علاقات عدائية بين محتل وواقع تحت وطأة الاحتلال بعد قيام الدولة. فمن الصعب التخلص من شعور بذنب يلاحقك وتأمل في أن تجد خلاصاً منه.

قال دافيد: "حسناً، سنعود للحديث مرة أخرى عن دير ياسين. كان يوجد اتفاق بيننا وبين منظمة إتسيل بأنه في حالة

إصابة أحد من قواتنا، سينقل إلى دار الرعاية الطبي التابع لمنظمة "إتسيل".

وذكرت نوريت جيرتس أن عاموس شارك فى هذه المعركة وأطلق النار على منازل العرب وأصاب امرأة كانت تحاول الخروج من منزلها. وأخيراً أصيب هو بشظية وسقط فاقداً وعيه. كان عاموس مصراً طوال حياته على أن ما حدث هناك لم يكن معركة منظمة أو مخطط لها، وإنما معركة عشوائية وبشكل أدق "استعراضية" من حيث عدد ضحاياها.

وقد انتقل الاثنان إلى معركة أخرى فى محاولة لإدراك مغزاها السياسى والشخصى، حيث يتحدث دافيد عن إحدى المعارك التى خاضها عاموس قائلاً: "فى شهر فبراير، توجهت كقائد قوة إلى "بيت شاهين" أو كما هو معروف "هضبة شاهين". كان المطر شديداً وتمتلئ الأرض بالطين والوحل. وقد فقدت نظارتك لكنك واصلت السير قدماً نحو البناية المراد تفجيرها. كانت البناية تتكون من ثلاثة أجزاء أحدها بيت كبير تملكه عائلة "شاهين" ذائعة الصيت، وكان يتعين عليك الوقوف بجوار البناية حتى تتلقى إشارة التنفيذ، وهى سماع دوى انفجارات. ورغم عدم ارتدائك النظارة، إلا أنك تابعت السير حتى وصلت إلى حارس البناية ووقفت أمامه وأطلقت النار عليه ثم دخلت إلى المنزل واقتحم أفراد القوة المكان. وبعد ذلك انسحبتم فى اتجاه شارع "هورليف" حتى وصلتم إلى نقطة التمركز. يقول عاموس: "لا أتذكر شيئاً من هذا القبيل"، لكن دافيد حاول تذكيره بما حدث هناك.

ويعود الحديث مجدداً عن "دير ياسين"، وتحديداً لحظات ما بعد إخراج عاموس محمولاً على كتف "حنينال، الذى حمله طوال الوقت على ظهره. وقد أخبر دافيد عاموس بأن "حنينال" - مثله مثل الآخرين - أصيب بالجنون عقب هذه الحرب. ورد عاموس فى ذهول: "ماذا..؟! لقد كان يشارك معنا فى كل العمليات. فى بيت تانوس، والرملة، وبيت [illegible] وكذلك فى اجتياح اللد. هل بعد ذلك، أصبح الآن مختلاً عقلياً..؟".

حاول دافيد تغيير الموضوع، وبدأ يتذكر زيارة أحد أصدقائه الذى أحضر إليه غنيمة من دير ياسين عبارة عن قلم "باركر ٥٠" قائلاً: "لقد أخذ هذا القلم من دير ياسين، وقدمه لى كهدية ثم توفى بعد ذلك. هل تعرف كيف توفي..؟ يقول عاموس: "لقد مات متأثراً بإصابته بقذيفة مباشرة".

ساد الصمت فى الغرفة، ثم قال عاموس الذى ظهرت أشباح الماضى على وجهه: "يجب أن نتحدث مع العرب. فحينما لا توجد مشاكل لديهم، لا يحدثون أى زوبعات. وحينما يحدثون شغباً وينتهكون النظام، يجب ألا نلتفت إليهم، لأنهم لن يرغمونا على التعامل معهم بالإرهاب والقوة.

يقول عاموس: إننى أتوق إلى أيام ما قبل عام ٤٨. كنت أقضى ليال رائعة فى يافا والقدس. وكان يوجد يهودى ويونانى وعربى وفرنسي، وكنا قادرين على التوجه إلى مصر وبيروت ولم نكن نشعر بأننا خارج البلاد".

بغض النظر، فقد قامت الدولة، لكن ذلك بفضل أمثال عاموس ودافيد اللذين التحقا بصفوف الجيش الإسرائيلى وهربا من عملهما فى إطار الجماعات السرية. فلم يكتف دافيد بالهروب، وإنما دمر قبل ذلك -دون علم قادته- مخزنى سلاح لمقاتلى حركة "حيروت يسرائيل"، حتى يمنع استخدامها فى معركة بين اليهود أنفسهم. فقد أصبح جندياً ومقاتلاً ومساهماً فى إقامة الدولة مثل عاموس بالضبط، الذى هرب من صفوف حركة ليحى لكنه أصبح صحفياً وأديباً فيما بعد.

وبعد الحرب، أصبح دافيد يعمل كسائق تاكسي، لكنه لم يطلع ركابه بما حدث أو بما فعله. غير أن أصدقاءه كانوا على دراية بذلك. وبعد مرور عدة سنوات، اصطحب عاموس دافيد فى رحلته إلى "تارومينا"، وألف عدة كتب منها "الطريق إلى عين حارود"، و "وهبٌ فى العاصفة". وهناك سأل نفسه وجمهور قرائه ماذا يفعل الإنسان حينما يتوقف عن الشوق لنفسه..؟ إن الإنسان الغامض لا يجد ما يختفى بداخله".

ظل دافيد وعاموس يلتقيان مرتان كل عام، ويستمع "عاموس" لتلك التسجيلات، خاصة الجملة المقلقة التى قالها دافيد: "إن العرب يستطيعون قتلى لأنى قتلت الكثير منهم. لقد عشت حتى الآن كثيراً، وأصبحت أشعر بالملل من نفسي".

وبعد مرور سبعة أشهر على رحلة تارومينا، اتصل عاموس بدافيد وشرب معه الخمر كالمعتاد. وبعد بضعة أيام اتصل أحد أصدقاء عاموس وسأله: هل أنت تجلس جيداً..؟. فاندهش من سؤاله محاولاً استيضاح سببه. فقال صديقه إن "دافيد قد مات".

◆ ترجمات عبرية ◆

١

الحرب فى غزة

حركة حماس ستفاجأ بقوة الرد الإسرائيلي ■

المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٨/١٢/٢٢
بقلم: هيئة تحرير الموقع

يقول مصدر أمنى إن القرار بشأن التوقف عن التحلى بضبط النفس إزاء استمرار إطلاق الصواريخ من قطاع غزة صدر، وسيتم العمل به وفقا لاعتبارات تنفيذية. وقد قدمت إسرائيل شكوى إلى الأمم المتحدة احتجاجا على ممارسات حماس.

من ناحية أخرى، أفادت إذاعة الجيش الإسرائيلى بأن مصدر أمنى صرح صباح اليوم الاثنين بأن رئيس الوزراء إيهود أولمرت ووزيرة الخارجية تسيبى ليفنى ووزير الدفاع إيهود باراك أصدروا قرارا بعدم التحلى بضبط النفس إزاء استمرار إطلاق صواريخ القسام من قطاع غزة. وأضاف المصدر أن تحديد المكان والموعد وشكل الرد سيتم وفقا لاعتبارات تنفيذية فقط، وستفاجأ حركة حماس بقوة الرد.

وكانت ليفنى قد عقدت أمس جلسة خاصة فى وزارة الخارجية بشأن الوضع فى جنوب البلاد والاستعداد السياسي بمشاركة كبار المسئولين فى الوزارة. وفى ختام الجلسة أوصت الوزيرة ببدء سلسلة من الحملات السياسية بهدف توسيع «رقعة المشروعية» التى ستحتاج إليها إسرائيل فى حال القيام بأى عملية عسكرية ممكنة فى قطاع غزة.

وفى تلك الأثناء سلمت مساء أمس مندوبة إسرائيل فى الأمم المتحدة جبرئيلا شاليف شكوى لأمين عام الأمم المتحدة ورئيس مجلس الأمن تحذر فيها من عملية عسكرية فى غزة. وجاء فى الشكوى أن إسرائيل تعتبر حركة حماس مسئولة بمفردها عن التصعيد فى غزة. وذكرت إذاعة الجيش الإسرائيلى أن المندوبة أضافت أنه حتى الآن تتصرف إسرائيل بضبط النفس إزاء إطلاق الصواريخ، ولكن الآن وعندما أعلنت حماس عن انتهاء التهدئة، وازدياد إطلاق الصواريخ على غرب النقب، لن تتردد إسرائيل فى تنفيذ عملية عسكرية فى حالة الضرورة.

ومن ناحية أخرى، أصدرت ليفنى تعليماتها لمفوضيات إسرائيل فى الخارج ومكاتب الوزارة المختلفة ببدء حملة سياسية وإعلامية فى عواصم العالم من أجل توضيح خطورة الوضع فى الجنوب. وتهدف الحملة الإعلامية إلى تحميل حماس المسئولية الشاملة عن الوضع الأمنى والإنسانى فى قطاع غزة، وتأكيد حق إسرائيل فى حماية مواطنيها.

من لبنان إلى غزة.. هل استخلصنا العبر..؟!

هاآرتس ٢٩/١٢/٢٠٠٨
بقلم: نير حسون

فى صباح يوم السبت، ومع بدء عملية «الرصاص المصبوب»، بدأت القيادة العليا العمل فى المجمع العسكرى بتل أبيب، وانتقل الجيش الإسرائيلى كله للعمل بمقتضيات «ساعة الحرب». هذان القراران - الفنيان على ما يبدو - هامان للغاية بالنسبة لكل ضابط فى الجيش الإسرائيلى يتذكر النقد الحاد الذى وجهته لجنة فينوجراد بأنه طوال كل حرب لبنان الثانية لم ينتقل الجيش الإسرائيلى للعمل فى تلك الأطر. والشعور السائد فى الجيش الإسرائيلى خلال اليومين الأخيرين هو أن القتال لا يقتصر على حماس فقط، وإنما يمتد إلى الذكرى الكئيبة وإخفاقات الحرب السابقة. يبدو أن الكل يحاولون البرهنة على أن الأمور تغيرت.

«إننى الآن أنام قرير العين» قال أمس اللواء آيال بن راؤوفين، نائب قائد القيادة الشمالية إبان حرب لبنان الثانية. فبالنسبة لبن راؤوفين الأمر يتعلق بتغيير حقيقي. عقب الحرب كان بن راؤوفين من أشد المهاجمين لتصرفات القيادتين العسكرية والسياسية مجتمعين خلال الحرب. وقال إن: «نتائج هذا التحرك سيحددها قادته: وزير الدفاع ورئيس الأركان، وهما قادران على إدارة تلك المعركة. إننى لا أعتقد أن ما حدث لنا فى المرة السابقة سيحدث اليوم للمقاتلين».

فيما أعرب اثنان من أعضاء لجنة فينوجراد أمس عن رضاهم عن الاختلافات البادية لهما بين حرب لبنان الثانية والحرب الحالية. وفى حديث أدلى به لإذاعة الجيش الإسرائيلى، أشار عضو اللجنة البروفيسور يحزقئيل درور إلى ستة معايير يعتبرها تغييراً للأفضل: «تصريحات أقل بشأن أهداف متغطرسة، وعرض أشمل لخطة العمل أمام الحكومة، وتحديد التوقيت حسب الفكر الإسرائيلى وليس انطلاقاً من حالة فزع، ومفاجأة العدو، ومشاركة أكثر لوزيرة الخارجية، واستغلال سلاح الجو بصورة جيدة».

ويمكن إيجاد مثال بارز على الفروق الكبيرة بين صيف ٢٠٠٦ والحرب الحالية فى تصريحات رئيس الحكومة إيهود أولمرت أمس الأول. فقد كان نصب أعين كاتب خطب أولمرت بالطبع خطابه البائس فى ١٧ يوليو ٢٠٠٦ - فى اليوم الخامس بعد اندلاع حرب لبنان الثانية - عندما ألقى أولمرت خطاباً طموحاً جداً، وحدد أهدافاً غير واقعية لوقف القتال. فى المقابل، حرص أولمرت أمس الأول على عدم صياغة شروط لوقف القتال أو توزيع شيكات لا يمتلك الجيش الإسرائيلى الرصيد الكافى لسدادها. وأشار فى تصريحاته مراراً وتكراراً إلى المناقشات الطويلة التى سبقت العملية والجهات المختلفة التى شاركت فى تلك المناقشات.

إحدى الصدمات الناجمة عن حرب لبنان الثانية هى الإخفاق فى التعامل مع السكان المدنيين، عندئذ انهارت فعلياً منظومة دعم الدولة لمواطنيها (المقصود الجبهة الداخلية). فقد اتسم الثانى عشر من يوليو والأيام التى تلته بحالة من الهرج والمرج فى توزيع المسئولية بين قيادة الجبهة الداخلية والشرطة ودواوين الحكومة والسلطات المحلية. وعقب حالة الفوضى هذه تعرضت قيادة الجبهة الداخلية لتقرير نقدى جداً من قبل مراقب الدولة بشأن أدائها. ويبدو أن قيادة الجبهة الداخلية تحاول منذ بداية العملية إثبات أن النقد أتى بثماره، وأن الأحوال تغيرت. القيادة تقوم هذه المرة بدورها على أكمل وجه، ورجالها يحاولون الوجود فى كل مكان طوال الوقت. وقد أعلنت حالة الطوارئ وتمت تعبئة رجال الاحتياط بالقيادة وتوزيعهم بين السلطات المحلية، حيث يرافقون رؤساء السلطات، كما تم نشر جنود فى المستعمرات لمساعدة السكان.

ثمة اختلاف آخر بين ٢٠٠٦ و٢٠٠٨، وهو ترشيد مسألة المتحدثين باسم الجيش الإسرائيلى. فخلافاً للجولة السابقة، قرر هذه المرة المتحدث باسم الجيش الإسرائيلى، آفى بنيهو، انتهاج أسلوب آخر أكثر ترشيداً تجاه وسائل الإعلام، حيث يكاد المتحدث لا يسمح لضباط بالإدلاء بأحاديث ويعلن بنفسه البيانات الإعلامية. وأضاف بنيهو: «هدفنا هو الاحتفاظ بثقة الجمهور فى الجيش الإسرائيلى حتى انتهاء التحرك العسكرى والمساعدة على إضفاء شرعية لأنشطة الجيش خارج البلاد. إننا نحاول استخلاص العبر من الحرب رغم أننى لا أعقد مقارنات. الخط الذى ننتهجه أكثر تواضعاً وأكثر ضبطاً للنفس».

كما أشاد عضو الكنيست عَمير بيرتس، وزير الدفاع إبان حرب لبنان الثانية، بالتوقيت وبالعملية، ولكنه توخى الحذر حيال عقد مقارنات مع الحرب التى أدارها. وعلى حد قوله، فإن «الجيش اليوم أكثر تمرساً وتركيزاً. كل وحدة تعرف هدفها، وهناك إدارة طوارئ قومية تعتنى بالجبهة الداخلية. ربما كنت أنا المبعوث الذى أدى إلى كل هذه التغييرات - على مستوى التدريبات، وتحقيق التوازن بين جبهة القتال والجبهة الداخلية، وكذلك على مستوى رصد الميزانيات. لقد كانت حرب لبنان الثانية حرب الصحوة، والدروس المستفادة منها تطبق الآن. إننى أعلم ماذا أخذت وماذا تركت، والمنظومة الأمنية بعدى كانت فى وضع أفضل».

لا مناص من احتلال القطاع

بقلم: موشيه جولدبلت
المصدر: www.news.co.il
٢٠٠٨/١٢/٣٠

من الدروس العظيمة التي تعلمناها من حرب لبنان الثانية هو إن إسرائيل لم تقم من البداية بالإعداد لسيناريو مسبق للخروج من الحرب، وعقب ذلك بدأ الجيش الإسرائيلي في تضييع الوقت في عمليات لا طائل منها دون أن ينجح في حسم المعركة، أو في وقف إطلاق الصواريخ (طبعاً يقصد هنا صواريخ حزب الله). هذا الدرس تعلمناه من كل أولئك الذي شرحوا وأوضحوا منذ البداية أنه لا يجب شن عملية برية في لبنان، ولا يجب بأي شكل من الأشكال تعريض جنودنا للخطر من أجل حسم تلك المعركة.

لكن هناك آخرين خرجوا بدرس آخر مختلف تماماً. قالوا إن الفشل في حرب لبنان نبع من حقيقة إن الجيش الإسرائيلي لم يحسم الحرب بواسطة شن عملية برية مكثفة، الهدف منها دحر حزب الله كقوة مقاتلة كبيرة. يقول المنتقدون إن الجيش الإسرائيلي كان في إمكانه، بل كان يجب أن يكون قادراً على القيام بذلك بالرغم من الخسائر التي لا يمكن تجنبها. بينما امتنع آخرون عن قول رأي حاسم، فقط لأنهم فقدوا الثقة في قدرة الجيش الإسرائيلي. وحسب فهمهم فإن الجيش الإسرائيلي كان سيُهزم حتى لو تلقى تعليمات أكثر صرامة من القيادة السياسية، ببساطة لأن مستواه كجيش مقاتل لم يكن كافياً.

هذا الخلاف لم يجد طريقاً للحل على مستوى الجدل الجماهيري آنذاك، ولا أعرف ما إذا كان قد حُسم على مستوى القيادة السياسية أم لا. إننا لا نملك مفهوماً ولو بسيطاً إزاء ما ترغب الحكومة في إنجازه خلال العمليات البرية الحالية. لقد امتنعت عن الإعلان أو التصريح بهدف محدد للعمليات غير تطلعها لإحداث تغيير جذري لقواعد اللعبة، كما لم يكن لدى أحد أية فكرة عما تعتزم القيام به. كانت الوزيرة ليفني والوزير رامون قد أعلنا قبيل العمليات البرية أنهما سيعملان على إسقاط حماس. ولكن في الوقت الحالي هل يبدو أنهما كانا يقصدان ذلك جدياً، أم أن الأمر مرةً أخرى لم يتعدَ مجرد تصريحات تفتقد إلى حقائق تستند إليها. على أية حال، ليس لدينا فكرة عن أي ترتيب أو أية تسوية تقوم الحكومة بإعدادها في القطاع، وكيف تنوي تحقيق أهدافها.

ثمة أمرٌ واحدٌ واضح: إذا حدث في نهاية العمليات البرية أن استمرت حماس في إطلاق الصواريخ، وبقيت على رأس السلطة في القطاع، محتفظة بمعظم قوتها العسكرية، فإن ذلك يعني أننا قد خسرنا أيضاً هذه الحرب. وفرصة حدوث ذلك كبيرة، خاصة في ضوء حقيقة إن هذه العمليات البرية تجرى في فترة انتخابات، وهناك مخاوف من أن يطمح وزير الدفاع باراك في رفع شعبيته في استطلاعات الرأي، والتطلع إلى إنقاذ نفسه قبل أن تتعقد الأمور أكثر، بدون أدنى صلة بتحقيق الأهداف التي من أجلها شُنت الحرب، والتي كانت هي الأخرى غير واضحة وغير محددة.

إذا كانوا يرغبون في حسم هذه الحرب فثمة ضرورة لاحتلال قطاع غزة بالكامل. من أجل دحر القوة العسكرية لحماس. وإذا لم يتم تحقيق هذا الهدف فإننا نكون قد مُنينا بهزيمة أخرى، وسيتم استخلاص هذا الدرس في جميع أنحاء الشرق الأوسط، ومن المتوقع أن تكون نتائج ذلك كارثية.

وفي الوقت الحالي تتسارع أحزاب سياسية مثل ميريتس ومراسلون أمثال رافيف دروكر وعوفر شيلح في الإلحاح على الحكومة والتوسل إليها من أجل إنهاء هذه العمليات بأسرع ما يمكن، ويعلنون أنه بدون توجيه ضربة موجعة لحماس فإنه لا يمكن أن يكون للعمليات البرية أية أهداف أخرى، ولن تكون هناك أهداف يمكن أن نطمح إلى تحقيقها.

والحقيقة، لم يكن لدى أدنى شك أن هزيمتنا في هذه الحرب ستظهر بعد بدء العمليات البرية بوقت قصير، ولذلك فقد عارضت منذ البداية الدخول في عملية عسكرية واسعة خلال الانتخابات، وفي ظل وضع لا توجد فيه لإسرائيل قيادة مصممة على إنهائها بالحسم العسكري التام والواضح. أتمنى أن أكون واهماً، ولكن يبدو لي إن المسئولين الذين أكدوا هزيمتنا خلال حرب لبنان الثانية سينجحون في التأكيد على تعرض إسرائيل لهزيمة أخرى.

ارتباك فى الإدارة الأمريكية الجديدة

بقلم: ناتاشا موزجوفيا
هاآرتس ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٨

تُعد أجازات الأعياد فى الولايات المتحدة الأمريكية أوقاتاً مقدسة، ولكن هناك أسباباً جيدة وراء صمت الرئيس الأمريكى المنتهية ولايته جورج بوش والرئيس المنتخب باراك أوباما فيما يتعلق بمسألة غزة. فبالنسبة لإدارة بوش، بعيداً عن موقفه المتشدد من المنظمات الإرهابية، لا يوجد أمامه خيار إلا دعم العمليات العسكرية الإسرائيلية بعد أن قامت الولايات المتحدة بالضغط على إسرائيل لكى تسمح لحماس بالمشاركة فى الانتخابات فى القطاع.. أيضاً باراك أوباما، الذى كان وقت حملته الانتخابية متحمساً لإصلاح ما فشل فيه سلفه، ما كان ليعارض منح جورج بوش بضعة أسابيع فى منصبه الرئاسي، لكى لا يضطر إلى الاكتواء بنيران الشرق الأوسط. لقد عرف أوباما جيداً أنه على وشك تحمل إرث ثقيل، ولكن يبدو أن الصراع الإسرائيلى الفلسطينى لا يأتى على رأس أولوياته.

صحيح أن اللقاءات بين تسيبى ليفنى وأحمد قريع (أبو علاء) لم تثمر عن اتفاق مكتوب، كما أن المباحثات غير المباشرة مع سوريا لم تضمن وجود انطلاقة فى المفاوضات، ولكن كانت مسيرة السلام على الأقل حية تتحرك، الأمر الذى قد يبعث الأمل فى أن الإدارة الجديدة يمكنها أن تساعد، ولو عن طريق وساطة دبلوماسية حثيثة.

كان من المتوقع بالنسبة لمهمة الوساطة الأمريكية أن تكون بطيئة، ولكن السيناريو الحالى يُعد من بين السيناريوهات الأسوأ التى كان أوباما يمكنه القبول بها إرثاً عن سلفه. فمع الأزمة الاقتصادية والحروب فى العراق وأفغانستان، يكون آخر ما ترغب فيه الإدارة الجديدة هو التصعيد فى الشرق الأوسط. لقد بدأت العمليات العسكرية الإسرائيلية، ولكنها فى أيامها الأولى لا تُنبئ بخير: ففضلاً عن تجميد المباحثات مع السلطة واختفاء المسار السورى والغضب العارم المتزايد فى العالم العربى فإنها قد تجعل فريق العمل الدبلوماسى لباراك أوباما أمام تربة هشة غير قوية.

لقد أوضح مستشارو أوباما أنه "يوجد فقط رئيس واحد فى كل وقت" وهو مهتم بأن تتحدث الولايات المتحدة بصوت واحد، ولكنه أيضاً لا يستطيع تجاهل حقيقة أن ما سيقوله الآن لن يكون جيداً. فإذا كان سيتحدث ضد حماس فإن غضب العالم العربى سيتحول ضده. وإذا ما دعا إلى وقف العنف مع تحميل حماس المسئولية فأين التغيير الذى وعد به..؟. إن تصريحا كهذا من جانب باراك أوباما، مثلما دعا فى الصيف وقت النزاع بين روسيا وجورجيا، لن يتم فهمه على أنه يمثل سياسة خارجية أمريكية يتطلع لها العالم.

إن صمت أوباما أدى إلى قيام وسائل الإعلام بعرض تصريحاته التى قالها وقت زيارته إلى سديروت فى يوليو الماضي: "لو أن شخصاً ما كان يطلق صورايخ ناحية منزلي، حيث تنام بناتي، لبذلت قصارى جهدى من أجل وقف ذلك، وإننى أنتظر من إسرائيل القيام بالأمر ذاته". ومع تواصل عرض صور الجثث القادمة من غزة التى تُبث فى جميع أنحاء العالم فقد بدأ ذلك فى تقويض الآمال التى كان يعلقها عليه العالم العربى خلال الانتخابات.

فى نهاية الأمر، إذا ما استمرت العمليات العسكرية فإن الصراع الإسرائيلى الفلسطينى قد يضر بالرئيس الأمريكى الجديد حتى قبل أن يؤدى القسم فى العشرين من يناير الحالي.

العمليات الجراحية فى غزة تجرى بدون تخدير وبدون قفازات طبية

بقلم: عَميرا هَس
هاآرتس ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٨

هناك نقص خطير فى الأجهزة الطبية الضرورية فى المستشفيات فى قطاع غزة. اتضح من المعلومات التى وصلت إلى رابطة الأطباء لحقوق الإنسان فى إسرائيل أن العمليات الجراحية فى القطاع تجرى دون تخدير، وذلك بسبب نقص مواد التخدير، كما أن القفازات الطبية والشاش وأجهزة تعقيم أخرى واسطوانات الأكسجين قد نفدوا. هذا بالإضافة إلى النقص فى إبر خياطة العمليات والسرائر النقَّالة وسرائر الإقامة فى المستشفى.

وخلال الهجمات الإسرائيلية على القطاع جُرح حتى الآن (تاريخ المقال ثلاثة أيام من بدء العملية العسكرية) نحو ١٦٠٠ فلسطيني، بالإضافة إلى مئات القتلى. وقد تم مطالبة الهيئة الطبية فى غزة التعامل مع العبء الذى لم يسبق له مثيل، ومع نقص الأجهزة والأطباء، كما أن أزمة الدواء قد تفاقمت عقب إلحاق ضرر بالغ بالمخزن المركزى للدواء، الذى يخدم

فى الأساس مستشفى الشفاء، إبان تفجير استاد «فلسطين»، وهذا وفقا للمعلومات التى نشرتها رابطة الأطباء بالمشاركة مع مركز ميزان الفلسطينى لحقوق الإنسان، وجمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية.

يصل عدد السرائر فى الثلاثة عشر مستشفى الحكومية الواقعين فى غزة إلى ألف وخمسمائة سرير. وقد تم إخراج المرضى العاديين من المستشفيات، ومن ضمنهم مرضى السرطان والقلب، ليحل محلهم مصابى الهجمات الإسرائيلية. أما مستشفى الشفاء وحدها فيوجد بها اثنتى عشرة غرفة عمليات مشغولات على مدار الساعة، كما يوجد أيضا فى أربعة عشر مستشفى وعيادة خارجية غير حكومية، خمسمائة مكان للإقامة من أجل العلاج، التى يتم توجيه المصابين إليهم.

جدير بالذكر أن هناك فى القطاع نحو ثلاثين سيارة إسعاف لا تعمل، بسبب إلحاق الضرر بهم خلال الهجمات الجوية أو بسبب عُطل معين لم يتم تصليحه فى ظل عدم توافر قطع الغيار.

بالإضافة إلى أنه منذ بدء الهجوم الجوى على غزة يوم السبت، نفد تماما مائة وخمسة أنواع من الدواء فى غزة، التى تستخدم فى علاج الأمراض المزمنة والحادة. إلا أن الأسباب المباشرة وراء هذا النقص هى حظر التجول الإسرائيلي، بالإضافة إلى العداء القائم بين وزارتى الصحة فى رام الله وغزة. وكانت وزارة الصحة فى رام الله قد أرسلت أمس ثلاث شاحنات مُحملين بأجهزة طبية وبأدوية، على أمل أن تسمح إسرائيل بدخولهم عبر أحد معابر الحدود.

وزير خارجية التشيك يعرب عن تأييده لعملية "الرصاص المصبوب" فى غزة

هاآرتس ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٨
بقلم: هيئة تحرير الصحيفة

أعرب اليوم وزير خارجية التشيك، الذى ستتولى بلاده منذ بداية شهر يناير رئاسة الاتحاد الأوروبي، عن تأييده للعملية التى ينفذها الجيش الإسرائيلى ضد حماس. وقال كارل شفارتسنبرج إنه "مع نهاية التهدئة فى التاسع عشر من ديسمبر، زادت حماس تدريجياً من إطلاق الصواريخ على إسرائيل، وهذا لم يعد مقبولا". وعلى حد قوله، فإن إسرائيل تملك الحق فى الدفاع عن نفسها.

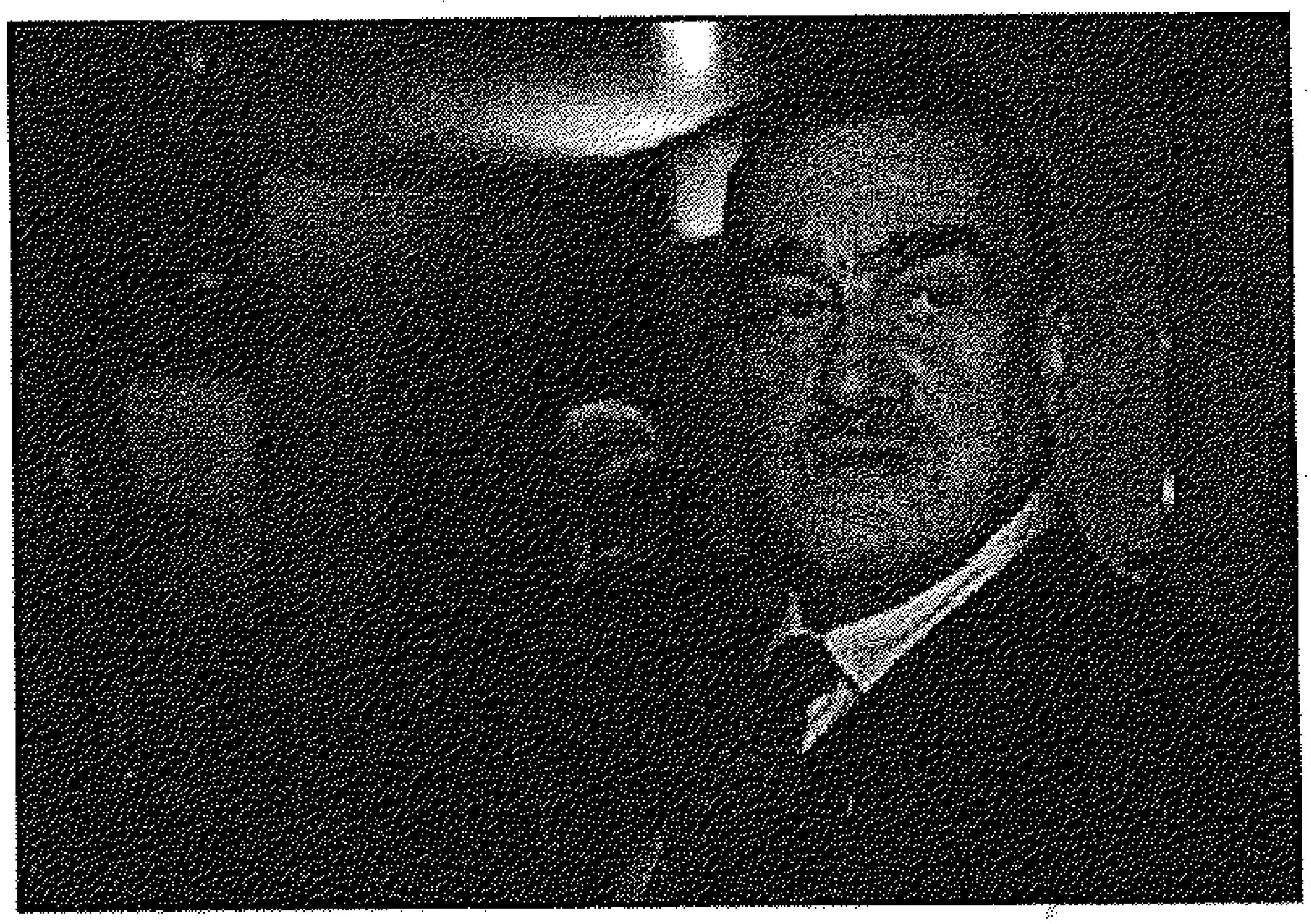

وقال شفارتسنبرج، الذى يعد من المقربين للإدارة الأمريكية، إن حماس عزلت نفسها عن النقاش السياسى الجاد عندما بدأت فى إطلاق الصواريخ على إسرائيل. وبشكل غير مباشر، حمّل الحركة المسئولية عن عدد القتلى الكبير من الفلسطينيين عندما ذكر أن حماس تقيم قواعدها ومخازنها فى منطقة سكنية مكتظة.

وأضاف شفارتسنبرج: "لماذا أنا أحد القلائل الذين أعربوا عن تفهمهم لإسرائيل..؟ لأننى أتمتع بميزة القدرة على قول الحقيقة". وأردف قائلاً إن الاتحاد الأوروبى تحت رئاسة التشيك سيحاول دفع سياسة تؤدى إلى السلام. وقال: "سأشعر بسعادة بالغة إذا ما ساهم ذلك فى مساعدة الفلسطينيين".

كما قال إنه لا ينوى الإعراب عن تأييده لأى طرف من أطراف النزاع، ولكنه سيلعب دور الوسيط. ومن المتوقع أن يشارك شفارتسنبرج فى اللقاء الخاص بوزراء خارجية دول الاتحاد الأوروبي، الذى سيعقد مساء اليوم فى باريس لبحث الهجوم على غزة.

كانت فرنسا، الرئيس الحالى للاتحاد الأوروبي، قد أدانت الهجوم الإسرائيلي، وكذلك إطلاق الصواريخ من جانب حماس. ودعت الطرفين إلى وقف استخدام السلاح. كما أعربت عن أسفها لمقتل الكثير من المدنيين خلال الهجوم، وأدانت ما وصفته بـ"الاستخدام غير المعيارى للقوة". وبهذا كررت فرنسا إدانة سكرتير عام الأمم المتحدة بان كى مون الذى دعا أيضاً إلى وقف فورى لإطلاق النار.

المشروعات فى الجنوب تخسر ٦,٥ مليون شيكل يومياً

بقلم: نعما سيكولار
يديعوت أحرونوت ١/١/٢٠٠٩

دخلت المشروعات الصغيرة فى بئر سبع وما يجاورها مجال إطلاق الصواريخ الذى كان يقتصر على المناطق الواقعة فى أقصى الجنوب فقط. ووفقا لتقديرات اتحاد المكاتب التجارية يقوم نحو ٧٠٠٠ من أصحاب المشروعات المتوسطة والصغيرة فى بئر سبع وما يجاورها بتشغيل أكثر من ٤٠ ألف عامل، توقف معظمهم عن العمل أمس.

وقد صرح يسرائيل بن كنعان، مدير عام مكتب التجارة والعمل فى بئر سبع أمس لصحيفة "كلكاليست" أن ٢٥٪ من أصحاب المشروعات الصغيرة أوقفوا نشاطهم نهائيا بعد سقوط الصواريخ على المدينة. وقد واصلت مشروعات عديدة أخرى العمل فى نطاق محدود. وقدر المسئولون فى اتحاد المكاتب التجارية الخسائر المادية للمشروعات الصغيرة والمتوسطة فى المدينة بنحو ١,٥ مليون شيكل يوميا، بينما قدروا الضرر الذى تعرضت له مصانع المنطقة بنحو مليون شيكل يوميا.

وتنضم هذه البيانات إلى الخسائر اليومية التى تقدر بـ٤ ملايين شيكل، والتى لحقت بالمشروعات الصناعية والمصانع التى كانت حتى الآن فى مرمى نيران الفلسطينيين، وهكذا تبلغ الآن مجمل الخسائر ٦,٥ مليون شيكل يوميا مع استمرار الحرب.

وفى ظل الخسائر المتزايدة فى المشروعات الصناعية الصغيرة والمتوسطة فى الجنوب، أعلنت أمس وزارة الصناعة والتجارة والعمل تشغيل صندوق قروض بالتعاون مع وزارة المالية، كما أن بنك "أوتسار هاحيال" يقوم بتحويل ٦٢ مليون شيكل لحساب المشروعات الصغيرة المتضررة من المواجهات العسكرية.

وقد شهدت مصانع بئر سبع أمس حضور نحو ٨٠٪ من إجمالى ١٢ ألف عامل فى المدينة وما حولها فى أماكن عملهم، إلا أن أى مصنع لم يعمل بكامل قوته. ويبدو أن الصعوبة الأساسية تكمن فى غياب الاستعداد المسبق للمصانع لحالات الطوارئ التى يعانون منها - فمعظم المصانع غير محصنة وتخلو من أجهزة الإنذار.

وقد تقرر بعد الجلسة الطارئة التى عقدها أمس ممثلو وزارة الصناعة والتجارة والعمل، وممثلو رجال الصناعة فى الجنوب أن يعمل وزير الصناعة إيلى يشاى والعاملون فى الوزارة فى الأيام القادمة على إعداد خطة تصون أجور العمال فى وقت الطوارئ.

كم يكلفنا أسبوع من القتال فى الجنوب..؟

بقلم: تانى جولدشتاين وتسفى لافى
يديعوت أحرونوت ٢/١/٢٠٠٩

ترفض الحكومة نشر أرقام، إلا أن تقديرات قياسية لخبراء تكشف أن الجيش الإسرائيلى أنفق أكثر من مليار شيكل على القتال، وأن مصلحة الضرائب ستضطر لدفع أكثر من ٣٥ مليون شيكل لأصحاب البيوت المستهدفة، كما أنه من المنتظر دفع تعويضات للمشروعات الصغيرة.

تجنى العملية العسكرية التى تشنها إسرائيل ضد حركة حماس ثمنها من أرواح البشر التى تُعد أغلى من أى مال. ولكن للحرب أيضا ثمناً اقتصادياً يتزايد بمتوالية هندسية كلما استمرت العملية.

* **تمويل الحرب: الجيش الإسرائيلى أنفق أكثر من مليار شيكل:**

ترفض وزارة المالية والجيش الإسرائيلى نشر بيانات عن التكلفة الحقيقية للعملية، والتى تتمثل فى نفقات الجيش الإسرائيلى على التسليح والوقود. وتكشف تقديرات قاسية وصلت إلى يديعوت أحرونوت من مسئول سياسى مطلع على تفاصيل ميزانية الأمن-التى نفتها تماما وزارة المالية- أن تكلفة القصف الجوى بمفرده فى عملية "الرصاص المصبوب" فى غزة من المنتظر أن تبلغ ما بين ١٠٠ - ١٥٠ مليون شيكل على الأقل يوميا، ولكن ليس مستحيلا أن تتجاوز حد ٢٠٠ مليون شيكل فى يوم القتال، أى أن التكلفة بلغت حتى الآن نحو مليار شيكل، ونحو ١,٥ مليار شيكل أسبوعيا.

ويقول المسئول إن الرقم قائم على عدد الطلعات الجوية، وعدد ساعات الطيران، وعدد الطائرات وأنواعها فى كل طلعة جوية، لا سيما وفقا لكمية وأنواع السلاح الذى يحتاجه سلاح الطيران.

ويعد تمويل القتال فى واقع الأمر عملية معقدة فى حد ذاتها،

طالما أن الكنيست لم تمرر ميزانية الدولة لعام ٢٠٠٩، وأن المنظومة الأمنية بدأت أمس، مثل باقى الوزارات، العمل بمقتضى حصص شهرية محدودة من ميزانية ٢٠٠٨.

وبخلاف المبالغ التى خُصصت للجيش الإسرائيلى فى العام الماضي، هناك مبلغ آخر يبلغ ٨٠٠ مليون شيكل خصصتها "لجنة بروديت" (*) للمنظومة الأمنية بعد حرب لبنان الثانية من أجل تنفيذ عمليات خاصة على غرار العملية الحالية. كما أنه من المنتظر أن يستعين الجيش الإسرائيلى بالجزء المالى من المعونة الأمريكية. وقد كان الاحتياطى الحالى كافيا فقط لتمويل الأسبوع الأول من القتال.

كذلك فإن المصادر المالية الممكنة التى بقيت من الناحية النظرية، هى الأموال التى حصلت عليها المنظومة الأمنية من خلال تعهدها باقتطاعها من ميزانيتها ونفقاتها للسنوات القادمة، وتلك النفقات كانت مخصصة للاستغلال فى السنوات القادمة بشكل عام من أجل مشتريات قادمة للجيش. ويرجع مبرر استخدام موارد مستقبلية إلى الرغبة الماسة فى تجديد احتياطى السلاح الذى استُغل فى القتال وشراء قطع غيار الطائرات، وباقى الأسلحة التى تحتاج صيانة مستمرة.

ولكن أيضا هناك حدود لخداع المحاسبين. فإذا تلاشى أى أمل فى الحصول على موارد مالية، فى حال استمرار الحرب على سبيل المثال، لن يكون هناك مفر من مطالبة وزارة المالية بتمويل خاص يأتى على حساب العجز فى الميزانية، إن لم يكن على حساب نفقات أخرى فى الميزانية العامة سيتم تخفيضها.

*** ترميم البيت: حتى الآن التكلفة تصل إلى ٣٥ مليون شيكل فقط:**

فضلا عن تمويل الحرب نفسها، ستضطر الحكومة لإنفاق عشرات الملايين من الشيكلات على دفع تعويضات لأصحاب البيوت المستهدفة من صواريخ حماس. وفقا للبيانات خلال الخمسة أيام الأول من العملية حُرر فى مصلحة الضرائب أكثر من ٣٠٠ محضر عن خسائر فى الممتلكات.

وبمقتضى تقديرات المصلحة، يبدو أن عدد المحاضر التى تحرر فى كل يوم من أيام المواجهات العسكرية الحالية أقل كثيرا من عدد المحاضر اليومية التى حُررت أثناء حرب لبنان. ويعتقد المسئولون فى المصلحة أنه فى هذه المرحلة مازال من السابق لأوانه تقدير حجم الخسائر، ولكن من تقديرات جهات مختلفة فى هذا القطاع يتضح أن الخسائر المباشرة التى تعرضت لها الممتلكات حتى الآن تبلغ ٣٥ مليون شيكل.

(*) لجنة شكلتها الحكومة الإسرائيلية فى نوفمبر ٢٠٠٦ لدراسة ميزانية وزارة الدفاع وصياغة توصيات مستقلة بالنسبة لحجم ومحتويات هذه الميزانية سواء على المدى القصير أو على المدى البعيد والتجاوب مع المقتضيات الأمنية المترتبة على ذلك.

لو كنت فلسطينياً

بقلم: يوسى ساريد
هاآرتس ٢/١/٢٠٠٩

تحدثت هذا الأسبوع مع طلابى عن حرب غزة، وذلك فى إطار محاضرة عن الأمن القومي. أحد الطلاب، المعروف لى بمواقفه المحافظة - نجح فى مفاجأتي. فبدون أى استفزاز من جانبي، فتح الطالب قلبه واعترف قائلا: «لو كنت شاباً فلسطينياً، لقاتلت اليهود حتى الإبادة حتى بوسائل إرهابية. كل من يقول غير ذلك، يكذب عليك».

أقواله رنت فى أذنى كأقوال معروفة، سبق لى أن سمعتها ذات مرة. فجأة تذكرت: قالها قبل نحو عشر سنوات وزير دفاعنا، إيهود باراك، حينما سأله جدعون ليفى عندما كان مرشحا لرئاسة الوزراء: ماذا كنت ستفعل لو أنك وُلدت فلسطينيا..؟. فأجابه باراك بصراحة: «كنت سأنضم إلى منظمة إرهابية».

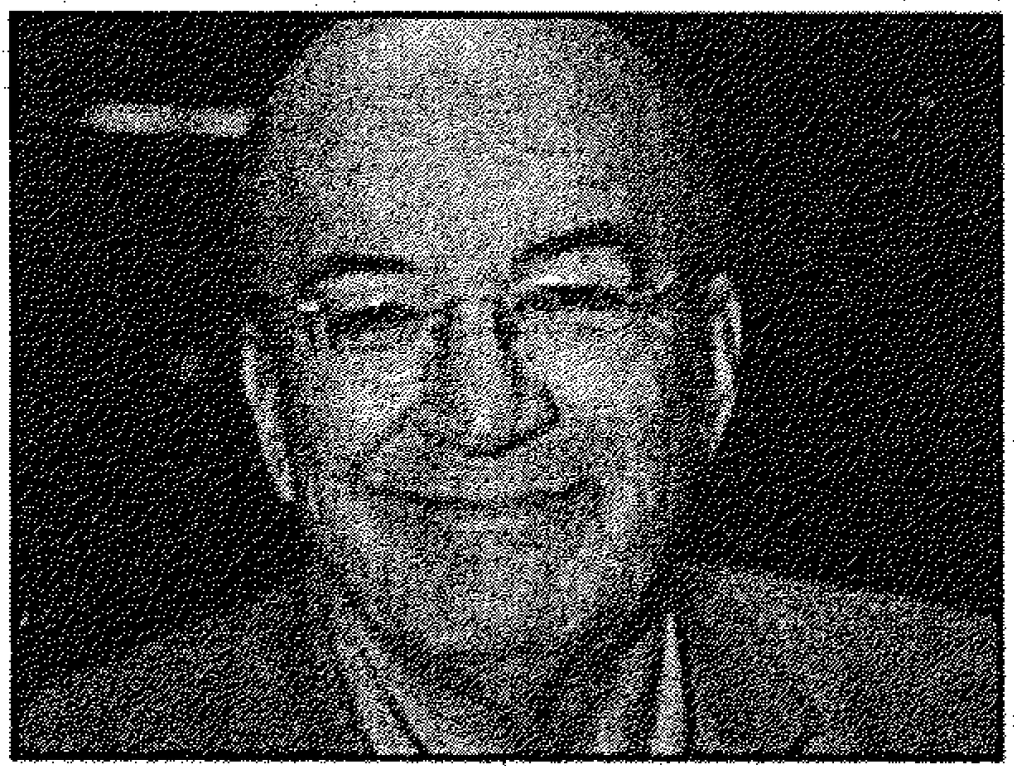

هذا ليس جوابي. فإرهاب الأفراد أو المنظمات أو الدول يرمى دوما لإيقاع ضحايا فى صفوف السكان المدنيين، الذين لم يتورطوا فى إراقة الدماء. فالإرهاب ليس فقط أعمى، بل يوسع أيضا دائرة المتزمتين ممن يغلى الدم فى عروقهم: دمنا فى رقابهم، ودمهم فى رقابنا؛ وما أن يفتح حساب الدم حتى يطول، فمن يمكنه أن يغلق هذا الحساب بكامله، ومتى..؟.

أنا أكره كل الإرهابيين فى العالم، مهما يكن الهدف من كفاحهم. وبالمقابل، أنا أؤيد كل عصيان مدنى نشط ضد كل احتلال، وإسرائيل أيضا من المحتلين الحقيرين. مثل هذا العصيان أكثر عدالة وجدوى ولا يفقد الناس طابعهم الإنساني. قد أكون مجرد رجل عجوز فلا يسعنى أن أكون

إرهابياً. ولكن، وأؤكد على كلمة لكن، إذا كان لشاب عادى جواب عفوى غير جوابي، ونفس الجواب يصدر على لسان جنرال عسكرى إسرائيلي، فإن كل شخص يجب أن يرى نفسه وكأن ابنه وقع أسير ثقافة سيئة. لو انقلبت الآية، لأصبح أبناؤنا فلذة أكبادنا بشكل شبه مؤكد إرهابيين فظيعين، لأنهم الجيل الثالث والرابع من النفى والعبودية الذى يسعى إلى الخلاص وليس لديه ما يخسره.

أما نحن، أمه وأبيه، فكنا سنبكى الفقيد إذ إنه لن يعود ليرى موطنه ويرانا- إلا من صورته على الحائط كشهيد. فهل كنا سنمنعه قبل أن ينفذ مخططه..؟ هل كان بوسعنا أن نمنعه لو أردنا..؟ هل كنا سنفهمه..؟ هل ما فهمه إيهود باراك فى حينه كان غائبا عنا..؟.

الشباب عديمو المستقبل يتخلون بسهولة عن مستقبلهم الذى لا يلوح لهم فى الأفق. ماضيهم كعمال صرف صحى وحاضرهم كعاطلين عن العمل يمنعا أى مدخل للأمل لديهم: موتهم أفضل من حياتهم، بل موتهم أفضل من حياتنا نحن الذين نقمعهم. منذ يوم مولدهم وحتى يوم رحيلهم، يرون بلادهم أمام ناظريهم ولكنهم لا يستطيعون القدوم إليها كأناس أحرار.

لا توجد شعوب طيبة وأخرى شريرة، توجد فقط زعامات تتصرف بمسئولية أو بجنون، والآن نحن نقاتل مرة أخرى ضد أناس لو ظللنا فى نفس وضعهم لمدة واحد وأربعين سنة لفعلنا نفس ما يفعلون.

ليس هكذا تتصرف دولة متروية

بقلم: أودى هيرش
المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٩/١/٢

ينسى الجمهور والإعلام دائما ولسبب ما أن دولة إسرائيل غارقة فى السنوات الثمانى الأخيرة فى الحروب والعمليات العسكرية، ويصدقون أنها تضبط نفسها ومتروية. قبيل انتهاء حرب لبنان الثانية، كتب آرى شابيط مقالا فى صحيفة هاآرتس كان حريٌ به أن يدفع كل من قرأه إلى عدم الثقة فى هذا الصحفي، أو على الأقل أن يأخذوا إجازة منه لمراجعة أنفسهم، حيث زعم حينها - فى الأيام التى سبقت الهجوم البرى الكارثى والزائد عن الحاجة الذى أنهى المعركة - أنه إذا وافق إيهود أولمرت على وقف إطلاق النار، فيتعين عليه أن يستقيل من منصبه فورا. كان ذلك فى الوقت الذى أفاق فيه معظم الصحفيين والمحللين من وهم الانتصار فى الحرب ودعوا إلى إنهائها. احتل مقال شابيط الصفحة الأولى من صحيفة «هاآرتس»، ويبدو أنه كان حاضرا فى ذهن أولمرت عندما قرر الزج بجنودنا فى عمق الأراضى اللبنانية رغم أن الخطوة الدبلوماسية كانت حينها قد نضجت بالفعل.

وبعد عامين ونصف العام، ها نحن نجد إيهود أولمرت يدير حرب أخرى، وآرى شابيط يكتب مقالا آخر لا يقل حماقة عن سابقه. فتحت عنوان «حرب وقائية» يدافع شابيط باستماتة عن عملية «الرصاص المصبوب» ويفعل ذلك بطابعه المتكرر والغوغائي، من خلال التغاضى عن الحقائق الواضحة والتطاول على «الإسرائيليين كارهى إسرائيل»، حسب وصفه، الذين يرون أن القصف الإسرائيلى لغزة يعد جريمة حرب. ولكن شابيط أسدى لنا خدمة عظيمة، إذ إن مقاله يجمع كل الأخطاء المَرضية للإعلام الإسرائيلى منذ بداية العملية، ويتيح تفنيد كل الافتراضات الواقفة وراء هذه الأخطاء.

لنتحدث أولا عن الحقائق. ينطلق شابيط فى كل تقرير أو مقال تحليلى له منذ بدء العملية يوم السبت الماضى من افتراض أساسى بأن إسرائيل أبدت فى السنوات الأخيرة ضبطا للنفس، وأنه إذا ما «نُظر إليها كفريسة سهلة تنزف فى المياه وتجذب إليها أسماك القرش»، على حد تعبيره، فلن يكون هناك أمل فى السلام. الرأى السائد هو أن إسرائيل أظهرت فى السنوات الأخيرة سياسة أمنية رخوة وسائبة تجاه القطاع، وأنها عندما تقوم الآن بقصف وتدمير غزة فإنها تفعل بذلك عدلا تاريخيا. ولعل هذه الرؤية توفر تفسيرا للجملة الأخيرة فى مقال شابيط بأنه «حان الوقت لأن تتصرف إسرائيل أخيرا كأمة ناضجة تدافع عن نفسها بذكاء وترو». بالنسبة للذكاء، فهذه مسألة يمكن النقاش فيها، ولكن من المشكوك فيه إذا كان شخص جاد يستطيع الزعم أن ما يزيد على ٤٠٠ قتيل فى أسبوع واحد جراء القصف الجوى هو نتيجة التروي.

فى الحقيقة، إسرائيل لم تظهر ضبطا للنفس ولو للحظة واحدة فى السنوات الأخيرة، لا فى قطاع غزة ولا فى الجبهات الأخرى. فهى تخوض حروب واجتياحات وعمليات عسكرية بدون لحظة واحدة من الهدوء. صحيح أنها لم تكن صاحبة المبادرة دائما، ولكنها دوما ما ترد على استفزازات العدو بشكل مكثف وأحيانا غير متناسب.

خرجت إسرائيل فى عام ٢٠٠٠ من حرب طويلة ومدمية فى لبنان، لتدخل بقوة أكبر، وبطريقة يرى كثير من المحللين وكبار الساسة أنها أججت الأحداث، فى الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى). ما يزيد على ٤٠٠٠ فلسطينى (ونحو ألف إسرائيلى) لقوا مصرعهم خلال ست سنوات. صحيح أن إسرائيل انسحبت فى ٢٠٠٥ من قطاع غزة، ولكنها خلافا لمزاعم شابيط لم «تعض على شفتيها وتتمالك نفسها» طوال السنوات الثلاث التى تلت ذلك. فقد قتل مئات الفلسطينيين فى عملية «أمطار الصيف» التى أعقبت اختطاف جلعاد شاليط فى عام ٢٠٠٦، وعملية «الشتاء الحار» التى كانت قبل عشرة شهور. هاتان العمليتان لم تؤديا إلى إضعاف حماس أو تعزيز قوة الردع لإسرائيل. وبين هاتين العمليتين، هاجمت إسرائيل لبنان عقب اختطاف اثنين من جنودها، وهدمت- بطابعها المتروى المعهود- أحياء كاملة وقتلت مئات المدنيين اللبنانيين. ١٥٥ إسرائيلياً لقوا حتفهم فى هذه الحرب الطويلة جدا والحافلة بالأخطاء. وفى وقت لاحق، دمرت إسرائيل - بحسب تقارير أجنبية - مفاعل نووى فى سوريا.

فى ضوء ما تقدم، يمكن الجزم بقدر كبير من الثقة أن العملية الحالية فى غزة ليست ردا متأخرا ومحدودا على إطلاق الصواريخ والقذائف باتجاه الأراضى الإسرائيلية، وإنما هى مجرد مرحلة فى سلسلة عمليات إسرائيلية مكثفة وباطشة. ورغم كل ذلك، يبدو أن ذاكرة الإعلام الإسرائيلى ومعظم مواطنى الدولة ضعيفة. فكل عملية أو حرب من هذا النوع تقابل بنوع من السعادة والارتياح الجماعي: ها هم أخيرا يعملون؛ أخيرا يتوقفون عن أن يكونوا متسامحين فى المحيط المطوق بالأعداء الذى نعيش فيه، والذى لا مكان فيه للتسامح والسذاجة. حدث هذا فى عمليات «السور الواقي» و«أمطار الصيف» و«الشتاء الحار» ويحدث الآن فى عملية «الرصاص المصبوب».

يبدو أننا لم نلحظ أن دولة إسرائيل تخوض حربا مستمرة، مستخدمة فى ذلك قوتها العسكرية الباطشة، وأن محاولات «التهدئة» تقابل عندنا بامتعاض ويتم تفسيرها بأنها تبعث برسالة ضعف إلى المنطقة التى ينبغى فيها إظهار البطش طوال الوقت، واستغلال القوة العسكرية من أجل «إعادة ترميم قوة الردع الإسرائيلية». ومع أن إسرائيل ترمم قوة ردعها طوال الوقت، لكن يبدو أنها لا تردع جيرانها بالشكل المطلوب.

*** معدلات تأييد مفزعة:**

ولكن عندما يجرؤ أحد على ادعاء ذلك، فيتهم فورا بأنه خائن و«كاره لإسرائيل»- حسب وصف شابيط الذى يقول إن هؤلاء الأشخاص «يحصون أسماء القتلى الفلسطينيين، ويشجبون العمليات الإسرائيلية، ويصفون دولتهم بالوحشية». فترى من يكون هؤلاء الكارهون لإسرائيل..؟ وكم عددهم..؟. سنصعق إذا عرفنا أن الجمهور بأكمله تقريبا يؤيد بحماسة قرارات الحكومة ونشاطات الجيش الإسرائيلى فى أى حرب، حتى إن علامات الاستفهام التى كنا نطرحها فى الماضي- كما حدث فى حرب لبنان الأولى على - سبيل المثال - لم يعد لها مجال الآن، واختفى مصطلح «حرب اختيارية» من قاموسنا. فحتى حزب «ميريتس» أبدى تأييده للهجوم الذى بدأ يوم السبت. صحيح أن هناك بعض مقالات النقد فى الصحف، ولكنها تغرق فى بحر الكتابات القومية والحزبية. إن من يتحفظون على القصف الجوى لغزة، مازالوا يتذكرون أنه رغم اغتيال إسرائيل لكل القيادات السياسية والعسكرية لحماس قبل بضع سنوات، إلا أن الوضع الأمنى لإسرائيل لم يتحسن، بل ازداد سوءا.

يقول شابيط إنه «لا مجال لكراهية الإسرائيليين كارهى إسرائيل. ففى نهاية المطاف، موقفهم انفعالي...عدم قدرتهم على إظهار تعاطف مع الإسرائيليين فى بئر سبع، وأشدود، وأشكلون، وسديروت يؤكد أن بهم قدرا من البلادة». ولكنه نسى أن الفلسطينيين لم يطلقوا قبل العملية الحالية صواريخ على بئر سبع أو أشدود - بالضبط مثلما لم يطلق اللبنانيون قبل حرب لبنان أى صواريخ على حيفا.

لا شك أن إطلاق الصواريخ على سكان مدنيين يعد عملا إرهابيا مقيتا، ولكن للأسف الشديد تعلمنا التجربة أن حروب إسرائيل الحدودية توسع نطاق المتضررين من هذه الصواريخ وليس العكس، وإذا نظر شابيط إلى نهاية الصفحة التى نشر فيها مقاله، سيجد تقريرا لميخال فاسر، من مستعمرة كفار عزة، يعارض فيه العملية التى ينفذها الجيش الإسرائيلى الآن. وإذا تصفح صحيفته، سيجد أن رئيس بلدية نتيفوت، التى تتعرض لصواريخ الجراد، يؤيد التحاور مع حماس. فحتى فى هذه المناطق، يوجد أناس يدركون أن الوسائل العسكرية لا تتمخض بالضرورة عن حل.

*** ليست هناك حروب ذكية:**

يمجد شابيط فى نهاية مقاله الجيش الإسرائيلى ويقول إن «عملية الرصاص المصبوب هى فى الأساس عملية ذكية ورائعة. المفاجأة كانت تامة، والمعلومات الاستخبارية دقيقة والتوقيت ذكى جدا». ولكنه ينسى أن حماس ليس لديها صواريخ مضادة للطائرات، وأنها ليست مزودة بأى وسائل للدفاع الجوى، وأنه بمقدور إسرائيل قصف قطاع غزة متى وأينما شاءت، دون حاجة إلى عنصر المفاجأة أو إلى ذكاء خاص. الذكاء كان على ما يبدو فى قتل ما يزيد على ٢٠٠ من عناصر شرطة حماس، ولكن مثلما اتضح فى حرب لبنان الثانية، المعارك لا تحسم بعدد الضحايا الذين يقعون فى الجانب الآخر.

ولعل الشئ الوحيد الذى اتفق فيه مع شابيط، هو أن حماس بالفعل منظمة تجلب كارثة على شعبها، وأن رغبة الفلسطينيين فى تدمير إسرائيل لا تزال أقوى من رغبتهم فى بناء فلسطين. ولكن فى الوقت نفسه، فإن ما تقوم به إسرائيل من استخدام جيشها الضخم ضد جيرانها يعد مسألة شائكة أيضا.

يقول شابيط فى نهاية مقاله إن أى حرب هى مأساة، ولكن النشوة التى تظهر من مقاله تشير إلى أنه لا يؤمن بذلك. فإذا كنا نؤمن فعلا بأن الحروب كلها مآسي، لربما ما كنا لنخرج إليها بهذه الوتيرة المتسارعة.

اليمن تسرع بنقل اليهود بسبب العملية العسكرية فى غزة

بقلم: عيدان يوسف
المصدر: www.news.co.il
٢٠٠٩/١/٤

على ضوء ما يحدث فى قطاع غزة وزيادة التهديد لحياة اليهود، قرر الرئيس اليمنى الإسراع بإعادة تسكين نحو ٣٠٠ يهودى يمني. فقد ذكرت صحيفة السياسة الكويتية نقلاً عن أحد أعضاء البرلمان اليمنى من الحزب الحاكم، أن الرئيس على عبد الله صالح أصدر أوامر رئاسية بنقل اليهود من منطقتى ريدة وخَرِف فى محافظة عمران إلى العاصمة صنعاء.

ويأتى هذا الانتقال بعد أن بدأ أبناء الطائفة اليهودية فى هذه المناطق فى التعرض لأعمال تنكيل من جانب السكان وصلت إلى حد مقتل أحد اليهود فى الحادى عشر من ديسمبر ٢٠٠٨، وأمر الرئيس السلطات المختصة بتخصيص مبنى فى صنعاء ومبلغ مليون ريال يمنى لكل أسرة يهودية فى عمران.

وقال عضو البرلمان الشيخ محمد بن ناجى الشارف، إن ترتيبات سكن اليهود مازالت تجرى وستكون معدّة فى بداية الأسبوع. وتسكين اليهود سيكون على حساب الحكومة بعد مفاوضات تم إجراؤها ورفضت خلاله الطائفة اليهودية الاقتراح وطلبت إيجاد ظروف تضمن سلامة أفرادها.

وبهذا سيكون على اليهود بيع ممتلكاتهم للانتقال إلى المكان الجديد والإقامة فى جيتو خاضع للحراسة.

وتجرى حالياً محاكمة القاتل، وهو طيار سابق فى سلاح الطيران اليمني. جدير بالذكر أنه منذ عام ونصف العام هرب ٦٧ يهودياً من سكان قرية السلام شمالى محافظة صعدة إلى صنعاء بعد أن تلقوا تهديدات من المتمردين الحوثيين.

الخيارات المتاحة: إسقاط حماس أو قوة دولية

بقلم: ران بورات
المصدر: www.omedia.co.il
٢٠٠٩/١/٧

بدأت عملية «الرصاص المصبوب» فى توقيت سياسى جيد بالنسبة لإسرائيل يوفر للجيش حرية العمل لفترة طويلة قبل أن يقرر الساسة وقفها. فمعظم دول العالم تحمل حماس المسئولية عن الهجوم الإسرائيلى متفهمة أنه لم يعد بمقدور إسرائيل تحمل المزيد من إطلاق الصواريخ على مواطنيها الذى لا يتوقف منذ سنين؛ كما أن إدارة بوش فى آخر أيامها، وهو ما يحرر الرئيس المنتهية ولايته من قيود الاعتبارات السياسية بشكل جعله يؤيد العملية علناً، فى حين أن الرئيس المنتخب باراك أوباما قرر النأى بنفسه عن الشئون السياسية قبل أدائه القسم فى العشرين من يناير.

وبالنسبة لمحور الدول العربية المعتدلة، فهو يرغب فى القضاء على حماس بشكل لا يقل عن رغبة إسرائيل، حيث تعرف مصر والأردن والسعودية أن سوريا وحزب الله - وإيران فى الأساس - هم أكبر الرابحين من نظام الإرهاب فى غزة الذى يعد ذراعا متقدمة للثورة الشيعية. ولذا، فإن كبح جماح حماس واستنزافها يقلل من قوة الكتلة الراديكالية،

ومن الخطر الذى تمثله على استقرار الأنظمة فى القاهرة وعمان والرياض. ورغم تحركات الرئيس الفرنسى النشط ساركوزى من أجل إحراز وقف لإطلاق النار، إلا أن أوروبا أيضا تتفهم الخطر الذى تمثله حماس وتوافق على ما تقوم به إسرائيل للدفاع عن نفسها. أما الروس، فهم يلعبون منذ زمن طويل دورا ثانويا (إن كان لهم دور من الأساس) فى الساحة الفلسطينية.

غير أن استهداف إسرائيل لمؤسسات الأمم المتحدة فى غزة (المقصود مؤسسات الأونروا) خلال الأيام الأخيرة - حتى وإن جاء فى إطار الدفاع عن النفس - خدم أولئك الذين يطالبون بحث تسوية فورية لوقف إطلاق النار، وفى طليعتهم حماس بالطبع. فقد عرض الرئيس المصرى حسنى مبارك مبادرته التى تتضمن وقف فورى لإطلاق النار لفترة قصيرة ووساطة مصرية بين إسرائيل وحماس لبلورة تسوية مستقبلية بشأن القطاع.

وتوافق فرنسا وتركيا على إرسال مراقبين للإشراف على هذه التسوية، إذا تحققت؛ وتؤيد وزيرة الخارجية الأمريكية، كونداليزا رايس، فى هذه الأثناء الاتصالات الجارية حول المبادرة المصرية؛ وإسرائيل بدورها «أعربت عن اهتمامها» بالمبادرة المصرية، وهو ما يشير إلى أن المسئولين فى إسرائيل باتوا يدركون أن الوقت السياسى المتاح لاستكمال الأهداف العسكرية للعملية قد نفد.

*** يجب تغيير قواعد اللعبة:**

تعد المقولة الشهيرة للجنرال الألمانى، فون كلاوزفيتش - أحد مؤسسى نظرية القتال الحديث - بأن «أى هجوم لا يؤدى مباشرة إلى السلام، سينتهى بالضرورة إلى التراجع لوضع دفاعي» هى خير تجسيد للوضع الحالى، وذلك لأن وقف الجيش الإسرائيلى للهجوم المكثف الذى يقوم به الآن يعنى إبقاء الوضع على ما هو عليه، بل وربما أسوأ مما كان. فرغم أن إسرائيل أنزلت ضربة حاسمة بالذراع العسكرية لحماس والكتائب الإرهابية التابعة لها، ودمرت الكثير من بنيتها التحتية (مثل تدمير المقار الأمنية لحماس وضرب الأنفاق)، إلا أنه من غير المؤكد أن دوافع سكان غزة- ورجال حماس بالتحديد- فى مواصلة إطلاق صواريخ القسام قد تراجعت بشكل ملموس، بل إن هذه الدوافع قد تكون ازدادت على الأمد الطويل.

بالنسبة لسكان غزة، الذين يئنون تحت وطأة نظام إسماعيل هنية الإرهابى ورفاقه، فإن المعابر مع إسرائيل ومصر ستظل مغلقة، وسيظل المستقبل مظلما قاتما بلا أمل. صناعة التهريب الرائجة (بمساعدة إيران أيضا)، وإنتاج وإطلاق المقذوفات والصواريخ ستظل إغراء لا يمكن مقاومته تقريبا باعتباره المخرج الوحيد للصمود فى القطاع المخنوق والمشتعل. سيُستأنف إطلاق النار فى وقت ما، وسيكون الإنجاز الوحيد للعملية هو تحقيق الهدوء لسكان الجنوب لفترة ما، لا أحد يعرف مدتها بالتحديد.

كى تؤدى الحرب فى الجنوب «إلى السلام مباشرة»، يجب أن تنتهى بتغيير جذرى فى أرض الواقع. وإذا لجأنا إلى لغة الشطرنج، فيكون من الواضح أن إسقاط «الملك الأسود»، أى حماس، هو الخطوة المطلوبة التى ستشكل هزيمة واضحة لإيران والإرهاب. هذا ما فعلناه فى عملية «السور الواقي» عندما أسقطنا السلطة الفلسطينية برئاسة عرفات. ولكن أولمرت أعلن أنه لا ينوى إسقاط نظام حماس- ربما لأنه لا يعرف من سيملئ الفراغ الناشئ فى غزة بعد ذلك، وهذا هو الخطأ بعينه. فيجب أن يكون من الواضح أن حماس المدعومة من إيران لن تنسحب من المشهد السياسى ببساطة. وحتى إن تضررت بشدة، فلا أمل فى أن تتنازل عن الإرهاب كوسيلة لتحقيق سياستها، إذ إنه ليس لديها بديل آخر.

رغم الضعف الواضح لحركة فتح تحت قيادة أبو مازن، إلا أنها العنصر الوحيد فى الساحة الفلسطينية الذى يمكن الإشارة إليه ومطالبته بتولى المسئولية عن غزة. قد يبدو هذا أمرا خياليا، ولكنه ممكناً إذا ما قدمت الولايات المتحدة ودول أوروبا دعما مكثفا لأبو مازن، وإذا ما هيأت إسرائيل الأرض جيدا من خلال تصفية كل مظاهر الوجود السلطوى لحماس فى غزة، مضحية بدماء المزيد من جنودها. ولعل هذا هو السبب فى مطالبة وزير الخارجية البريطاني، ديفيد ميليباند، بـ«وحدة فلسطينية» كشرط لوقف إطلاق النار- وهى كلمة السر لعودة سلطة أبو مازن إلى غزة.

تثبت تجربة الماضى أن التفاوض مع ممثلى حماس يؤدى إلى تفاهمات هشة لا يلتزم بها الطرف الفلسطينى إلا عندما تكون فى صالحه. فدائما ما يمكن اتهام «التنظيمات المارقة» بالمسئولية عن إطلاق صواريخ القسام القاتلة على الإسرائيليين مخلية بذلك مسئوليتها. وفى ضوء ما تقدم، فحتى إذا فضلت إسرائيل الخيار الأسوأ بوقف إطلاق النار، فعليها أن تشترط ذلك بالحصول على ضمانات مشددة، مثل نشر قوات دولية فى المناطق التى تُطلق منها الصواريخ تكون مهمتها تفكيك سلاح حماس.

تبدو فرص تحقيق تسوية كهذه ضعيفة، والمحتمل أكثر هو أن نشهد تسوية أخرى هشة على هيئة مراقبين لطفاء مليحى الطلعة، ولكنهم عديمو القدرة على منع إطلاق النار فى المستقبل على إسرائيل.

لا لوقف إطلاق النار

بقلم: موشيه آرنس
هاآرتس ٧/ ١/ ٢٠٠٩

تمر عمليات الجيش الإسرائيلي فى قطاع غزة بمرحلة حاسمة، فإذا لم نتوخ الحذر قد نمنى بالهزيمة مجدداً مثلما حدث فى حرب لبنان الثانية، وهذه المرة ستكون على يد حماس، تلك المنظمة الإرهابية الأصغر والأضعف من حزب الله، حيث إننا نسمع أصوات تتسم بالإصرار وتدعو إلى وقف إطلاق النار.

إذا لم ينه الجيش الإسرائيلى المهمة التى كُلف بها - وهى وقف إطلاق النار- وإذا كانت نغمة النهاية السابقة لوقف إطلاق النار، ستتحول إلى صوت انفجار صواريخ تسقط فى المدن الإسرائيلية، فإن العالم بأسره سيفسّر هذا كما لو كانت حماس قد نجحت فى هزيمة إسرائيل.

وبخلاف الخطر الكامن فى انتهاز حماس لوقف إطلاق النار للعودة إلى التسلح بالصواريخ - التى قد يكون مداها أكبر من تلك التى تمتلكها حالياً - فإن مثل هذه الهزيمة الجديدة ستتسبب فى ضرر لا يمكن تفاديه لأمن إسرائيل، وستعتبر دعوة للعدوان من جانب أعداء إسرائيل فى السنوات المقبلة. وكل مواطنى إسرائيل، وليس فقط هؤلاء الذين يعيشون فى الجنوب، سيدفعون ثمن مثل تلك التطورات.

كان هنرى كيسنجر هو من قال إن "الجيش التقليدى يخسر إذا لم ينتصر، أما العصابات فتنتصر إذا لم تخسر". وأى منظمة إرهابية تنجح فى الصمود أمام قوة الجيش الإسرائيلي، وأن تبقى وفى المقابل تواصل الاعتداء على إسرائيل، سيتم اعتبارها منتصرة. وفى المعارك الدائرة فى قطاع غزة حالياً، سيخسر الجيش الإسرائيلى إذا لم ينتصر وسيتم اعتبار حماس منتصرة. ولن تفلح أى مناورة فى مجلس الأمن بالأمم المتحدة لصياغة قرار يدعو إلى وقف إطلاق النار، أو أى وعود من المجتمع الدولى لإسرائيل، فى تغيير تلك الصورة.

هذا ما حدث بعد صدور القرار ١٧٠١ فى عام ٢٠٠٦، الذى تم بعده وقف إطلاق النار، مما وضع حداً لحرب لبنان الثانية، ونشر قوات اليونيفيل فى جنوب لبنان. ويكفى تأمل ما حدث منذ ذلك الوقت لحزب الله، كيف زاد من مخزون الأسلحة لديه، وكيف شدد من قبضته على لبنان، لندرك ما سيحدث فى قطاع غزة إذا ما وافقنا على وقف إطلاق نار مشابه هناك. ولسبب ما، تجد إسرائيل صعوبة فى استيعاب الدرس وإدراك أن وقف إطلاق النار مع الإرهابيين هو فى صالحهم فقط.

وخلافاً للموقف الإسرائيلى التقليدى المتمثل فى سياسة دافيد بن جوريون ومناحم بيجين - اللذين وضعا المصالح الأمنية لإسرائيل فوق أى اعتبار- يزعم عدد من الساسة فى إسرائيل فى السنوات الأخيرة، أن أى عملية عسكرية إسرائيلية من المتوقع أن تواجه ضغطاً من جانب المجتمع الدولي. ذلك الضغط الذى يجب علينا الرضوخ له حتى وإن كان هذا يعنى الإضرار بأمننا القومي. ولكن الحقيقة هى أنه فى السنوات الأخيرة ازداد التفهم فى أغلب دول العالم، خاصة فى الولايات المتحدة، للحاجات الأمنية الإسرائيلية فى إطار مكافحتها للإرهاب.

إن الاعتقاد بأنه سيتم ممارسة ضغط دولى شديد على إسرائيل بما يقيد قدرتها على اتخاذ إجراءات ضد العناصر الإرهابية، لا أساس له من الصحة. ففى حرب لبنان الثانية كان يمكن منح الجيش الإسرائيلى ما يريد من الوقت، لو قام بعملية ذات فائدة ضد حزب الله، الأمر الذى كان سيتم قبوله فى العديد من المحافل الدولية. هذا ما يحدث أيضاً فى المواجهة الحالية ضد حماس. إذا تم اعتبارنا على أننا انتصرنا فى الحرب، لن يكون لدينا ما نخشاه. وإذا كان هناك من يشك فى هذا الأمر، فيكفيه الرجوع إلى كلمات التأييد من جانب الرئيس الأمريكى جورج بوش وعمدة نيويورك مايكل بلومبرج، الذى زار أشكلون (عسقلان) فى بداية هذا الأسبوع، وكذلك كلمات التأييد من جانب العديد من كبار أعضاء مجلس الشيوخ عن الحزبين الديموقراطى والجمهورى.

لا يجب أن نسمح لشيء بإلهائنا عن المهمة التى نواجهها. يجب على الجيش الإسرائيلى مواصلة المهمة الملقاة على عاتقه، ألا وهى وضع حد لإطلاق الصواريخ من غزة. إننا نملك القدرة على تحقيق هذا، وهذا ما يجب فعله. أما الفشل، بدون أى صلة بتفسيرات الساسة الإسرائيليين أو بالتساؤل حول ماهية الصيغة الدقيقة لقرار مجلس الأمن بالأمم المتحدة حول وقف إطلاق النار، فسيكون بمثابة بشارة سيئة للغاية لإسرائيل.

مبادرة لاستضافة ألف طفل من غزة فى حيفا

بقلم: ران برحي
المصدر: www.omedia.co.il
٢٠٠٩/١/١٢

قرر رجل أعمال إسرائيلى من حيفا يدعى دورون كوهين (٥٠ عاما) هو ومجموعة من أصدقائه إطلاق مبادرة لاستضافة ألف طفل وامرأة من غزة فى إسرائيل. ويوضح دورون فى حديث مع موقع "أوميديا" الإلكترونى، إن دوافعه من وراء هذه المبادرة ليست التضامن مع الجانب الفلسطيني، وإنما أسباب أخرى: "إنها مبادرة إعلامية، لدينا مشكلة مع الإعلام الدولى، الذى يصورنا كصهاينة متعطشين للدماء. أردنا إظهار جانب آخر فينا؛ جانب دافئ وإنساني. وحينها، خطرت الفكرة على بالنا، وقلنا لنُخرج مجموعة من النساء والأطفال من هناك ونستضيفهم لدى أسر يهودية فى إسرائيل".

وقد أنشأ كوهين بريديا إلكترونيا خاصا ليستقبل عليه طلبات المهتمين باستضافة الأطفال من غزة.

يشير كوهين إلى أن المبادرة "حية وناجحة"، وأنه رغم كون الأسر التى أعربت عن رغبتها فى المشاركة فى المبادرة كلها يهودية، إلا أنه لا مانع لديه من مشاركة أسر عربية فى إسرائيل. ويضيف: "مئات الأسر اليهودية فى حيفا طلبت المشاركة فى المبادرة. الهدف المعلن هو أن نُخرج من غزة هؤلاء الرهائن الذين يعيشون هناك بالإكراه ويستخدمهم الإرهابيون كدروع بشرية".

أقام كوهين ورفاقه ما يشبه غرفة عمليات للتنسيق والترتيب لهذه المبادرة، ومن جانبها أعلنت بلدية حيفا استعدادها لمد يد العون لهم.

ويشير كوهين إلى أن البلدية وفرت لهم كل الوسائل اللوجيستية "مثل الحافلات التى ستنقل هؤلاء النساء والأطفال من المعابر الحدودية إلى حيفا، وفتح المتنزهات وأماكن الترفيه فى حيفا بالمجان لهم".

ويوضح كوهين أن إدارة الإعلام فى وزارة الخارجية تلقت المبادرة بحماسة شديدة، ولكن لم يتسنَ حتى الآن الحصول على الرد النهائى للجيش الإسرائيلي. تجدر الإشارة إلى أن عاموس جلعاد، رئيس الشعبة السياسية الأمنية فى وزارة الدفاع، هو المسئول أيضا عن هذا الموضوع. يقول كوهين: "طلب الجيش معلومات منا حول عدد الأشخاص الذين نستطيع استضافتهم. أبلغناهم أننا نستطيع استيعاب ١٠٠٠ شخص كل أسبوع، ولازلنا ننتظر ردهم".

وردا على سؤال حول ما إذا كان الفقراء فى إسرائيل أولى بهذه المساعدات، قال كوهين: "الفقراء فى إسرائيل كانت ولا تزال لهم الأولوية. يوجد المئات منهم فى حيفا، ولكن يتعين علينا أيضا أن نحرص على أطفال أعدائنا". ويؤكد كوهين أن المبادرة قاصرة على النساء والأطفال فقط، دون رجال "حتى لا ندخل فى مشاكل"، بحسب قوله.

الجانب الفلسطيني لم يعلق على المبادرة حتى الآن، ويتوقع كوهين من وزارة الخارجية أن تستخدم جهازها الإعلامى فى الترويج للموضوع.

هيومان رايتس ووتش: "استخدام غير قانونى لقنابل الفوسفور الأبيض فى غزة"

بقلم: عَميرا هَس
هاآرتس ٢٠٠٩/١/١٤

استخدمت إسرائيل بشكل غير قانونى قنابل الفوسفور الأبيض فى هجومها على غزة. هذا ما أكدت عليه منظمة حقوق الإنسان الأمريكية هيومان رايتس ووتش.

من المعروف أن استخدام قنابل الفوسفور الأبيض مسموح به فى ساحات القتال كستار من الدخان، ولكن استخدامها بالقرب من المناطق السكانية تصاحبه نتائج وعواقب وخيمة للغاية، حيث تتسبب هذه القنابل فى حروق وإشعال النيران فى المبانى والحقول والمناطق المدنية الأخرى.

بناءً على ذلك، فإن منظمة هيومان رايتس ووتش تقول إنه عندما تستخدم إسرائيل هذا السلاح فى منطقة مكتظة بالسكان فإنها بذلك تنتهك القانون الإنسانى الدولى.

إن شهادات الأهالى والعاملين فى المجال الطبى بوجود حروق صعبة للغاية عند المصابين فى غزة تؤكد هى الأخرى وتدعم هذه المزاعم من جانب المنظمة. وفى لقاء له مع صحيفة هاآرتس قال مارك جيرلاسكو من منظمة هيومان رايتس ووتش إن كون إسرائيل لا تسمح بدخول جهات مستقلة إلى القطاع يؤكد تلك الشائعات حول استخدام أنواع من الأسلحة تؤدى إلى إصابات خطيرة وتشويه جثث القتلى.

جدير بالذكر أن جيرلاسكو عمل لمدة سبع سنوات فى البنتاجون فى تحديد أهداف القصف لسلاح الجو الأمريكى فى كوسوفو، وأفغانستان، والعراق.

◆ ترجمات عبرية ◆

٢

الانتخابات العامة فى إسرائيل

ومع ذلك حزب عربى موحد..؟

بقلم: نير يهف

المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٨/١٢/٢١

بـدأ الرئيس الرمزى لحـزب بلد (التجمع الوطنى الديموقراطي) عضو الكنيست واصل طه إجراء اتصالاته مع باقى الأحزاب العربية من أجل محاولة الخروج بقائمة عربية واحدة تخوض معاً انتخابات الكنيست. وفى حوار له مع موقع Walla أكد عضو الكنيست واصل طه هذه التصريحات، وقال إن حزبه سيوافق على الاتحاد فقط مع كل الأحزاب، ولن يوافق على الاتحاد مع قائمة واحدة بعينها.

وأنكر عضو الكنيست واصل طه التقارير التى تتحدث عن توقيع اتفاق مبدئى مع عضو الكنيست طلب الصانع (الحزب الديموقراطى العربي) وعضو الكنيست عباس زكور (الذى انسحب من القائمة العربية الموحدة للتغيير وأسس حزب الوسط العربي) حول انضمامهما للقائمة. قال طه: "كان الصانع عندى فى المنزل واستمعت إلى مطالبه وتطلعاته وتصوراته، وقلت له إن لدينا تصوراً واضحاً لتشكيل قائمة تضم كل القطاع العربي، وبعد أن نقوم بتشكيل هذه القائمة سنبدأ فى توسيعها إلى تيارات صغيرة مثل حزب الصانع وحزب عضو الكنيست زكور".

وحسب تصريحات طه، فإن طلب الصانع وعباس زكور أعربا عن موافقتهما على المشاركة فى قائمة عربية موحدة. وأضاف طه قائلاً: "إن الهدف الرئيسى لنا فى التجمع الوطنى الديموقراطى (بلد) هو تشكيل قائمة واحدة تضم كل القطاع العربي. إذا نجحنا فى ذلك فهو أمر جيد، وإذا لم ننجح فإننا على استعداد لخوض المنافسة وحدنا وأيضاً إلى الأبد. إننا نتمنى مواصلة اللقاءات مع باقى ممثلى الأحزاب العربية، وأن ننجح فى الخروج بقائمة واحدة".

وقد قرر الفصيل الجنوبى للحركة الإسلامية يوم الأربعاء جعل مكان عضو الكنيست طلب الصانع يتراجع إلى المكان الخامس فى القائمة العربية الموحدة للتغيير، الذى يعتبر قريباً من المقاعد المضمونة، وجعل رئيس الحركة الإسلامية فى عرعرة طلب أبو عرار مكانه. وقد أعرب طلب الصانع عن استيائه من هذه الخطوة وقال: "إن القائمة العربية الموحدة للتغيير ليست إرثاً خاصاً بالحركة الإسلامية".

نتنياهو فى الجولان: «لن نتنازل عن ممتلكاتنا الاستراتيجية»

بقلم: بنحاس وولف
المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٨/١٢/٢٢

صرح اليوم الاثنين الموافق (٢٠٠٨/١٢/٢٢) رئيس حزب الليكود عضو الكنيست بنيامين نتنياهو أن الحكومة القادمة برئاسته لن تنسحب من الجولان. وفى إطار الجولة التى قام بها رئيس حزب الليكود فى هضبة الجولان، قال: «لقد جئنا إلى هنا لكى نقول بوضوح للجمهور الإسرائيلى وللعالم أجمع إن حكومة إسرائيل بقيادة حزب الليكود ستبقى فى الجولان، وستحافظ عليها كثروة استراتيجية من أجل أمن إسرائيل».

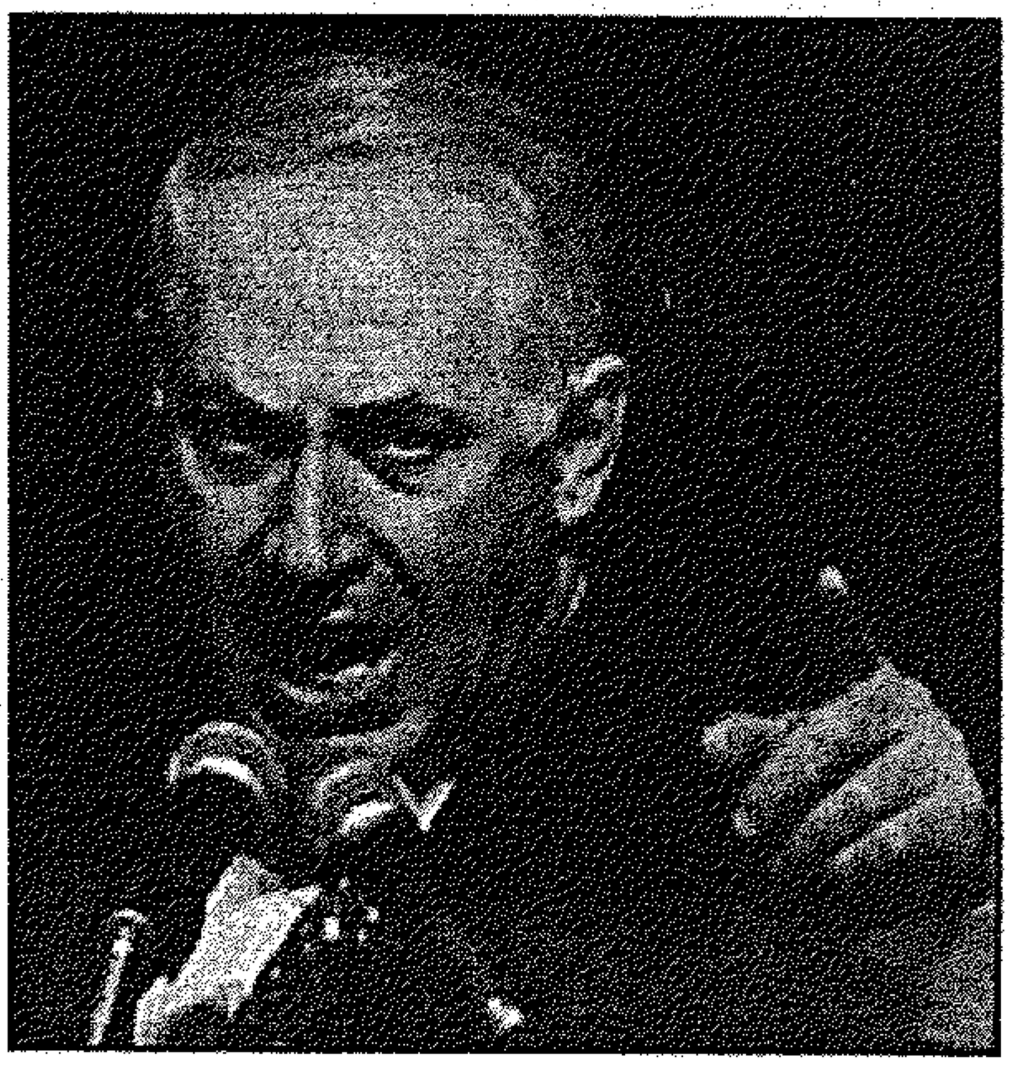

وكان نتنياهو قد أشار فى تصريحاته إلى أن «مواطنى إسرائيل ينتظرون من قياداتهم الحفاظ على أمنهم على مدار العام، ولا ينتظرون شيئاً من الساسة الذين يحاولون التنصُل من مسئولياتهم بعد سنوات من سياستهم الفاشلة عن طريق إطلاق الشعارات العدائية».

جاءت جولة حزب الليكود على ضوء سفر رئيس الوزراء إيهود أولمرت اليوم الاثنين إلى تركيا، حيث سيلتقى أولمرت أثناء زيارته بنظيره التركى رجب طيب أردوجان، ليبحثا معا استمرار الاتصالات غير المباشرة بين إسرائيل وسوريا وإمكانية الانتقال بها إلى محادثات مباشرة بين الجانبين.

وكان نتنياهو قد التقى قبل الظهيرة بشباب، وبعد ذلك انضم إليه ناخبو الحزب لمشاهدة المنظر المطل على مستعمرة «متسبيه شالوم» الموجودة بالقرب من كفار حيروف، ولمشاهدة بحيرة طبرية. وقد فضَّل موشيه فيجلين، الذى تراجع للمركز الـ٣٦، عدم الذهاب. وتقول مصادر مقربة من فيجلين إنه إذا كانت لدى نتنياهو – الذى أجرى فى السابق مفاوضات بشأن الجولان – الرغبة الحقيقية فى إقناع الناخبين بأنه يعتزم هذه المرة الحفاظ على أرض إسرائيل، فهو لديه وسيلة واحدة لذلك وهى إعادة فيجلين للمركز الـ٢٠ الذى وضعه فيه أعضاء الحركة.

"عاليه ياروك" يجد صعوبة فى تسجيل نفسه لانتخابات الكنيست

بقلم: آريك بندر
المصدر: www.nrg.co.il
٢٠٠٨/١٢/٢٤

يمر حزب "عاليه ياروك" بضائقة، فنتيجةً للانقسام الداخلى فى الحزب رفض اليوم القاضى إليعيزر ريفلين رئيس لجنة الانتخابات المركزية، قبول قائمة مرشحى حزب عاليه ياروك – الصهيونية الجديدة، للكنيست إلى أن يتم توضيح من هو القائم بأعمال الحزب الحقيقي.

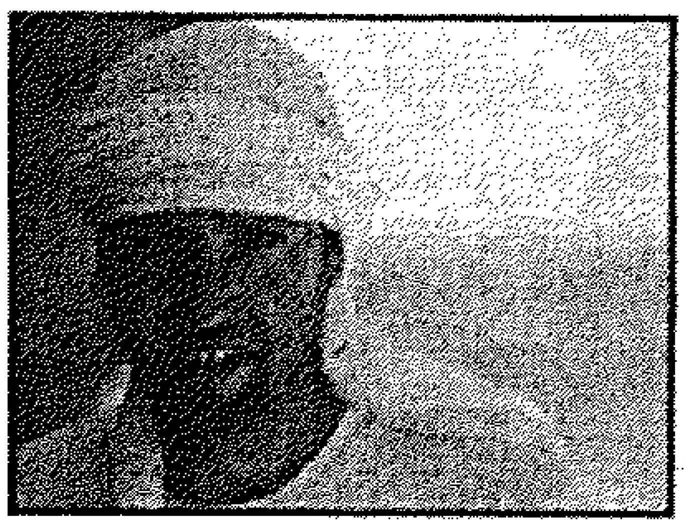

كان وفد برئاسة إيهود شم طوف، وموشيه ساسون اللذين قدما نفسيهما كممثلَيْن للأغلبية فى الحزب، قد مثل أمام القاضي، وانضم إليهما يعقوف هولندر ممثل منظمة الناجين من الكارثة (النازية) الذى يخوض انتخابات الكنيست مع إيتام. ولكن قبل دخولهم إلى قاعة التسجيل، قام المسئول عن تسجيل الأحزاب بإبلاغ القاضى ريفلين، بأنه فى هذه المرحلة ليس من الواضح من هو القائم بأعمال الحزب الحقيقي.

وما أن دخلوا شرح لهم القاضى ريفلين الوضع وقال: "لا يمكنكم تقديم القائمة لي. اقترح مثولكم أمامى يوم الأحد، وهو اليوم الأخير لتسجيل القوائم لانتخابات الكنيست الـ١٨ بعد أن يتم تسوية الأمر بشكل قانونى لدى المسئول عن تسجيل الأحزاب".

وحاول شِم طوف إقناع القاضي، حيث قال: "لدينا

فى الحزب أقلية تحاول بشكل غير قانونى إقناع المسئول عن تسجيل الأحزاب بأمر مختلف". ولم يستجب القاضى للطلب، وأوضح أنه مادام المسئول عن تسجيل الأحزاب لم يحدد بشكل نهائى مَن مِن بين المتنافسين داخل عاليه ياروك هو الممثل الحقيقى للحزب، لا يمكن تسجيل الحزب لخوض الانتخابات.

وأوضح شم طوف - الذى يشعر بالإحباط - لموقع معاريف الإلكتروني، قائلاً: "لدينا فى الحزب جماعة معارضة يرأسها شلومى سنداك، الذى يريد تسجيل اسم جيل كوبَتش على رأس القائمة. ومن جانبنا أجرينا مفاوضات مع الناجين من الكارثة (النازية) ليشاركوا إلى جانبنا فى خوض الانتخابات، وأبلغنا سنداك أننا على استعداد للاحتفاظ له بالمركز الأول ولكنه رفض".

وقد سبق لمثل هذه المبررات أن رفض القاضى ريفلين تسجيل حزب "ليحم لمعن يلادينو" (الخبز من أجل أطفالنا) برئاسة يعقوف بن يسّاكر. وستستمر عملية التسجيل حتى يوم الأحد على أن تنتهى فى تمام الثانية عشرة مساءً.

واليوم تم تسجيل تسع قوائم هي: عاليا لمَعن يسرائيل هامتحديشيت (الهجرة من أجل إسرائيل المتطورة) برئاسة ميخائيل ندلمان، ودَعـام- منظمة العمل الديمقراطي، ويسرائيل بيتينو برئاسة أفيجدور ليبرمان، وقائمة لزوز (تحركوا)، ويسرائيل حزاقا (إسرائيل قوية) برئاسة الدكتور إفرايم سينيه، وقائمة المعاقين "كواح لِهَشْبياع" (قوة التأثير)، وقائمة الإسرائيليين برئاسة البروفيسور جدعون دورون، والقائمة المتقدمة الليبرالية الديموقراطية برئاسة ألكسندر لدكو، وقائمة المسئولية- ليف إحاد فرواح حداشاه (قلب واحد وروح جديدة) برئاسة يعقوف حسداي.

ضباط احتياط على قائمة حزب إفرايم سينيه

بقلم: زوهر سوسنكو
معاريف ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٨

تلقى حزب يسرائيل حزاقا (إسرائيل قوية) برئاسة إفرايم سينيه بعض الدعم عن طريق ضم بعض الشخصيات الجديدة على قائمة الحزب لانتخابات الكنيست القادمة، لكن هذه الشخصيات لم تأتِ فى أماكن مؤثرة على قائمة الحزب، بل تذيلوا قائمة الحزبَ التى تخوض الانتخابات قبيل انتخابات الكنيست الثامنة عشرة.

من بين الشخصيات الجديدة التى انضمت إلى إفرايم سينيه يمكن أن نجد ضباطاً لديهم تاريخ عسكرى حافل. الشخصيات الجديدة التى انضمت لقائمة سينيه هى اللواء احتياط شلومو عنبار، والعميد احتياط عاموس عَمير، الذى كان يشغل فى السابق منصب نائب قائد سلاح الطيران. كذلك انضم لإفرايم سينيه العميد احتياط إيلى ليفى الذى كان يخدم كرئيس للاستخبارات التابعة لسلاح البحرية، وكذلك العميد احتياط جيورا جورن، الذى كان رئيساً للاستخبارات التابعة لسلاح الطيران.

كما يتفاخر سينيه بكونه يمثل إحدى صور حزب الماباى التاريخى الذى يتمتع بالخبرة. وقد أعلن سعديا جلاف، البالغ من العمر ٩٥ عاماً، ومؤسس كفار بلوم عن انضمامه لحركة يسرائيل حزاقا. كما انضم للحركة أيضاً زعيم الحركة الكيبوتسية العقيد رازى يهال من ساديه بوكير الذى كان يشغل فى الماضي قائد لواء جنين.

وفى نهاية الأسبوع المقبل سيبدأ الحزب حملة مكثفة فى الصحافة الروسية، مخاطباً الشريحة السكانية التى توجه إليها إفرايم سينيه أيضاً فى الماضى عندما كان فى حزب العمل. كما أنه شارك فى دروس لتعلم اللغة الروسية فى الماضي. صحيفة فيستى التى توزع مساء ليلة السبت سيكون معها ملحق يشتمل على سيرة ذاتية لإفرايم سنيه تحت عنوان "إفرايم سينيه مقاتل الشعب اليهودي". وفى كل صفحات هذا الملحق يتم الإسهاب فى عرض تفاصيل سيرته العسكرية.

عضو الكنيست أورى آريئيل ينسحب من حزب "البيت اليهودي"

بقلم: روعى شارون
المصدر: www.nrg.co.il
٢٠٠٨/١٢/٢٥

فى خطوة مفاجئة أعلن أمس عضو الكنيست أورى آريئيل، الذى شغل المركز الثالث فى قائمة حزب البيت اليهودي، أنه قرر الانسحاب من الحركة وإقامة حزب الاتحاد القومى من جديد. وكان آريئيل قد تشاور فى الآونة الأخيرة مع حاخامات حركة تكوما الذين أوصوه بالانسحاب من الحركة.

وقد أبلغ عضو الكنيست آريئيل رئيس لجنة الكنيست دافيد طل مساء أمس بطلبه عقد اللجنة يوم الأحد القادم لتأكيد انسحابه من الحزب.

وأوضح آريئيل فى البيان الذى نشره أن: "الجمهور ليس على استعداد لقبول القائمة التى تم تشكيلها وما يُستشف منها. لا أستطيع أن أكذب على نفسى وأظل هناك". وأضاف أنه رغم محاولات الحوار من جانب الحاخامات والقيادات الجماهيرية خلال الأسبوع الأخير لم يوافق «البيت اليهودي» على التوصل إلى تفاهم يسمح لكافة جمهور حركة «أمناء إسرائيل» بأن يكون شريكا حقيقيا فى زعامة «البيت اليهودي».

*** البيت اليهودي: «من يعمل فى غير صالح الجمهور اليهودى سيدفع الثمن»**

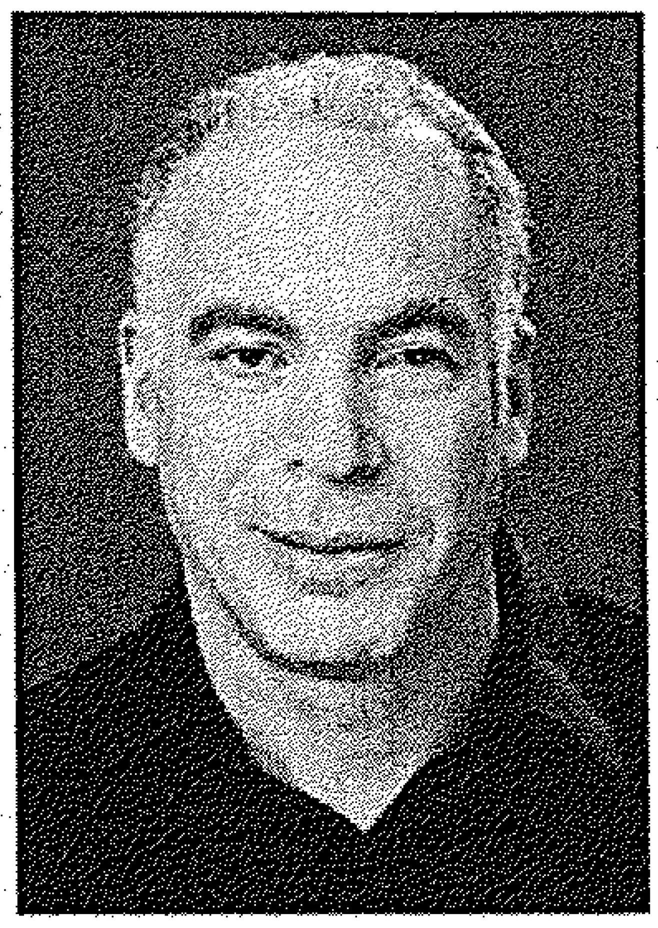

وفقا لبيان عضو الكنيست أورى آريئيل، فإنه يعتزم حشد قوى حركة «أمناء إسرائيل» لتأسيس حزب كبير يستأنف مسيرة «الاتحاد القومي». ورغم الانسحاب من الحزب أوضح عضو الكنيست آريئيل أنه لا يعتزم مهاجمة الحزب الذى تركه، بل سيعمل إلى جانبه.

وفى حزب الاتحاد القومى سينضم آريئيل إلى عضو الكنيست آرييه إلداد، ومن المحتمل أيضا أن تنضم حركة «أرض إسرائيل لنا» التابعة للحاخام وولفا وباروخ مارزل لهم.

وعلقوا فى حزب «البيت اليهودي» على الانسحاب بقولهم: « لن يتسامح الجمهور الدينى والمحافظ على التقاليد مع من يدعو للاتحاد ويقوم بالفرقة»، كما جاء عن الحزب أن من يُعرِّض الطابع اليهودى للدولة وأرض إسرائيل للخطر، ويخالف كافة الاتفاقيات التى وقع عليها، من خلال تجاهل قرارات المجلس العام للحزب وحقيقة بقاء حزب «تكوما» داخل حزب «البيت اليهودي» - سيدفع ثمن ذلك فى الانتخابات.»

نتنياهو يتبرأ من الصفقة التى أبرمها مع حزب «مستقبل واحد» الإثيوبي

بقلم: ميراف دافيد
معاريف ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٨

إلى جانب الصفقة المتبلورة بين الليكود وحزب آحى (وحدة المجتمع الإسرائيلي) برئاسة إيفى إيتام، يتبين الآن أنه كانت هناك صفقة أخرى أبرمها رئيس الليكود بنيامين نتنياهو، ولكنه تبرأ منها عندما اتضح أنها لن تجلب لليكود مكسبا سياسيا حقيقيا، حيث أبرم نتنياهو فى الخامس والعشرين من شهر نوفمبر الماضى اتفاقا مع حزب «عاتيد إحاد» (مستقبل واحد) الإثيوبى برئاسة أفراهام نجوسا، وكان الهدف من هذا الاتفاق هو دمج قائمتى الحزبين فى قائمة واحدة قبيل انتخابات الكنيست الوشيكة.

ويبدو أن المسئولين فى الليكود قاموا بدراسة موضوع الاندماج بشكل سطحى من الناحية القانونية، فاعتقدوا أنهم إذا ما وقعوا على اتفاق مع حركة ليس لها أعضاء حاليين فى الكنيست، فسيكون بمقدورهم رفع سقف الإنفاق على الحملة الانتخابية بنحو ١٢ مليون شيكل.

ولكن بعد التوقيع بالأحرف الأولى على الاتفاق مع حزب «عاتيد إحاد»، تبين لهم أن حساباتهم كانت خاطئة، حيث يشترط الحزب الإثيوبى فى التماس قدمه إلى محكمة الليكود بأن تصدق اللجنة المركزية لليكود على الاتفاق سويا مع

الاتفاق المزمع توقيعه مع حزب «آحي».

*** ممثل حزب آحي في المرتبة الثلاثين:**

يدعي نجوسا في الالتماس بأنه حصل على تعهد في إطار الاتفاق بأن يتم وضعه في المرتبة الـ٣٤ في قائمة الليكود، ولكن يبدو أنه لن يحصل على هذه المرتبة. وجاء من الليكود ردا على ذلك أن «هناك مشاكل في الاتفاق تحتاج لإيضاحات. في كل الأحوال، تم ربط الاتفاق منذ البداية بالحصول على موافقة اللجنة المركزية للحزب».

وبالأمس، عُقدت جلسة مفاوضات أخرى بين ممثلي حزب «آحي» برئاسة إيفي إيتام، وممثلي الليكود، وذلك للتوقيع على اتفاق الاندماج. وقد قال مسئولون في الليكود أمس إنه لا تزال هناك عوائق قانونية تعرقل التوقيع على الاتفاق.

خلافا للاتفاق مع حزب «عاتيد إحاد»، من المتوقع أن يرفع الاندماج المحتمل مع حزب «آحي» سقف الإنفاق على الحملة الانتخابية لليكود بنحو ١٢ مليون شيكل. ويذكر أن ميزانية الحملة الانتخابية لليكود تبلغ حتى الآن ٢٨ مليون شيكل. ويحسب الاتفاق، من المفترض دمج مرشح عن حزب «آحي» في المرتبة الـ٣٩ بقائمة الحزب.

*** صفقة ضبابية فاسدة:**

تعقيباً على الاتفاق المزمع بين نتنياهو وإيتام، قال أمس عضو الكنيست يوئيل حاسون (كاديما) إن «صفقة بيبي-إيتام فاسدة وضبابية. قبل ثلاثة أسابيع فقط، منع بيبي إيتام من الترشح بشكل ديموقراطي في قائمة الليكود بزعم أن طريقه يختلف عن طريق الليكود».

وليس من الواضح حتى الآن ما إذا كانت ستطرأ تغييرات أخرى على قائمة الليكود. وكانت المحكمة المركزية في تل أبيب قد رفضت بالأمس الالتماس المقدم من عضو الكنيست ميخائيل راتسون، الذى طالب بإعادته من المرتبة الـ٣٧ إلى المرتبة الـ٢٤ في قائمة الحزب.

وقد تم إدراج راتسون في هذه المرتبة المتأخرة في إطار المناورة التى قام بها نتنياهو لإبعاد موشيه فيجلين إلى مرتبة غير واقعية في قائمة الحزب. ولكن المحكمة المركزية رفضت الالتماس لأسباب فنية، ومن المقرر أن تُنظر المسألة اليوم أمام محكمة الليكود.

هل يعود باراك للمضمار السياسي..؟

بقلم: يوسى فيرتر
هاآرتس ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٨

بعد شهور من انتخاب إيهود أولمرت لتولى رئاسة الحكومة، اندلعت حرب لبنان الثانية.. وقبل أن يخلى أولمرت مكتب رئيس الحكومة بشهرين اندلعت بالأمس معركة في الجنوب (العملية العسكرية في غزة). ولكن أولمرت ليس الحكاية، فهو في طريقه إلى الانضمام لنادى المعاشات.. الحكاية بحق تتمثل في إيهود باراك. فالرجل، الذى كانت صورته لدى الناخب الإسرائيلى حتى الأمس تُذكر عن طريق الاستهزاء الذاتى به عبر اللافتات في الشوارع والبرامج الساخرة (يقصد موافقة باراك على المشاركة في برنامج إسرائيلى فكاهى يذاع على القناة الثانية الإسرائيلية) - هاهو يعود إلى المضمار السياسى بقوة كبيرة. وعلى الأقل في الأيام القادمة، وربما الأسابيع القادمة، سيحتل باراك بؤرة الاهتمام العام.

فبداية العملية في غزة تحمل البصمات الخفية والماكرة لباراك المقاتل الأكثر حصولاً على أوسمة بالجيش الإسرائيلي. صحيح أن هذا لا يجعله المرشح المناسب لرئاسة الحكومة،

ولكن ربما ينقذه وينقذ حزبه من الانهيار المهين الذى تتوقعه استطلاعات الرأي.. ثم مَنْ يدري، ربما كان ظهور باراك في برنامج "إيرتس نهديرت" الفكاهى كجزء من حملة الخداع. ففى حركة حماس ظنوا أنه طالما لدى وزير الدفاع الإسرائيلى الوقت الكافى للمرح، فإن الهجوم ليس قريباً.

في حالة الفشل، لن يستطيع باراك الاختباء خلف رئيس الحكومة في نهاية مشواره أو أن يوجه أصابع الاتهام لرئيس أركان "غير كفء" و"لجيش غير مدرب". سيكون الفشل مسئوليته وحده. وفى حالة الفوز، لن يسلبه أحد هذا الإنجاز. وإذا كان الإحساس العام الإسرائيلى بعد انتهاء العملية، أن إسرائيل لم تحقق أهدافها، واستمر سقوط الصواريخ، ولم تتم إعادة جلعاد شاليط، فإن الغضب سيوجه لباراك وليفنى وستسقط السلطة بسهولة في أيدى بنيامين نتنياهو. وإذا انهزمت حماس وعاد الهدوء بالشروط المناسبة لإسرائيل ستتعاظم قوة حزب العمل وعلى رأسه باراك، على حساب حزب كاديما وعلى

رأسه ليفني.

لقد اختلطت الأوراق السياسية من جديد، علماً بأن التاريخ يوضح أن الحروب خلال فترة الانتخابات كما حدث فى عملية "عناقيد الغضب" عشية انتخابات ١٩٩٦، أو الانتفاضة عشية انتخابات ٢٠٠١، تكون فى صالح اليمين. على أية حال، فمن السابق لأوانه التوقع بنهاية العملية التى بدأت بالأمس.

فى بداية حرب لبنان الثانية، حظى رئيس الحكومة أولمرت ووزير دفاعه عَمير بيرتس بتأييد كبير - نحو ٨٠٪ تقريباً. وبعد شهرين كانوا محل سخط عام، وسخرية، وبلغ متوسط تأييدهما ١٠٪ فقط.

بالأمس كانت الأجواء وردية وسارة، وعمل سلاح الجو بصورة جيدة، وبلغ حجم الخسائر من الجانب الإسرائيلى الحد الأدنى. ولكن هذا هو اليوم الأول فقط.. ولم يحن بعد دور الانتقادات، والقادة الإسرائيليون يدركون ذلك جيداً: فالمهم هو النتائج. فى نهاية المطاف إما الحصول على وسام، أو خفض الرتبة لدرجة عريف.

قليل عليهم

بقلم: أفيرما جولان
هاآرتس ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٨

المجتمع الإسرائيلى ما يزال ينظر للمرأة على أنها غير مؤهلة للقيام بالكثير من الأعمال.

قبل بضعة أيام، قادت «باتيا ج»، وهى متدربة فى إحدى فرق التجديف، زورقاً صغيراً وسريعاً فى إطار تدريب لها قبالة سواحل هرتسليا. كان البحر هائجا والأحوال الجوية متقلبة، حيث كان الموج عاليا، وكانت الرياح ضعيفة مما زاد من صعوبة توجيه أشرعة الزورق. ورغم هذه الأجواء الصعبة، نجحت «باتيا ج»- مع فريقها- فى قيادة الزورق والوصول إلى الشاطئ فى وقت قياسي.

كان مدرب الفريق يتبعهن فى قارب مطاطي، وإلى جانبه شاب يافع ولطيف، حيث يُلزم القانون بعدم إبحار شخص لوحده فى القوارب الصغيرة التى تعمل بمحركات. نظر الشاب إليها وقال: «كل التقدير يا باتيا. اعتقدت أنك امرأة ناعمة، ولكنى اكتشفت فى نهاية المطاف أنك تتمتعين بفن القيادة حتى عندما لا تكون هناك رياح، وهو أمر أصعب بكثير».

ورغم أن الشاب صدق فيما قال، إلا أنه تبين بعد ذلك أنه مجرد طالب فى دورة بحرية، ومن المشكوك فيه أن يكون قادرا فى هذه المرحلة من الدراسة على فهم الاعتبارات التى وضعتها باتيا فى الحسبان وتحليلها. ولكن ذلك لم يمنعه من التعامل مع باتيا الخبيرة وكأنه القائم عليها الذى يعرف كل شئ. ففى النهاية، هى مجرد امرأة.

شعار الانتخابات الذكورى «هذا كثير عليها» هو التوأم لمقولة «كل التقدير يا باتيا». فمن نسخ هذا الشعار عرف جيدا ما ومن المقصود به: مئات الآلاف من الرجال (والنساء أيضا للأسف الشديد) الذين استوعبوا ظاهريا قيمة المساواة بين الرجل والمرأة، ولكنهم مقتنعون فى الواقع بأن قيادة الدولة يجب أن يتولاها رجل بكل معنى الكلمة، أو مجرد رجل والسلام. المهم ألا تكون امرأة.

وهذا بالطبع محض هراء. صحيح أن تسيبى ليفنى لم تشغل من قبل منصب رئيس الحكومة، كخصميها الرئيسيين، ولكن هذه بالتحديد ميزة لها، فلم يسبق لها أن كانت رئيس حكومة فاشل يميل للقوة ويقع فى أخطاء مروعة (بنيامين نتنياهو) أو رئيس حكومة متسرع ومتبلد الحواس ينفرد بالقرارات ولا يتمتع بالقدرة على العمل فى إطار جماعى (إيهود باراك). وصحيح أيضا أنها لم تخدم فى وحدة الأركان الخاصة «ساييرت متكال»، ولكن يمكن الافتراض أنها لو واصلت الخدمة فى الموساد، ووصلت إلى منصب رئيس شعبة، لاستمر نفس هؤلاء الأشخاص فى الزعم بدون خجل أن هذا «كثير عليها».

إن المشكلة الحقيقية ليست فى أن هذا كثير على المرأة، وإنما المشكلة أن هذا قليل على الرجال. فمنذ اللحظة التى أعلنت فيها ليفنى خوض المنافسة على رئاسة الحكومة، تعيد وتكرر أن هذه المسئولية الكبيرة تجعل النوم يجافى عينيها. وكلما أحيطت بالود والأمل، كلما تعاملت مع هذه المهمة برجاحة عقل.

وفى المقابل، نجد أن الرجال المتنافسين أمامها- بدءاً من إيهود باراك وبنيامين نتنياهو وحتى شاؤول موفاز- لا ينظرون للأمر بهذه الصورة. فبالنسبة لهم جميعا «هذه أمور صغيرة»، حيث إنهم يتمتعون بالخبرة اللازمة وجميعهم يعرفون بالضبط ما يتعين فعله ومتى. ماذا يعنى التعليم والصحة والرفاه الاجتماعى لهم..؟ إنها أمور صغيرة بالنسبة

لهم. وبحسب معاييرهم، فإن أنجيلا ميركل وهيلارى كلينتون، بل ومارجريت تاتشر، لسن مؤهلات لقيادة دولة.. فكيف ذلك وهن لم يقدن ولو عملية عسكرية واحدة..؟!.

تزايد قوة باراك فى استطلاعات الرأى على خلفية العملية العسكرية فى غزة، التى تبدو ناجحة حتى الآن، هو أفضل تجسيد للتخبط بين القدرة على إدارة القتال والزعامة، ولزاما على المواطنين أن يميزوا بين هذين الأمرين وتجنب انتخاب كل من تعد الأمور سالفة الذكر «صغيرة بالنسبة له»- لأن الاختبار هو كما تقدم: قيادة الدفة «عندما لا تكون هناك رياح، وهو أمر أصعب بكثير».

حزب ليحيم يدعو لتأجيل الانتخابات بزعم تعرضه للظلم

بقلم: إيتسيك وولف
المصدر: www.news.co.il
٢٠٠٩/١/٤

تقدم يجآل أنكورى رئيس حزب ليحيم (المقاتلون المتحدون من أجل المجتمع- حزب من أجل القانون والنظام والإدارة النزيهة) يوم الأحد (٤/ ١/ ٢٠٠٩) بشكل عاجل بطلب تأجيل انتخابات الكنيست الثامنة عشرة لرؤساء الكتل البرلمانية، وإلى رئيسة الكنيست، وإلى المستشارة القضائية للكنيست نوريت ألشتاين.

وأضاف أن الحرب على قطاع غزة والتعبئة المكثفة لجنود الاحتياط تعطل الحملة الانتخابية للأحزاب بصفة عامة، والأحزاب الصغيرة بصفة خاصة.

وكتب أنكورى فى طلبه: "إن تعبئة جنود الاحتياط والوضع الأمنى يعنيان عدم السماح بالقيام بحملة انتخابية لأن أغلبية الناشطين مجندون والجمهور، الذى لم يقرر بعد من سينتخب، يعيش فى توتر وخوف على حياتهم وحياة أسرهم، وعندما نتوجه إليهم بشأن الانتخابات يطلبون عدم الخوض فى ذلك طالما هناك حرب دائرة وينبغى أن تتضافر الجهود من أجل مساعدة المستعمرات وسكانها. كما ستنعدم لمرشحى الكنيست فرص عقد مؤتمرات أو ندوات لشرح برنامجهم الانتخابى، لأن الكثيرين مجندون ومعظم الأسر تشعر بالقلق على أبنائها المجندين".

وأضاف أن جدول الأعمال الإعلامى فى إسرائيل المكرس لتغطية الحرب يظلم الأحزاب الصغيرة. فالصحافة ووسائل الإعلام الأخرى مشغولة طوال الوقت فى تغطية الحرب ولا يهتمون بالكتابة عن الانتخابات، وخاصة عن الأحزاب الجديدة أو الصغيرة، التى لا تحظى معظمها بميزانية ضخمة تحتاج بشدة إلى الصحافة. وسيكون غير ديموقراطى إجراء انتخابات دون تمكين الأحزاب وخصوصا الجديدة والصغيرة من إسماع صوتها وبرنامجها الانتخابى للجمهور العريض حتى يستطيع اتخاذ القرار بشأن من سينتخب مما سيجعل الكثيرين لا يمارسون حقهم فى الذهاب للجان الانتخابية بزعم عدم وجود من ينتخبوه، وما كان هو ما سيحدث هذه المرة أيضا، وربما لنقص البدائل سيصوتون للأحزاب التى صوتوا لها من قبل، وبذلك ستكون انتخابات غير عادلة ولا تعكس رغبة الجمهور فى إسرائيل».

"تأجيل الانتخابات سيتم فقط بموافقة أغلبية ٨٠ عضواً للكنيست"

بقلم: بنحاس وولف
المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٩/١/٨

قررت المستشارة القضائية للكنيست، نوريت إلشتاين، أنه من الممكن تأجيل موعد انتخابات الكنيست فى حال الحصول على موافقة أغلبية ٨٠ عضواً للكنيست على الأقل، وفى ظل وجود ظروف تحول دون إجراء الانتخابات، وكانت هذه هى وجهة نظر نوريت، التى قدمتها رداً على طلب كل من عضو الكنيست جدعون ساعر (عن حزب الليكود)، وعضوة الكنيست شيلى يحيموفيتس (عن حزب العمل). وبذلك رفضت إلشتاين طلب تأجيل الانتخابات من خلال الاكتفاء بأغلبية ٦١ عضواً للكنيست فقط.

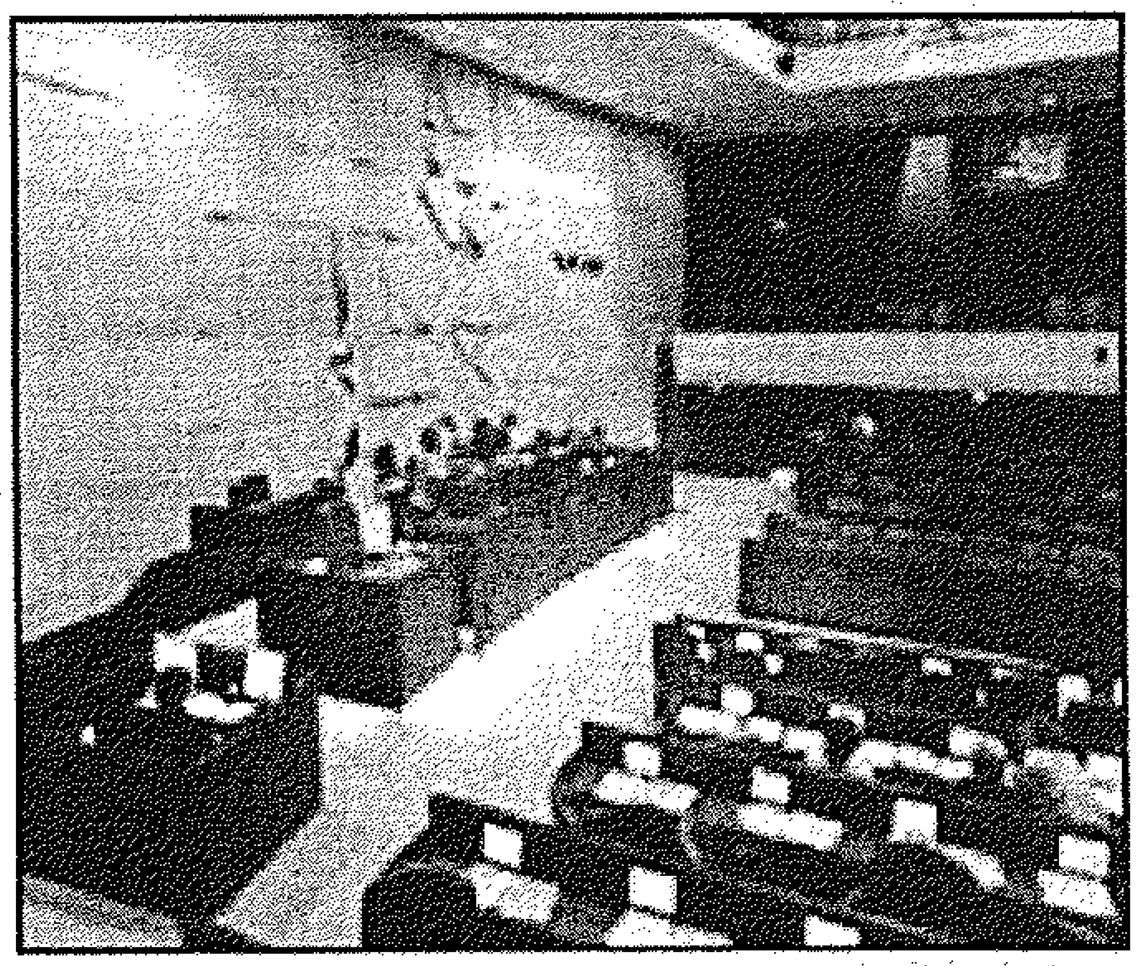

وكانت إلشتاين قد كتبت فى وجهة نظرها التى قدمتها لأعضاء الكنيست قائلة: "كان هناك فى الآونة الأخيرة اقتراحات تؤيد إمكانية تأجيل الانتخابات من خلال الاكتفاء بأغلبية ٦١ عضواً للكنيست فقط، ولكن الأمر ليس بيدى بأن أوافق على هذا الوضع. فوفقا للبند (٩أ) من قانون الأساس الخاص بالكنيست، فإنه يتطلب لسن تشريع الحصول على موافقة أغلبية ٨٠ عضواً للكنيست، وأن يكون هناك ظروف خاصة تحول دون إجراء الانتخابات فى موعدها، وهذا يسرى على الوضع الذى نحن بصدده الآن".

ووفقا للتقديرات، فإن وجهة نظر المستشارة القضائية للكنيست ستُزيد من صعوبة حركة تأجيل الانتخابات. ومع هذا، فإن تقدير الهيئة القضائية أنه طالما أن القتال فى غزة مستمر، فقد تتزايد احتمالات أن تقرر الكنيست تأجيل الانتخابات ربما لفترة قصيرة.

من يرفض الآخر فإنما يرفض نفسه

بقلم: درور نيسان (*)
يديعوت أحرونوت
٢٠٠٩/١/١٣

إن قرار اللجنة المركزية للانتخابات بمنع الأحزاب العربية: بلد (التجمع الوطنى الديموقراطي)، وراعم (القائمة العربية الموحدة)، وتاعل (الحركة العربية للتغير) من خوض انتخابات الكنيست، يجعلنا ننظر إلى المخاطر التى تتربص المؤسسة الديموقراطية من الجانب الآخر للخريطة السياسية.

حركة بلد (التجمع الوطنى الديموقراطي) خاضت انتخابات الكنيست للمرة الأولى سنة ١٩٩٦ بشكل غير مستقل - إن لم نقل بشكل تطفلى إلى حد ما - على حساب حركة حداش (الجبهة الديموقراطية للسلام والمساواة)، عندما انضمت إليها كوحدة مستقلة، وكان يمثلها فى حينه عزمى بشارة.

نشأ الدكتور بشارة - وهو مسيحى من مواليد الناصرة - فى الحزب الشيوعى الإسرائيلى (الركيزة الأساسية لحزب حداش)، وتعلم الفلسفة عن طريق برنامج للمنح فى ألمانيا الشرقية الشمولية، وهناك قام أيضا بتحضير رسالته للدكتوراه. هنا أيضا توجد مفارقة: رغم أن حزب بلد أقيم كبديل فكرى مدمر لحركة حداش، وافقت الأخيرة على ضمه إليها وإدخال زعيمه للكنيست فى إطارها، مثلما يُدخل الإنسان إلى بيته منظومة تدمير ذاتي.

فى عام ١٩٩٩ خاض «بلد» الانتخابات بشكل مستقل، وقدم بشارة كمرشح لرئاسة الوزراء.

يمثل «بلد» السياسة القومية الراديكالية والانفصالية، التى تتآمر فعلياً على التوجهات الداعية للتكامل بين الجمهورين اليهودى والعربى فى دولة إسرائيل، حيث ترتكز القاعدة الفكرية للحزب على الشعار «دولة لكل مواطنيها». ظاهرياً، هذا شعار نقى ومستنير ومقبول؛ فمن الطبيعى أن تكون الدولة لكل مواطنيها، ولكن فعلياً نحن بصدد إلغاء فكرة

الدولة اليهودية- الديموقراطية، واستبدالها بفكرة «دولتى ودولتك ودولتنا»؛ أى دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل، وتحويل دولة إسرائيل ذاتها إلى دولة بلا طابع.. دولة بلا أغلبية يهودية خالصة، من خلال إلغاء قانون العودة وإحداث تغيير جوهرى صارخ.

كما تبنت كتلة راعم - تاعل، التحالف البرلمانى الذي يشمل الحركة الإسلامية والدكتور أحمد الطيبى - تبنت نظرياً وعملياً أفكار بشارة لإلغاء الطابع اليهودى لدولة إسرائيل. إذن هناك مجال للتساؤل بشأن مدى مسئولية واتزان وقدرة نواب الشعب بوجه عام على القيام أحياناً بدورهم فى كبح جماح التوجهات السائدة بين ناخبيهم.

عند تلك النقطة تحديداً، تعرضت علاقات إسرائيل والأقلية العربية التى تعيش بينها لأزمات وعواصف، أيضاً بسبب الزعامة التى تمثل توجهاً لا تتراجع عنه.

على أية حال، عندما تأتى محكمة العدل العليا للتداول فى قضية رفض الأحزاب العربية، فإنها تتناول الديموقراطية الإسرائيلية وهشاشتها وتسامحها ومدى قدرتها-إن كانت لديها القدرة أساساً - على احتواء عناصر تريد القضاء عليها.

فضلاً عن ذلك، فإن المسالك السياسية والقانونية محدودة جداً فيما يتعلق بمعالجة ظواهر اجتماعية وثقافية متأصلة. فالمواطنون العرب فى دولة إسرائيل لديهم تطلعات واحتياجات تتعلق بالجنسية والهوية والثقافة وغيرها، وطريقة مباشرتها تستحق إجراء حوار عام دون تبادل اللعنات والضربات.

(*) كاتب المقال هو المتحدث باسم حزب حداش سابقاً.

ديموقراطية فى خطر

بقلم: جاد برزيلى وحاييم مسجاف
يديعوت أحرونوت
٢٠٠٩/١/١٣

(١)
فى الطريق إلى دولة أبرتهايد

بقلم: جاد برزيلى(١)

تنزلق إسرائيل هذه الأيام نحو منحدر خطير، حيث أن القرار الخاطئ والخطير للجنة الانتخابات باستبعاد حزبين من الأحزاب العربية الثلاثة، وحرمانها من خوض انتخابات الكنيست الثامنة عشرة يضر فى واقع الأمر بوجود إسرائيل كدولة ديموقراطية. وإذا لم تستغل المحكمة العليا صلاحياتها المنصوص عليها فى القانون لإلغاء هذا القرار، فسيكون ذلك بداية لتحول دولة إسرائيل رسميا إلى دولة أبرتهايد.

إن أحكام محكمة العدل العليا فى مسألة إلغاء مشاركة أحزاب فى الانتخابات واضحة تماما، حيث لا تُلغى مشاركة أحزاب فى انتخابات الكنيست إلا إذا كانت أفعالها أو أهدافها تنطوى على تهديد واضح ومؤكد على وجود الدولة، وشريطة أن يقترن ذلك بأدلة دامغة، لأن سلب حق المشاركة فى الانتخابات أمر شديد الخطورة.

لست مؤيدا لأفكار وتوجهات حزبى «بلد - التجمع الوطنى الديموقراطي» و«تاعل - الحركة العربية للتغيير»، ولكن هناك فرقاً شاسعاً بين الخصومة السياسية وتأييد استبعاد أحزاب من المشاركة فى الانتخابات التى يُفترض بها أن تكون ديموقراطية. صحيح أن إسرائيل تعتبر اليوم فى نظر كثير من مواطنيها «ديموقراطية تدافع عن نفسها»، ولكن حتى إذا استخدمنا هذا المصطلح، فلا يكون من الواضح كيف أنها تسارع بقطع فرع الديموقراطية الذى تجلس عليه.

يشكل عرب إسرائيل نحو ٢٠٪ من مواطنى الدولة، ومن الواضح أن معظم أبناء هذه الأقلية ينقسمون حول موقف الأغلبية اليهودية بالنظر إلى الملابسات التاريخية. ويكاد يكون هذا الانقسام ملموسا فى كافة مناحى الحياة العامة. ومحاولة درء مظاهر هذا الانقسام بواسطة الاستبعاد السياسى سيقودنا فى نهاية المطاف إلى نظام تكون فيه «الآراء المستأنسة» هى فقط الجديرة بالتمثيل البرلمانى.

لقد أحبطت المحكمة العليا فى السابق محاولات شبيهة لاستبعاد أحزاب، ومن واجبها أن تفعل الأمر نفسه الآن أيضا. البند (٧ أ) من القانون الأساسى للكنيست والذى يجيز استبعاد أحزاب أو مرشحين اتسع فى الماضى بضع مرات فى إطار حملة الضغوط السياسية التى مارسها الليكود والأحزاب اليمينية الأخرى. إن إضفاء تفسير فضفاض على لغة القانون من شأنه تقويض الكيان الديموقراطى فى إسرائيل.

ولمعرفتها بهذه الحقيقة، أكدت المحكمة العليا فى أحكامها أنه لا يمكن استبعاد أحزاب من المشاركة فى الانتخابات إلا فى أضيق الحدود، وعندما يكون الحديث عن خطر حقيقى على الدولة. وفى حالة حزبى «بلد» و«تاعل»، ليس هناك دليل واحد على أنهما يمثلان خطرا كهذا، فالتضامن مع الفلسطينيين فى غزة، والإدانة الشديدة للحرب الدائرة هناك ليسا مبررا للاستبعاد، فليس فى ذلك ما يشير بوضوح إلى تأييد الكفاح المسلح ضد دولة إسرائيل. كما أن التصريحات التى تدين استخدام القوة العسكرية فى المناطق الفلسطينية أو المطالبة بأن تكون الدولة لكل مواطنيها وليست دولة يهودية، ليست مبررا للاستبعاد.

فإذا كانت التصريحات المعارضة لكون إسرائيل «دولة ديموقراطية ويهودية» مبررا للاستبعاد، فيجب حينها أيضا استبعاد الأحزاب الحريدية - التى لا تؤيد الديموقراطية- وجزء من الأحزاب العلمانية التى لا تؤيد الدولة اليهودية بتوصيفها الحالي.

وفى المقابل، إذا ارتأت سلطات فرض القانون أن أحدا من أعضاء الكنيست قد تعاون مع العدو، فيتحتم حينها تقديم لائحة اتهام جنائية ضده وليس استبعاد الحزب الذى ينتمى إليه. وكان القاضى إليعيزر ريفلين قد أوضح أثناء المداولات التى أجرتها لجنة الانتخابات أنه بناء على وجهة نظر المستشار القانونى للحكومة لا توجد أدلة كافية لاستبعاد الحزبين.

إن قرار لجنة الانتخابات خاطيء ليس فقط من الناحية القانونية وإنما أيضا لكونه يفتقر إلى أى منطق سياسي، فمحاولة منع أحزاب من دخول الكنيست سيقود إلى تنامى أجواء التطرف فى أوساط الأقلية العربية، وسيزيد من احتمالات ظهور تنظيمات تمارس العنف ضد الدولة، كما سيدفع إلى مزيد من التدهور فى العلاقات بين اليهود والعرب، وبالتالى فإننا نكون بصدد قرار يشكل نقطة سوداء فى ثوب السياسة الإسرائيلية، ويتعين إلغاؤه على الفور.

---

(٢)

يكفرون بالمبدأ

بقلم: حاييم مسجاف (٢)

توصلت لجنة الانتخابات إلى قرارها نظرا لأن أعضائها من رجال السياسة، ولكن هذا لا يجعل القرار غير عادل أو غير معقول أو غير منطقي. فى الحقيقة، كان يتعين اتخاذ مثل هذا القرار منذ سنوات، لا لأن العرب ليسوا مواطنين متساوى الحقوق فى دولة إسرائيل، وإنما لأنهم مواطنون غير ملزمين بالولاء لها. فهذه ليست الدولة التى يريدون العيش فيها، ولذلك هم ليسوا على استعداد للإسهام فى منعتها واستقرارها.

لم يعد فى الإمكان تحمل وضع يكفر فيه مواطنون يعيشون فى دولة إسرائيل بالهدف الذى من أجله أقيمت الدولة: إقامة وطن قومى للشعب اليهودى كما جاء فى وثيقتها التأسيسية. فعلى كل من يريد مواصلة العيش فيها أن يتعلم التعايش مع هذه الفكرة. إن نفى وجود دولة إسرائيل كدولة يهودية أو تأييد النضال المسلح لدولة معادية أو لتنظيم إرهابى ضدها يوفران أساسا قانونيا لسلب حق المشاركة فى الانتخابات، وذلك حسب ما جاء فى القانون الأساسى للكنيست، وبالتالى يكون للجنة الانتخابات المركزية الحق الكامل فى استبعاد الأحزاب التى تتبنى هذه الرايات فى أجندتها السياسية.

لا أعرف إن كانت المحكمة العليا ستصدق على هذا القرار أم لا، ولكن المؤكد أننا بصدد لحظة حاسمة. إن قرار لجنة الانتخابات المركزية سيؤدى إلى موجة من الانتقادات، وإلى مطالبة المحكمة العليا بالإسراع فى إلغاء هذا القرار. سيزعم كثيرون بأن هذا القرار كفيل بإلغاء الطابع الديموقراطى لدولة إسرائيل. ولكن يتعين علينا أن نعى أنه ليس هناك قرار أكثر عدالة من قرار منع هؤلاء الذين يريدون المساس بيهودية هذه الدولة أو الذين يؤيدون أعداءها. وغنى عن البيان أن الشرط الأول للحصول على الجنسية فى أى دولة من دول العالم الحر هو الولاء لها ولعلمها ولرموزها القومية- وهى الأشياء التى

يرفضها العرب - دون أن نعمم. فنجمة داوود غريبة بالنسبة لهم، والنشيد الوطنى «هاتكفاه» يثير اشمئزازهم. فلماذا إذا ندعهم يجلسون فى برلماننا ليبتوا فى المسائل التى تتعلق بجوهر وجودنا..؟.

الكرة الآن فى ملعب دوريت بينيش، رئيسة المحكمة العليا، وأنا أقول ذلك لأنها هى التى ستحدد القضاة الذين سينظرون فى الالتماس المقدم لإلغاء هذا القرار. سيتعين على بينيش أن تقف وتعلن على رءوس الأشهاد ما إذا كانت تؤمن بيهودية دولة إسرائيل، أم أنها متعاطفة مع كل هؤلاء الذين لا يخفون رغبتهم فى إلغاء العنصر الرئيسى فى وجود الدولة، وربما أيضا استغلال الفرصة، وإلغاء عدد من القوانين التى تنطوى على تمييز - من وجهة نظرهم - مثل قانون العودة وقانون الجنسية، وهما القانونان اللذان أُقرا عندما كانت سلامة التفكير جزءاً لا يتجزأ من سلوك قادة الدولة فى الخمسينيات من القرن الماضي.

أخشى ما أخشاه أن يكون القرار الذى ستتخذه المحكمة العليا هذه المرة أيضا قرار غير مقبول على الأغلبية الحاسمة من الجمهور اليهودي.

---

(١) جاد برزيلي: أستاذ العلوم السياسية والقانون والدراسات الدولية فى جامعة واشنطن.

(٢) الدكتور حاييم مسجاف: محامى ومحاضر فى كلية نتانيا الأكاديمية.

٣

علاقات إسرائيل الدولية والإقليمية

مشروع لدعم التعاون العلمى بين بريطانيا وإسرائيل

بقلم: ملكا بركان
المصدر: www.news.co.il
٢٠٠٨/١٢/٢١

من المقرر أن تتعاون مؤسسات بحثية كبيرة فى بريطانيا وإسرائيل ضمن المبادرة الجديدة التى طرحتها جمعية الصداقة التابعة لمعهد فايتسمان فى بريطانيا(Weizmann UK).

وسوف يشجع هذا المشروع الذى يعرف باسم "نقيم علاقات" التعاون العلمي بين الباحثين فى معهد فايتسمان ونظرائهم فى جامعات أكسفورد، وكمبريدج، وإمبريال، ولندن. ويوضح توقيت اختيار تنفيذ هذا المشروع - أثناء المحاولات المتواصلة من جانب منظمات بريطانية فرض مقاطعة على المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية - أن العلم هو النشاط الذى يوحد البشرية كلها، وأن تعبير "مقاطعة أكاديمية" ينطوى بين ثناياه على متناقضات، وهكذا فقد أعلنت جامعة لندن إنهاء المقاطعة الأكاديمية الإسرائيلية.

تأسست جمعية الصداقة بمعهد فايتسمان عام ١٩٥٠. ومنذ ذلك الحين، وهى تدعم أنشطة بحثية كثيرة، ولكن هذه هى المرة الأولى التى تسعى من أجل التعاون العلمى بين علماء من الدولتين. ومع بدء تنفيذ هذا المشروع، الذي يقوم على أموال التبرعات البريطانية، تم تقديم ٢٩ طلبا للحصول على منح بحثية. وقد اختارت لجنة خبراء من كل المؤسسات البحثية المشاركة فى المشروع من بين كل هذه الطلبات عشر خطط بحثية لتنتقل إلى المرحلة الثانية، ثم اختارت خمسة من بينها للحصول على التمويل اللازم. وتتألف هذه اللجنة من البروفيسور بنجامين تشاين (من يونيفرستى كولدج)، والبروفيسور ديفيد كلاج (من جامعة إمبريال)، ونائب رئيس معهد فايتسمان للعلوم البروفيسور حاييم جرطي.

تجدر الإشارة إلى أن الخطط البحثية الخمس تتناول بالبحث والدارسة عمليات الدراسة والذاكرة بالمخ، وفهم الطاقة المظلمة بالكون، ومبادئ فيزيائية لعمليات أساسية فى الأنسجة الحيوية، وشرح الجزيئات فى الأنسجة الحيوية، وعمليات بناء مستقلة (Self Assembly) لمواد متقدمة.

ويقول اللورد بيرى ميتشل، رئيس جمعية الصداقة بمعهد فايتسمان فى بريطانيا: "هذا تطور مهم للغاية فى التعاون العلمي الدولى لمعهد فايتسمان والمنظمات البحثية البريطانية أيضا. فهذه الخطط البحثية الخمس الأولى التى وقع عليها الاختيار تتناول عدة مجالات تمثل تحدياً كبيراً فى مجال البحث العلمي. ونحن فخورون بقيادة هذه الجهود المشتركة بين علماء إسرائيليين وبريطانيين فى هذه المجالات الواعدة".

ويقول رئيس معهد فايتسمان للعلوم، البروفيسور دانييل زيفمان: "العلم لا يعرف الحدود. الاختراعات والاكتشافات العلمية تخدم إن آجلا أو عاجلا البشرية جمعاء أينما كانوا، ومن ثم فإنه من الطبيعى أن يركز علماء من مختلف الأجناس على توسيع حدود المعرفة البشرية. إننا نتطلع إلى أن يؤدى هذا المشروع الرائد المتواضع إلى ظهور مشروع دولى كبير وعريق على غرار المشروع القائم بين إسرائيل والولايات المتحدة وألمانيا. مثل هذا المشروع، الذى سيقوم على أساس التنافس والكفاءة، سيخدم علماء من كل الجامعات والمؤسسات البحثية فى الدولتين".

وقد تفاجأوا فى جمعية الصداقة بمعهد فايتسمان ببريطانيا من نجاح هذا المشروع، ويستعدون الآن لتوسيعه.

الصواريخ الروسية لإيران لن تتيح لإسرائيل مهاجمة طهران

المصدر: www.debka.co.il
٢٧/١٢/٢٠٠٨
بقلم: هيئة تحرير الموقع

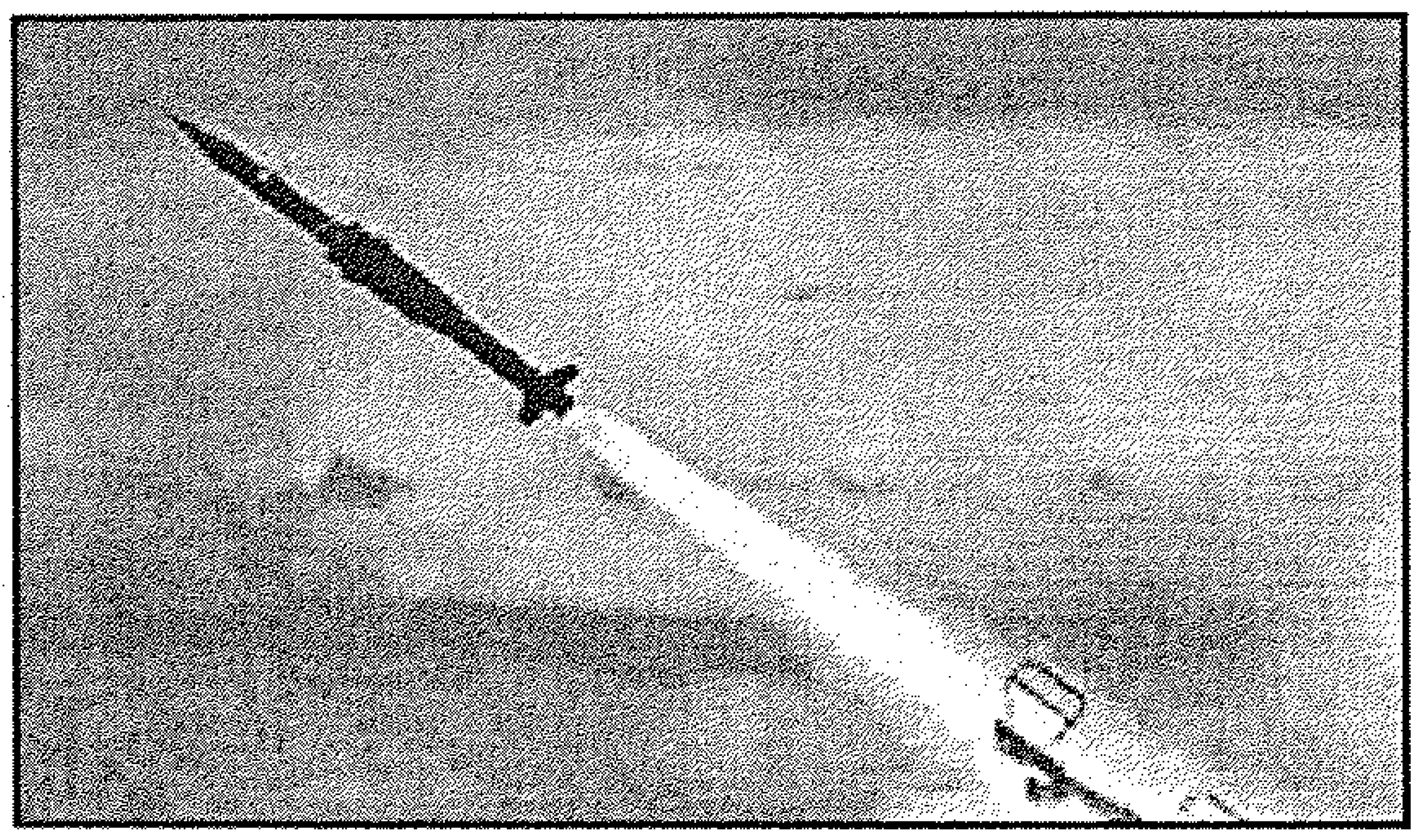

نقلت المصادر الخاصة بموقع ديبكا الإلكتروني عن مصادر دبلوماسية وعسكرية فى موسكو قولها إن منظومات صواريخ «إس ٣٠٠» الروسية باتت جاهزة لشحنها إلى إيران، كما نقلت المصادر عن رئيس وكالة صادرات السلاح الروسية قوله: «نحن نبيع منظومات دفاعية متقدمة على نحو خاص لإيران».

وكان ناطق أمريكى قد قال فجر يوم الثلاثاء (٢٣ ديسمبر) إن «الولايات المتحدة متأكدة أن هناك صفقة تم إبرامها بالفعل لتزويد إيران بهذه الصواريخ، إلا أنها لم تصل حتى الآن إلى طهران». وأضاف الناطق الأمريكى أن هذا النوع من المنظومات الروسية قد يمثل تهديدا على الجنود الأمريكيين فى العراق وأفغانستان؛ فيما قال مصدر استخبارى أمريكى إن «تزود إيران بصواريخ إس ٣٠٠ الروسية يمثل نقطة حسم استراتيجية بالنسبة لإسرائيل». وأضاف المصدر الأمريكى قائلا إنه سيصبح بمقدور الإيرانيين بعد نشر هذه الصواريخ صد أى هجوم بواسطة الطائرات أو الصواريخ، وهذه هى المرة الأولى التى يعبر فيها مصدر استخباراتى أمريكى عن تقديرات متشائمة إلى هذا الحد.

وتفيد المصادر الخاصة بموقع ديبكا فى موسكو بأن الضبابية والتضارب المقصود فى البيانات الروسية بشأن تزويد إيران بهذه الصواريخ المتقدمة يهدفان فى الأساس إلى رفع الثمن الذى سيدفعه الإيرانيون مقابل هذه الصواريخ، وهو نفس التكتيك الذى يتبعه الروس فى مسألة تزويد إيران بالمكونات اللازمة للمفاعل النووى فى بوشهر.

ونقل الموقع عن مصدر دبلوماسى روسى قوله يوم الاثنين (٢٢ ديسمبر) إنه «من المقرر أن تُسلم هذه الصواريخ لإيران مباشرة من مخازن وزارة الدفاع الروسية»- أى أن إيران ستحصل على هذه الصواريخ من مخازن الطوارئ الخاصة بالجيش الروسى، وأن الإيرانيين لن يضطروا لانتظار تصنيعها لهم. وبذلك يؤكد المصدر الروسى أن إمداد إيران بهذه الصواريخ سيتم بشكل دورى إلى أن يحصلوا على كل العدد الذى تم الاتفاق عليه بين البلدين.

دليل آخر يؤكد أن روسيا بدأت بالفعل فى تزويد إيران بهذه الصواريخ المتقدمة، وأنها مستمرة فى ذلك بدون عقبات، جاء يوم الاثنين (٢٢ ديسمبر) على لسان رئيس وكالة صادرات السلاح الروسية، فياتشيسلاف ديفيدينكو، عندما أجاب خلال مؤتمر صحفى عقده فى موسكو على سؤال مباشر حول ما إذا كانت روسيا ستزود إيران بهذه الصواريخ أم لا، حيث قال ديفيدينكو دون التعرض بالاسم لصواريخ «إس ٣٠٠» إن موسكو تزود طهران حاليا بمنظومات دفاعية حصرية، تتضمن أيضا منظومات دفاع جوي.

وعرض رئيس وكالة صادرات السلاح الروسية نموذجا لهذه المنظومات حينما قال: «فى البداية زودنا إيران بمنظومات صواريخ مضادة للطائرات من طراز Tor-M١". وتشير المصادر العسكرية الخاصة بملف ديبكا إلى أن هناك دلالتين رئيسيتين لتصريحات المسئول الروسى رفيع المستوي:

١- فى البداية، زود الروس الإيرانيون بصواريخ مضادة للطائرات قصيرة المدى. والآن، مع البدء فى تسليم إيران صواريخ "إس ٣٠٠"، ينقل الروس للإيرانيين صواريخ مضادة للطائرات طويلة المدى لاستكمال منظومة الدفاع الجوى الإيرانية المنشورة حول المنشآت النووية.

٢- وبذلك تُظهر روسيا للعالم العربى كله أنها هى التى تقوم بحماية منشآتهم الاستراتيجية المهمة، وليس الولايات المتحدة، وهو نفس المنطق الذى يقف وراء قرار موسكو بتزويد لبنان بعشر طائرات من طراز ميج ٢٩.

ويجب ملاحظة أن كل التصريحات الصادرة من موسكو وواشنطن تناقض تصريحات السفير الروسى فى تل أبيب، بيتر ستيجناي، الذى نفى أن روسيا تعتزم الدفع قدما بصفقة الصواريخ، أو أنها بدأت بالفعل فى تزويد طهران بها: «نحن متمسكون بالاتفاقات التى توصلنا إليها خلال زيارة رئيس الوزراء أولمرت لموسكو».

إيران هى الرابح الأكبر فى غزة

بقلم: يورام شفيتسر (*)
المصدر: www.omedia.co.il
٢٠٠٩/١/٤

فى ظل هذه الحرب تكسب إيران مزيداً من الوقت الثمين لكى تحقق تقدماً فى برنامجها الاستراتيجى لتحقيق القدرة على إنتاج السلاح النووي. إن هذا المكسب الرئيسى لإيران من هذه الحرب يجب أن يشكل جزءا من الجهود التى يديرها الإعلام الإسرائيلى مع الرأى العام العالمى ضد السياسة الإيرانية التى يتم تصويرها على أنها سياسة عدائية وغير أخلاقية.

إن الدور الرئيسى لإيران فى تزكية جولتى الحرب اللتين شهدتهما منطقتنا خلال العامين الأخيرين، فى الشمال بين إسرائيل وحزب الله وفى الوقت الحالى فى الجنوب بين إسرائيل وحماس، لا يزال موجوداً سواء فى مراحل إعداد أو استعدادات متجددة لحلفائها لجولات الحرب القادمة.

وبينما كانت إيران تستخدم فى الماضى سلاح الإرهاب من أجل تحقيق أهدافها السياسية بشكل مباشر وصارخ بواسطة أجهزة الاستخبارات الإيرانية ومنظمات كانت تقوم بالعمل نيابة عنها، تلك المنظمات التى نفذت عمليات ضد خصوم النظام الإيرانى فى الداخل والخارج، انتقلت إيران خلال السنوات الأخيرة إلى العمل باستراتيجية إرهابية غير مباشرة، لا تترك وراءها آثارا واضحة تثبت تورطها فى شيء، الأمر الذى يجعل من الصعب إدانتها إزاء ما يحدث. لقد قامت إيران بتدريب رجال حزب الله وزودته بأفضل العتاد والأسلحة الموجودة فى حوزتها، وجعلته يضاهى مستوى الدول من حيث المستوى العسكري، وها هى إيران الآن تعمل بنفس الأسلوب مع حماس.

إن حقيقة كون حماس تتنقل فى الوقت الحالى بين إطلاق صواريخ القسام والصواريخ طويلة المدى القادرة على الوصول إلى المدن الإسرائيلية فى الجنوب وإرباك حياة المواطنين فيها، والاقتراب من قلب الدولة، هى نتيجة مباشرة لتمويلهم وتزويدهم بالعتاد من جانب إيران. كما ساعدت إيران حماس (وبالطبع أيضاً ساعدت الجهاد الإسلامى الذى كان ناشطاً رئيسياً فى إطلاق صواريخ القسام خلال فترة التهدئة) فى تأهيل جزء كبير من قوتها العسكرية. ومن المعروف أن رجال حماس تلقوا خلال السنوات الأخيرة المزيد من عمليات التأهيل والإعداد العسكرى من مؤسسات إيرانية، بدءا بالدورات الأساسية التى استمرت لشهر ونصف الشهر، وحتى خضوعهم لتدريبات متقدمة استمرت لستة أشهر. بهذا الشكل منحت إيران لحماس تأهيلاً وإعداداً عسكرياً متنوعاً، حوَّلها من تنظيم يشغل خلايا إرهابية إلى قوة عسكرية مدربة ومجهزة لإدارة الحرب ضد إسرائيل. فى هذه الحرب يعتمد أسلوب القتال الذى تنتهجه حماس على الأسلوب الإيرانى الذى انتهجه كذلك حزب الله، والمتمثل فى عملية الإرباك أو الإزعاج عن طريق إرسال صواريخ طويلة المدى بشكل تدريجى على المدن الإسرائيلية من أجل إدخال المزيد والمزيد من المدنيين إلى دائرة الاستنزاف والهلع وإرباك حياتهم فضلاً عن الأضرار المادية العشوائية. وإذا ما حدث هجوم برى فى غزة فمن المتوقع أن تقاتل حماس بأسلوب القتال الذى اكتسبه رجالها فى معسكرات التدريب فى إيران.

أن إيران تنتظر بفارغ الصبر المرحلة التى ستعقب القتال فى غزة. وبما أنه من الواضح أن البنية المدنية والاقتصادية والعسكرية لحماس تلقت ضربات موجعة للغاية على يد إسرائيل، فإن حماس ستكون فى حاجة إلى تمويل واسع وإعادة بناء وإعادة تزويد بالعتاد والأسلحة وتدريب قوات جديدة بدلاً من تلك التى ستُفقد فى الحرب، وإيران هى الشريك المستعد دائماً لمساندة ومساعدة حماس.

إن إسرائيل لديها اليوم توقعات بمزيد من الحلفاء فى مواجهة إيران من بين دول كثيرة فى العالم الغربى والعربى على حد سواء، ممن يعتبرونها قوة سلبية صاعدة تهدد استقرار النظام العالمي، سواء فى مجال انتشار الأسلحة النووية أو فى مجال الإرهاب. وفى الوقت الذى ترغب فيه إيران فى مواصلة تزكية النزاعات وإشعال العنف فى الشرق الأوسط وهى فى الظل تعمل من وراء الكواليس، يجب على إسرائيل أن تسلط الضوء الإعلامى على سياستها هذه بشكل كبير من أجل وقوى وكشف فضائحها أمام الجميع.

(*) كاتب المقال رئيس مشروع الإرهاب فى معهد أبحاث الأمن القومي.

هل تظاهرت وزيرة نرويجية ضد إسرائيل..؟ لتتم إقالتها

بقلم: داليا مزوري
معاريف ١٥/١/٢٠٠٩

أرسل ألكس أورلي، نائب رئيس منظمات الناجين من أحداث النازية فى إسرائيل، خطاباً بالأمس إلى رئيس الحكومة النرويجي، يانس ستولتنبرج، يطالبه فيه بإقالة وزيرة المالية كريتسين هلفورسن. وعلى حد قول أورلي، فإن الوزيرة شاركت فى مظاهرة نظمها بعض النازيين الجدد ضد إسرائيل.

وفى خطابه يزعم أورلى أن الطلب بإقالة الوزيرة هلفورسن يرجع إلى استمرار حملة الكراهية الطويلة التى تشنها ضد دولة إسرائيل والشعب اليهودي. وعلى حد قوله، فإنه خلال المظاهرة التى شاركت بها، تظاهر بعض النازيين الجدد حليقى الرءوس ضد إسرائيل ودعوا لإبادتها.

وقال أورلي: "تتابع منظمات الناجين من المحرقة النازية تصريحات ولقاءات هلفورسن العنصرية. وفى نهاية الأسبوع الماضى بالغت عندما شاركت فى مظاهرة ضد العملية العسكرية فى غزة، مع نازيين جدد دعوا فى حضورها إلى الموت لليهود والموت لإسرائيل، كما أن الوزيرة كانت أول من ألقت كلمة فى هذه المظاهرة المعادية للسامية".

كما كتب أورلى يقول لرئيس الوزراء النرويجى إن إسرائيل شنت هذه العملية لحماية مواطنيها بعد ثماني سنوات تعرضت خلالها لهجوم صاروخي. وأضاف أن "المظاهر العنصرية ضد نشاط مشروع من جانب دولة تحمى نفسها هى أمر مثير للاشمئزاز ويقشعر لها الأبدان".

كما استطرد أورلى قائلاً: "لا يجب التشبيه بين أحداث النازية وقتال الجيش الإسرائيلى فى غزة. فهنا تحارب دولة سيادية منظمة إرهابية ترغب فى قتل اليهود. وهي تقوم بذلك تحت شعار منظمة دينية إسلامية متطرفة يحتمي أفرادها بالنساء والأطفال ويرتكبون جرائم حرب كل يوم".

يرى أورلى أن الوزيرة لديها قصور معرفى بشأن المحرقة النازية، وقد دعاها لزيارة متحف ياد فاشيم (متحف تخليد ضحايا المحرقة النازية بإسرائيل) بالقدس أو معسكر أوشفيتس، "هناك سترى كيف عملت آلة الإبادة النازية، وقتلت ملايين اليهود".

كما ذكر أورلى أنه يجب على رئيس الحكومة النرويجى العمل على الفور لإقالة الوزيرة هلفورسن، وطالبها بالتوقف عن سعيها لتمهيد الطريق أمام كارثة جديدة ضد اليهود فى إسرائيل.

٤

المجتمع الإسرائيلي

فتوى فى الخليل تقضى بإجازة حمل الهاتف الجوال يوم السبت

بقلم: يهوشع برنر
المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٨/١٢/٢١

فى ظل الوضع الأمنى فى الخليل، نشر الحاخام الأكبر دوف ليئور فى مستعمرة كريات أربع فتوى لم يسبق لها مثيل، تبيح لسكان المستعمرة التجول يوم السبت، وهم يحملون هواتف جوالة، وذلك لتمكينهم من الإبلاغ عن الحوادث الأمنية. جدير بالذكر أن الحاخام ليئور يُعد أكبر مصدر تشريعى فى الضفة الغربية.

وقد صدرت الفتوى بعد أن زعم المستعمرون يوم السبت الماضى أن فلسطينيين هاجما فتاتين فى الخليل وحاولا اغتصابها. ويقول المستعمرون إنه بعد صراع قصير تمكنت الفتاتان من الهرب وطلب المساعدة. وبعد الحادث نشر الحاخام ليئور فتوى بأنه رغم أن ذلك يعتبر (شيء محرم استخدامه يوم السبت)، من المباح للسكان اليهود التجول فى منطقة الخليل، وهم يحملون هواتف جوالة.

وكتب ليئور: "لقد توصلت إلى نتيجة مفادها أنه فى ظل الوضع الأمنى المتدهور، ينبغى السماح لكل من يتجول فى الخليل أو يعيش هناك أن يحمل هاتفاً جوالاً، ويبلغ ضباط الأمن عن وقوع أى حادثة من أجل منع تكرار الحوادث القاسية". وقد نشرت الفتوى غير المسبوقة فى ظل الهجوم الشديد الذى شنه زعماء الحى اليهودى فى الخليل فى الأسابيع الأخيرة على الجيش الإسرائيلي، حيث يقولون إن الجيش الإسرائيلى والشرطة يعاملونهم بإهمال. وقد أرسلت عدة خطابات إلى قادة قوات الأمن فى المنطقة يزعم فيها المستعمرون أنه رغم زيادة أعمال عنف الفلسطينيين، ينتهج الجيش الإسرائيلى سياسة العقاب الجماعى ضد المستعمرين، ويمتنع عن مساعدتهم بسبب أحداث المنزل محل النزاع (هذا المنزل يملكه فلسطينيون واحتله المستعمرون ورفضوا إخلاءه).

باروخ مارزل يقدم أوراق ترشيحه لمنصب رفيع فى التخنيون

بقلم: نداف جادليا
معاريف ٢٢/١٢/٢٠٠٨

فى خطوة مستغربة، توجه باروخ مارزل، رئيس حركة «أرض إسرائيل لنا»، بخطاب إلى إدارة معهد التخنيون (معهد التكنولوجيا الإسرائيلي) طلب فيه أن يتم تعيينه أستاذا للرياضيات. جاءت هذه الخطوة ردا على تعيين البروفيسور دانيئيل هرشكوفيتش رئيساً لحزب «البيت اليهودي». وكتب مارزل، الذى سيخوض الانتخابات القادمة على رأس قائمة «أرض إسرائيل لنا»، فى الخطاب قائلا: «صحيح أن الموقع أدناه ليس لديه أدنى خبرة بالرياضيات ولا يفقه شيئا فى هذا المجال، كما أنه طوال سنوات دراسته فى المدارس المختلفة لم يتميز فى هذا الفرع من العلوم، ولكن مثلما أصبح هرشكوفيتش رئيسا لحزب يفترض به أن يتصدى لمشاكل عويصة تخص شعب إسرائيل، وسلامة أرضه، وحربه ضد الأعداء وما إلى ذلك من المسائل السياسية الأخرى، فى حين أنه لا يتمتع بأى خبرة أو أى فهم لهذا المجال، فإن الموقع أدناه لا يرى سببا لرفض تعيينه أستاذا للرياضيات فى هيئة التدريس».

وبالنسبة للصعوبات التى قد يواجهها كأستاذ فى قسم الرياضيات بالمعهد، يقول مارزل: «لا شك أن الموقع أدناه سيفشل فى الرياضيات، ولكن هذا سيكون أقل إيلاما وأقل تأثيرا من فشل البروفيسور هرشكوفيتش فى المجال الجماهيري». وأضاف مارزل قائلا فى خطابه: «سأسعد بأن يتم عرض مسألة تعييني على لجنة من الحاخامات والسمكرية والنجارين».

نقص الأمطار يتسبب فى إغلاق المكفاؤوت (*)

بقلم: أساف جولان
هاتسوفيه ٢٢/١٢/٢٠٠٨

تسببت أزمة المياه ونقص الأمطار فى العديد من المشاكل، إحدى هذه المشاكل تتمثل فى إغلاق المكفاؤوت التى لم يعد بها مياه من الأمطار، ولم تعد هناك إمكانية لإعادة تشغيلها مرةً أخرى.

عرض الحاخام حاييم ليفي من المركز القطرى لطهارة الأسرة، وهو الجهة المسؤولة عن تقديم العون للمكفاؤوت فى جميع أنحاء إسرائيل، صورةً محزنة للوضع الحالي. قال: "هناك الكثير من الأماكن مثل نتيفوت، وتل أبيب، والناصرة العليا، ورامات هشارون فيها مكفاؤوت قديمة لم يتم بها بناء مستودعات كبيرة للمياه حتى يمكن الاحتفاظ فيها بمياه الأمطار للاستعانة بها خلال السنوات التى لا تسقط فيها الأمطار. ففى عدد من هذه المكفاؤوت فى بعض المناطق الإسرائيلية لم تعد هناك مياه، ولا توجد طريقة ممكنة لحل هذه المشكلة، لذلك اضطررنا لإغلاق هذه المكفاؤوت تماماً".

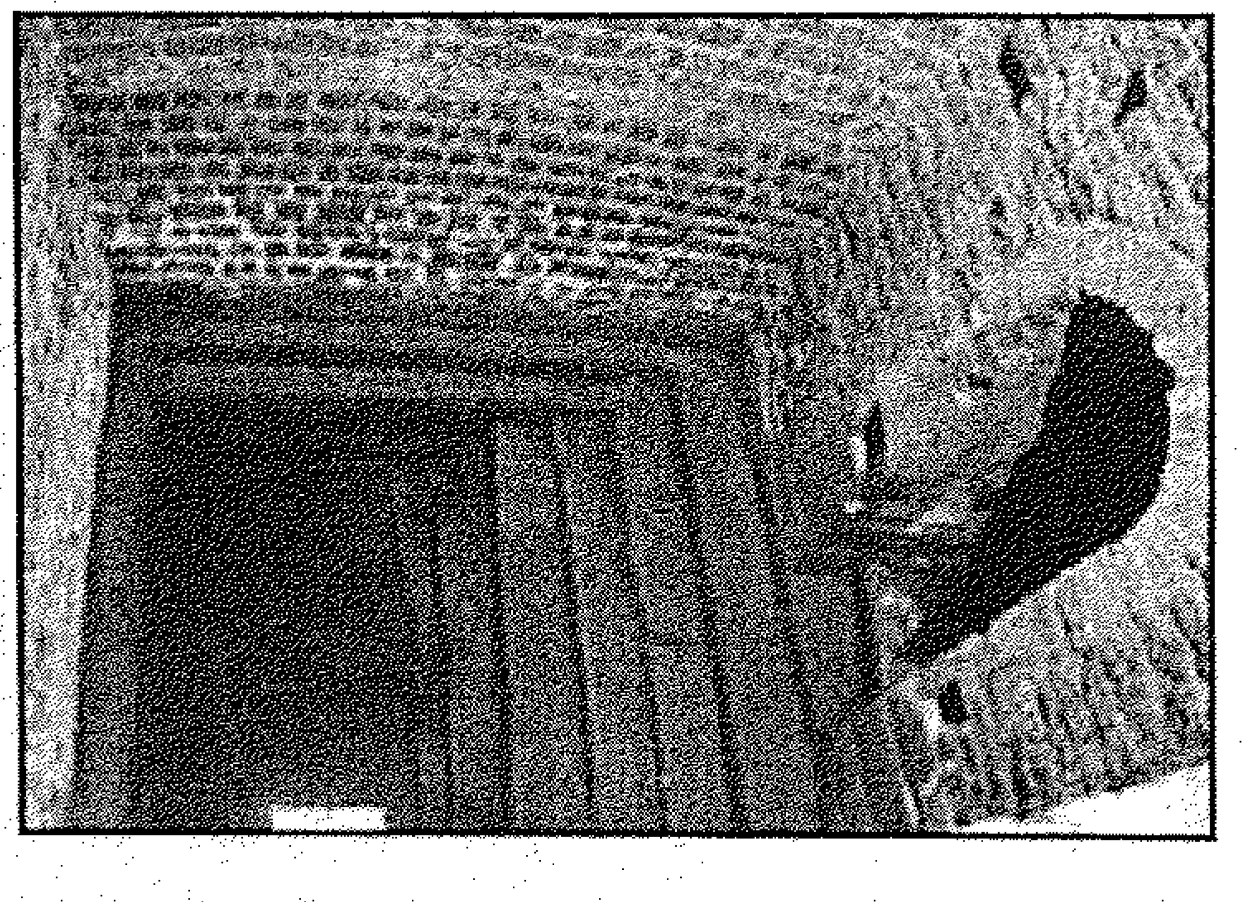

ويوضح الحاخام ليفى أنه برغم أنه فى العديد من المكفاؤوت الحديثة تمّ بناء مستودعات كبيرة للمياه، ولكن السؤال الرئيسى هو ماذا سيحدث إذا استمرت حالة النقص فى مياه الأمطار..؟ يقول الحاخام ليفي: "تعلمنا من دروس الماضى عند بناء المكفاؤوت الحديثة، ولأن هناك سنوات كثيرة تمر دون سقوط أمطار، قمنا فى كل مكفاؤوت ببناء مستودع إضافى

للمياه يخضع أيضاً لإشراف وزارة الصحة، يتم الاحتفاظ بكميات كبيرة من المياه فيه للاستعانة بها فى حالات الطوارئ أو الجفاف. المياه التى يتم الاحتفاظ بها تمر بعملية تنقية وتطهير بشكل ثابت ويتم الاحتفاظ بها بمساعدة مواد تمنع تلوثها. وقد قمنا هذا العام بفتح العديد من مستودعات المياه للطوارئ فى المكفاؤوت، ولكن من غير المؤكد إلى متى ستكون هذه المياه كافية".

وبالمناسبة فإن أحد الحلول التى عُرضت خلال السنوات السابقة ومقبولة أيضاً من الناحية الشرعية يتمثل فى استخدام الثلوج من جبل حرمون (جبل الشيخ) فى هضبة الجولان الذى تتم إذابته داخل مستودعات المياه. إلا إن الاعتماد على هذا الخيار، حسب تصريحات الحاخام ليفي، ليس مطروحا بالفعل خلال العام الحالي. يقول الحاخام ليفي: "هناك حل يتوافق مع الشريعة، وهو الإتيان بالثلوج التى تتألف فى معظمها من مياه الأمطار التى يمكن ملء المكفاؤوت منها، حتى إننا فى الماضى كنا نقوم بنقل الثلوج إلى المكفاؤوت، وفتحنا بهذه الطريقة مكفاؤوت فى أماكن كانت تعانى من قلة المياه. وعلى الفور بعد فك الارتباط قمنا بنقل شاحنة محملة بالثلوج إلى مستعمرة يفول حتى نفتح فى نهاية الصيف "مكفيه" فورى لمن تمَّ إخلاؤهم. ومما يؤسف له فإن كمية الثلوج قليلة للغاية بل يكاد لا يوجد ثلوج على الإطلاق، لذلك فإنه حتى هذا الخيار لا يفى بالغرض، ونحن على وشك الدخول فى وضع عسير، وفى غاية الصعوبة".

وقد نما إلى علم صحيفة هاتسوفيه أنهم يدرسون خلال الأيام المقبلة محاولة إيجاد حلول أخرى تتوافق مع الشريعة من أجل العودة إلى فتح المكفاؤوت التى تعرضت للإغلاق، وفى هذه الأثناء فإنهم فى انتظار إمَّا الأمطار، وإمَّا الثلوج من جبل حرمون، الأمر الذى قد يمثل حلاً، على الأقل مؤقتاً لجزء من المشكلات.

(*) المكفاؤوت: عبارة عن برك من المياه متصلة بمستودع لماء المطر تستخدم للتطهر. وهناك مكفاؤوت خاصة بالنساء يغطسنَّ فيها مرةً كل شهر، وهناك مكفاؤوت خاصة بالرجال الذين اعتادوا على التطهر مرة يومياً أو قبل أيام السبت والأعياد. ويحرص الحسيديم على التطهر فى المكفاؤوت كل يوم قبل الصلاة، لذا تلحق المكفاؤوت بالمعابد الحسيدية.

شكوى للأمم المتحدة: إسرائيل تواصل ممارسة التمييز ضد النساء

بقلم: مايا بنجل

المصدر: www.nrg.co.il

٢٠٠٨/١٢/٢٢

فى خطوة غير مسبوقة فى خطورتها، تقدمت اليوم الأحد المنظمات النسائية فى إسرائيل إلى مجلس الأمن الدولى بطلب لمنع التمييز ضد النساء وإلزام دولة إسرائيل بدمجهن فى المؤسسات الحكومية. وتزعم المؤسسات النسائية أن إسرائيل تنتهك القانون الذى يقضى بإشراك نساء من مختلف الفئات السكانية فى مؤسسات اتخاذ القرار السياسى والاجتماعى فى إسرائيل.

وكانت إسرائيل عام ٢٠٠٥ قد قررت أن تثبت للدول الغربية أنها دولة ترفع لواء تطبيق مبدأ المساواة بين الجنسين، وصدقت فى الكنيست على القرار رقم ١٣٢٥ الصادر عن الأمم المتحدة عام ٢٠٠٠. ويتعهد القرار بأن النساء اللائى خضن معاناة الحرب وجرائمها لابد أن يشاركن فى حل الصراعات وفى السبل المختلفة لحلها، بموجب وجهة النظر التى ترى أن النساء لديهن أسلوب خاص فى حل مثل هذه الأزمات.

وقالت المحامية عينات طاهون أشكنازى من منظمة «إيتخا» (معكي) - حقوقيات من أجل العدالة الاجتماعية: «إن دولة إسرائيل تعهدت أمام دول العالم بأنها ستدمج النساء فى المؤسسات الحكومية، لاسيما فى إجراءات اتخاذ القرارات المهمة مثل شن حرب، إلا أنه قد اتضح اليوم أن الوعود فى جهة، والتنفيذ فى جهة أخرى».

كما علقت المحامية أشكنازى على استعداد الجيش الإسرائيلى لعملية فى غزة وقالت: «تؤكد الهواجس القوية للحرب فى هذه الفترة ضرورة دمج النساء فى المؤسسات الحكومية ومؤسسات اتخاذ القرار، فلابد أن يُسمع صوت النساء الشرقيات والعربيات والبدويات والحريديات والنساء اللائى عانين الفقر وتعرضن للعنف، لأنهن من يدفعن الثمن الباهظ للصراعات الدولية».

وتزعم المنظمات النسائية ضعف التمثيل النسائى فى الأحزاب التى تتنافس لخوض انتخابات الكنيست، وأن فقط نحو ٢٠ امرأة يشغلن مراكز حيوية فى القوائم المتنافسة.

وتتمثل المنظمات النسائية التى انضمت إلى هذه الشكوى في: «إيتْخا» (معكي)، لوبى النساء فى إسرائيل، «أحوتي» (أختي) من أجل النساء فى إسرائيل، «إيشا لإيشا» (المرأة للمرأة) - المركز النسائى فى حيفا، مركز «تمورا» (بديل) - المركز القانونى لمنع التمييز، برلمان النساء، أنوار - قيادة نساء يهوديات عربيات وحركة المساواة فى تمثيل النساء.

ابنة نوعام فيدرمان ترفض الخدمة العسكرية بالجيش الإسرائيلي

بقلم: روعي شارون
معاريف ٢٠٠٨/١٢/٢٤

على ما يبدو فإن يسخا فيدرمان ابنة الناشط اليميني المتطرف نوعام فيدرمان ستحظى بكونها أول رافضة للخدمة العسكرية من معسكر اليمين لأسباب تتعلق بالضمير. يسخا فيدرمان ترفض المثول أمام مكتب التجنيد نظراً لأن "الجيش الإسرائيلي ليس جيشي" حسب قولها.

تلقت يسخا البالغة من العمر ١٧ عاماً وشهراً قبل نحو أسبوعين أمراً بالتوجه لمكتب التجنيد. وبينما زميلاتها أعلنَّ ببساطة أنهنَّ متدينات، وحصلنَّ على إعفاء من أداء الخدمة العسكرية، كتبت يسخا فيدرمان خطاباً مفصلاً إلى المسئول عن قاعدة الاستقبال والتصنيف أوضحت فيه أنها تنوى رفض أداء الخدمة العسكرية.

كتبت يسخا فى خطابها تقول: "قبل نحو شهر ونصف الشهر فى جنح الظلام بينما كنت أنا وإخوتى الثمانى نائمين فى أمان، كلٌ فى سريره، اقتحم منزلنا عبر تدمير النوافذ مئات من رجال قوات الأمن". واصلت يسخا تفاصيل خطابها قائلة: "لقد عذبونى أنا وأبناء أسرتي، ألقوا بنا خارج المنزل ودمروا منزلى بكل ما فيه. هكذا مثل اللصوص بالليل فعل الجيش الإسرائيلى والشرطة وكل شيء جرى بأوامر من العميد نوعام تيفون. لذلك وعلى الرغم من أننى قادرة على الإعلان أننى متدينة، وبذلك أوفر لنفسى إعفاء من أداء الخدمة العسكرية، فقد قررت أنه لكى أعرب عن اشمئزازى من تلك الجهة المسماة الجيش الإسرائيلي، فلن أعلن عن كونى متدينة".

*** "أدرك تماماً الثمن الذى يتوجب على دفعه":**

يسخا هى الإبنة الكبرى بين أبناء أسرتها وناشطة فى الصراعات التى تجرى ضد عمليات إخلاء اليهود منذ سنوات. كذلك كان والدها نوعام فيدرمان من قادة اليمين المتطرف، لم يخدم بالجيش الإسرائيلي، كبر أبناؤه فى ظل مناخ معاد للمؤسسة الرسمية وتشبعوا بحالة النفور والاشمئزاز التى يكنها للسلطات وقوات الأمن. أحياناً كثيرة شاهده أبناؤه وهو معتقل على يد الشرطة، وقبل نحو ثلاث سنوات تمَّ التحفظ عليه لمدة تسعة شهور رهن الاعتقال الإداري.

حالة الرفض الوحيدة التى كانت بناء على خلفية أيديولوجية ومعروفة حتى الآن فى هذا القطاع كانت حالات رفض لأوامر بعينها، عندما تمَّ استدعاء جنود للمشاركة فى إخلاء بؤر استيطانية أو المشاركة فى فك الارتباط. وكتبت يسخا فيدرمان تقول: "إننى أعرف الثمن الذى سأضطر لدفعه مقابل ما فعلت وإننى أتوق لدفعه. إننى أنوى أن أكون أول متدينة رافضة للخدمة العسكرية تعلن أمام الشعب الإسرائيلي: الجيش الإسرائيلى ليس جيشي!".

أوضحت يسخا فيدرمان أمس أنه "حتى الآن لم يكن سوى النساء اليساريات يرفضنَّ أداء الخدمة العسكرية لأسباب تتعلق بالضمير، والآن أصبح هناك نساء من تيار اليمين أيضاً، وإننى أتمنى أن تقوم فتيات أخريات بالأمر ذاته. لن أخدم بالجيش، ولن أؤدى الخدمة الوطنية فى هذه الدولة التى تطرد اليهود فى أرض إسرائيل وتعمل بشكل مناهض للشريعة اليهودية".

مخاوف من حصول المرضى على أدوية خاطئة

بقلم: زيفا موجرابي
يسرائيل هايوم ٢٠٠٨/١٢/٢٨

تسبب عطل فنى خطير فى منظومة إدارة الفحص الإلكترونية بالمستشفيات إلى حصول عشرات المرضى على نتائج فحص خاطئة تعود لمرضى آخرين. وقد أدلى الدكتور يورام بليشر رئيس المستدروت الطبى بالأمس بتصريحات حادة اللهجة قائلاً: "هذا الخطأ قد يتسبب فى ضياع حياة بشر. إنها كارثة".

يعتبر العطل الذى كشفت صحيفة "يديعوت أحرونوت" النقاب عنه بالأمس بمثابة كابوس لكل جهة بيروقراطية، لاسيما أنه متعلق بحياة البشر، من ذلك أسلوب الفحص الذى تقوم به المستشفيات. وتفيد البيانات التى وصلتنا حتى الآن أن عشرات المرضى الذى حصلوا على فحص مرضى آخرين تلقوا العلاج فى خمسة مستشفيات فى أنحاء إسرائيل: إيخيلوف فى تل أبيب، هيليل يافا فى الخديرا، ومستشفى فى نهاريا والجليل الغربى، وأساف هاروفيه فى تسريفين، وولفسون فى حولون.

كان هذا العطل قد اكتشف يوم الأحد الماضى بفضل يقظة

طبية فى مستشفى أساف هاروفيه اكتشفت أن نتائج الفحص التى حصلت عليها لحساب إحدى المجندات لا تتماشى مع حالتها وإنها تتماشى مع حالة مريضة أخرى بالكلى محتجزة فى قسم آخر. وقد أبلغت الطبيبة المسئولين بذلك، والمستشفى أبلغ بدوره وزارة الصحة.

وعقب هذا البلاغ أجرت وزارة الصحة بالأمس تحقيقاً شاملاً. وخلال التحقيق اتضحت أبعاد العطل: نحو ٢٠ إلى ٣٠ حالة خطأ وقعت فى شهرى أكتوبر ونوفمبر فى مستشفى أساف هاروفيه ومستشفى وولفسون. بينما وقعت ثلاث حالات فى شهر أكتوبر فى مستشفى نهاريا وثلاث أخرى فى مستشفى هيليل يافا، فى حين وقعت حالة خطأ واحدة فى مستشفى إيخيلوف. وجاء من وزارة الصحة بالأمس أن "وزارة الصحة تطمئن الجمهور بأنه لم يقع أى ضرر للمرضى فى كل هذه الحالات".

ويرجع السبب فى هذا العطل إلى برنامج إدارة المراكز الطبية التابع لشركة HP للبرمجة. ورغم الضرر المحتمل ذكر بالأمس رئيس الإدارة الطبية بوزارة الصحة الدكتور حزاى ليفى أنه "لم يقع أى ضرر لأى من المرضى فى الحالات المذكورة سابقاً".

وقد أوضحوا فى وزارة الصحة أمس أنه منذ بدء فترة ما بعد الظهيرة بدأ طاقم من شركة HP للبرمجة بمتابعة نشاط البرنامج بهدف رصد العطل فى حينه ومعرفة كيفية إصلاحه. فى غضون ذلك تلقت كافة الأطقم الطبية تنبيهات باليقظة الشديدة وفحص أى نتيجة غريبة عن طريق استعمال العقل المهني.

وبالأمس، قال مدير مستشفى وولفسون الدكتور يتسحاق برلوفيتش: "تلقينا بلاغاً عن فحص خاطئ لكننا لم نواجه أى أعطال. واجب على كل طبيب أن يستعمل عقله، وإذا كانت نتيجة الفحص لا تناسب حالة المريض، يجب إعادة الفحص. فالفحص فى المعامل لا يلغى أن يقوم الطبيب باستعمال عقله المهني".

وتعليقاً على ذلك جاء من مستشفى نهاريا: "أصدرت إدارة المستشفى تعليمات لكل الأطقم الطبية بالتعامل مع نتائج الفحص اليدوية فقط حتى يتم إيجاد حل لهذا العطل".

وجاء من مستشفى وولفسون: "لم نتعرض لأى حالة. لقد أبلغتنا وزارة الصحة بذلك وتلقت الأطقم الطبية تعليمات بالعمل بحذر".

وجاء من مستشفى إيخيلوف: "أبلغتنا وزارة الصحة بوجود حالة واحدة، وأصدرنا تعليمات بدراسة أصل نتائج الفحص، وإجراء فحص لرصد المرضى أو الخطأ فى فحص المرضى".

وجاء من مستشفى أساف هاروفيه: "من حسن حظنا أننا اكتشفنا العطل ولم يقع ضرر للمرضى. فضلاً عن ذلك، فقد اكتشفنا خلال الفحص المتعمق سبع حالات، وحمداً للرب أنه لم تقع فيها أى أضرار أيضاً. وأبلغنا عن وقف العمل مع شركة HP حتى إصلاح هذا العطل وعدنا للعمل بالطريقة القديمة التى يتم خلالها تسجيل نتيجة الفحص يدوياً فى بطاقة المريض وليس فى البطاقة الإلكترونية".

محاضر محاكمة إيخمان على الإنترنت

بقلم: تومار زرحين
هاآرتس ٣١/ ١٢/ ٢٠٠٨

نشرت وزارة العدل أمس عبر موقعها على الإنترنت المحاضر الكاملة لمحاكمة أدولف إيخمان، وهى المحاكمة التى جرت فى المحكمة المركزية بالقدس، ثم انتقلت إلى المحكمة الإسرائيلية العليا التى نظرت فى الاستئناف المقدم على الحكم الذى صدر عن المحكمة المركزية.

شملت المواد المنشورة على الموقع الإلكترونى للوزارة المحاضر الكاملة للمداولات التى جرت فى المحكمة المركزية والمحكمة العليا، كما تضمنت أيضا مرافعات الدفاع، وترجمة عبرية لإفادات شهود الإثبات والنفى التى تم جمعها فى أوروبا، والمذكرات الكتابية للإدعاء والدفاع.

وفضلا عن ذلك، تضمنت المواد صورة من الأقوال الأصلية التى أدلى بها إيخمان أثناء التحقيق معه بمعرفة الشرطة الإسرائيلية، والتى تحتل ٢٥٥٠ صفحة - وهى الأوراق التى قدمها الادعاء للمحكمة باعتبارها من القرائن المادية - كما نُشرت أيضا نحو ١٥٠٠ وثيقة من الوثائق التى تم تقديمها للمحكمة المركزية فى القدس.

جاء نشر هذه المواد على الموقع الإلكترونى لوزارة العدل بعد موافقة «صندوق نشر تسجيلات محاكمة

إيخمان» على ذلك. وكان الصندوق قد انتهى مؤخرا من كتابة ونشر النسخة العبرية من مجلدات تسجيلات المحاكمة.

ويذكر أن دولة إسرائيل، ممثلة فى المستشار القانونى للحكومة، قد قدمت أدولف إيخمان للقضاء بتهم ارتكاب جرائم ضد الشعب اليهودي؛ وارتكاب جرائم ضد الإنسانية؛ وارتكاب جرائم حرب، والانضمام إلى منظمة معادية، وذلك على أساس قانون محاكمة النازيين ومعاونيهم لعام ١٩٥٠. وجرت المحاكمة فى المحكمة المركزية بالقدس فى الفترة من أبريل حتى أغسطس ١٩٦١، وصدر الحكم فى ديسمبر ١٩٦١، حيث حُكم على إيخمان بالإعدام. وفى مايو ١٩٦٢، رفضت المحكمة العليا الاستئناف الذى قدمه إيخمان وتم تنفيذ حكم الإعدام فيه فى الأول من يونيو عام ١٩٦٢.

وكان يتم ترجمة الشهادات التى أدلى بها الشهود بلغات أجنبية إلى اللغة العبرية ترجمة فورية، وتشكل هذه الترجمات جزءاً من المحاضر الكاملة للجلسات، وكان يتم تدوين المداولات كتابياً باختصار، فيما كانت الجلسات تسجل بكاملها بأجهزة تسجيل. وفى ختام كل جلسة، كان رئيس المحكمة يطلع على المحاضر ويصدق عليها، وتحفظ السجلات الكاملة للمحاكمة فى أرشيف الدولة بالقدس، وهى متاحة للجمهور.

حتى فى وقت الحرب يجب علينا أن نصرخ

بقلم: نتيف نحماني

المصدر: www.walla.co.il
٢٠٠٩/١/٣

جميعنا اعتاد كثيراً أن يقرأ خبراً عمّا يجرى فى المحاكم الصينية، أو يقرأ عن وسائل العنف الشرطى لدولة ما من دول شرق آسيا، أو يتعاطف ويشارك أولئك الذين حُكم عليهم بالعيش فى ظل نظام مظلم. ولكن عندما يحدث يوم الجمعة الماضى أن تقوم الشرطة الإسرائيلية باقتياد ثمانية عشر شاباً من نشطاء اليسار المصنف باليسار المتطرف إلى محكمة الصلح فى تل أبيب، وتطلب الشرطة تجديد حبسهم، فيبدو أن الجمهور قد استعاد عافيته، وكما يحدث فى عروض المصارعين الذين بدأوا على أهبة الاستعداد لعرضهم.

لقد تمّ إلقاء القبض على الشباب الثمانية عشرة فى الصباح خارج مطار "ساديه دوف" فى نهاية مظاهرة ارتدوا خلالها ملابس بيضاء ملطخة باللون الأحمر، ورقدوا على الطريق فى مدخل المطار (مظاهرة ضد الحرب الإسرائيلية فى غزة). وفى تعليقه على نشر هذا الخبر قال أحد المتحدثين المتنورين: "لنعلق لهم المشانق بتهمة الخيانة". بينما كتب صديق له معتدل: "لننزع عنهم حقوق المواطنة فوراً".

يبدو أيضا أن المعارك القانونية انجرت هى الأخرى لنداءات العامة والجمهور. فرجال الشرطة اقتادوا قطيع الخونة إلى الحبس وطالبوا بحبسهم لمدة خمسة أيام. سأل القاضي: "لماذا..؟". فأجابه ممثل الشرطة: "من أجل التحقيق معهم".

"التحقيق" سبب غريب إلى حد ما فى ظل حقيقة أن كل المعتقلين كان موقفهم واضحاً بالنسبة للشرطة، فهم متظاهرون. ولو لم يكن ذلك كافياً فإن أحداً من أولئك الخونة لم ينكر كونه هناك بل على العكس.

*** المواطنون لا يرون شيئاً:**

ومن أجل زيادة الإثارة وجعل الأحداث أكثر تشويقاً، قال ممثل الشرطة خلال نظر المحكمة للمسألة أن هذا الأمر الذى استمر لعدة دقائق "تسبب فى إلحاق الضرر بنشاط عسكرى للجيش". الويل كل الويل لجيش، بعض الشباب فى العشرينيات من العمر يعرقلون عملياته، والويل كل الويل لنا نحن المواطنون من تشويه الواقع وراء أبواب محراب العدالة. ونظراً لأن ممثلاً آخر للشرطة بعد ذلك قال "إن رجال الشرطة كانوا فى المكان وقت حدوث الأمر، ووثقوا وضعية المتظاهرين واعتقلوهم".

لو حدث ذلك فى أى وقت آخر، وفى أى دولة "تحترم القوانين" لتمّ إلقاء القبض على المتظاهرين، وإطلاق سراحهم بكفالة فى اليوم ذاته، وعندما تهدأ الأجواء كان الأمر سيكون محل دراسة وسيراجعون أنفسهم هل يقدمونهم للمحاكمة بسبب إعرابهم عن آرائهم..؟! إن هذا حق طبيعى للإنسان حتى فى وقت الحرب لأن هذه هى الديموقراطية.

آلاف التلاميذ فى الجنوب لا يمتلكون حاسباً آلياً فى المنزل

بقلم: أور كشتى ويانير يجنا
هاآرتس ٢٠٠٩/١/٤

من بين ٣٠٠ ألف تلميذ لا يقدرون على الدراسة فى المدارس فى الجنوب بسبب الوضع الأمني، هناك عشرات الآلاف من التلاميذ لا يقدرون على المشاركة فى برنامج "التعلم عن بعد" التابع لوزارة التعليم بسبب عدم امتلاكهم جهاز حاسب آلى فى المنزل.

فى إطار برنامج التعلم عن بعد، الذى يقوم على الاتصال الإلكترونى بين التلاميذ والمدرسة، يمكن أداء واجبات دراسية وتدريبات فى مواد دراسية مختلفة ومواصلة الاتصال بالمدرسين، كما يستطيع التلاميذ المتفوقين فى فصول المتفوقين أيضاً الاستعداد بواسطة هذا البرنامج لامتحانات الثانوية، المقررة فى ١٢ يناير القادم.

وتفيد التوقعات داخل وزارة التعليم أن هناك نقصاً فى نحو ١٠ آلاف جهاز حاسب آلى فى الجنوب، غير أن مسئولاً فى الوزارة قال إن هناك نقصاً فى نحو ٢٠ ألف جهاز حاسب آلي. وجاء من بلدية بئر سبع أن نحو ٥ آلاف تلميذ - نحو ١٠٪ من إجمالى التلاميذ فى المدينة - لا يمتلكون جهاز حاسب آلياً. وفى بلدة عومر - إحدى التجمعات السكنية القوية اقتصادياً واجتماعياً فى إسرائيل - لا توجد مشكلة فى توافر أجهزة الحاسب الآلي. فى المقابل فى أوفاكيم، هناك نحو ٤٥٪ من بين ٧ آلاف تلميذ لا يمتلكون جهاز حاسب آلياً فى المنزل. وفى أشكلون (عسقلان) يقدر العجز بنحو ٣٥٠٠ جهاز حاسب آلي.

كما أن نحو ١٠٪ - ١٥٪ من المدارس لا تملك موقعاً إلكترونياً لكى يستخدمه التلاميذ فى التعلم عن بعد. وقد أوضحت الدراسة التى أجراها المجلس الإقليمى شاعر هانيجف أن هناك نقصاً شديداً فى عدد الأجهزة، حيث اتضح أن ٢٠٪ فقط من التلاميذ فى المرحلة الإعدادية تصفحوا موقع المدرسة الإلكترونى.

وعلى حد قول مدير عام وزارة التعليم شلوميت عميحاي، ففى التجمعات السكانية المحيطة بغزة، وسديروت بالتحديد، هناك جهاز حاسب آلى فى كل منزل وذلك بفضل برنامج "حاسب آلى لكل تلميذ"، وهو ما حظى باهتمام فى السنوات الأخيرة بسبب إطلاق صواريخ القسام.

وفيما يتعلق بمحاولات التغلب على العجز فى أجهزة الحاسب الآلي، قالت نائب مدير عام وزارة التعليم جيلا نجار: "إننا نركز خطابنا على الجهات والجمعيات التى ترغب فى تقديم العون. ونقبل التبرعات حتى لو كانت متمثلة فى أجهزة حاسب آلى مستعملة". تجدر الإشارة إلى أن بعض السلطات المحلية تطبق مبادرات شبيهة.

دراسة: اليهود فى القدس امتلكوا فى القرن التاسع عشر عبيداً فى بيوتهم

بقلم: عوفرى إيلاني
هاآرتس ٢٠٠٨/١/٩

ذات يوم من أيام عام ١٨٨٠، زار المصرف المقدسى حاييم أهارون فاليرو سوق البلدة القديمة. كانت القدس حينها مدينة صغيرة نصف سكانها من العرب والنصف الآخر يهود. كانت عائلة فاليرو تعتبر فى القرن التاسع عشر من العائلات العريقة والثرية فى أوساط اليهود السفارديم فى المدينة، واشتهرت فى الأساس بفضل إسهاماتها السخية فى تطوير المدينة وشراء الكثير من العقارات فى الضواحى الجديدة خارج أسوار المدينة.

ولكن رب الأسرة وجد فى السوق هذه المرة «ممتلكات» من نوع آخر: طفلة إفريقية ابنة التاسعة تم جلبها إلى فلسطين على ما يبدو من إثيوبيا بواسطة تجار الرقيق العرب الذين عرضوها للبيع كجارية. وجد فاليرو ضالته فى هذه الطفلة الإثيوبية كى ترعى أطفاله السبعة، وقام بشرائها.

تقول البروفيسور روت كيرك، أستاذة الجغرافيا بالجامعة العبرية، والتى بحثت فى تاريخ عائلة فاليرو: «كان هذا بعد وفاة زوجته، سمحا، إثر ولادتها لتوأم. ويبدو أن وفاة الزوجة هو ما دفعه إلى شراء الجارية، لأنه كان فى حاجة إلى أحد يساعده فى تربية الأطفال». وتقول كيرك إن أفراد الأسرة أطلقوا على الفتاة اسم «سارة لا بارتا» التى تعنى بلغة

اللادينو(*) «سارة السوداء».

ظهرت قصة الجارية سارة للمرة الأولى خلال المقابلات التى أجرتها كيرك فى إطار الإعداد لكتابها «عائلة فاليرو- سبعة أجيال فى القدس» والذى وضعته بالإشتراك مع الدكتور يوسف جيلس. ومؤخرا، أثير هذا الموضوع فى مقال نُشر فى الدورية العلمية « Jerusalem Quarterly». تقول كيرك: «الشىء الفريد هنا ليس فقط الشهادات التى تتحدث عن الجارية، وإنما أيضا أننا عرفنا تفاصيل عن تاريخ حياتها منذ شرائها وحتى وفاتها». وتوضح كيرك أنه لم يكن من المعروف قبل هذا الوقت أن اليهود كانوا يمتلكون عبيدا فى فلسطين تحت الحكم العثماني.

*** أدارت البيت ورعت الأبناء:**

من المعروف أن تجارة العبيد لاقت رواجا فى الإمبراطورية العثمانية خلال القرن التاسع عشر. وتقول كيرك إن معظم العبيد كان يتم جلبهم من إثيوبيا، والسودان، والسنغال، والقوقاز ومناطق آسيا الوسطى. وجزء كبير من العبيد الرجال كانوا يخدمون فى قصر السلطان وقصور الأشراف. وتستطرد كيرك قائلة: «لم نسمع عن يهود فى فلسطين كانوا يملكون عبيدا، ولكن يبدو أن العبودية كانت مقبولة فى أوساط النخب اليهودية فى القدس».

وتقول كيرك إن هذه القضية تعد دعامة أخرى لتوثيق تاريخ اليهود السفارديم الذين قادوا الاستيطان اليهودى فى القدس: «كان يوجد فى هذه العائلات السفاردية رجال نشطون طوروا القدس بشكل مذهل. كثير من أبناء عائلة فاليرو درسوا فى مدارس وجامعات فى الخارج وكان منهم أطباء وقضاة. غير أن أعمالهم نسيت ولم تحظ باعتراف تاريخي. فعلى النقيض من أبناء عائلة ريفلين، على سبيل المثال، لم يكتبوا مذكرات أو كتب، ولذلك لم يُعترف بإسهاماتهم. بل وتميل ذاكرة تاريخ الاستيطان بشكل غير متوازن لصالح مساهمات الأشكناز على حساب السفارديم».

لا تتوقف قصة سارة السوداء عند شرائها، فقد كبرت فى بيت عائلة فاليرو، واندمجت بالتدريج فى حياتهم الأسرية. تزوج حاييم أهارون بعد فترة من امرأة أخرى، ولكن سارة استمرت فى إدارة البيت ورعاية أبنائه، ولذلك كانت علاقتها بأفراد الأسرة قوية على نحو خاص. تقول كيرك: «هناك أوصاف لحاييم أهارون، وهو جالس مع زوجته وابنته فى شرفة منزله بشارع يافو، بينما سارة السوداء تقوم بخدمتهم وتحضر لهم الأكل والشرب».

*** سارة تصبح جزءاً من الأسرة:**

فى عام ١٨٨٩، تم تحرير كل العبيد فى الإمبراطورية العثمانية، ولكن سارة السوداء قررت البقاء مع الأسرة لرعاية الأبناء وتهودت، لدرجة أنها كانت تغطى رأسها على غرار المتدينات السفارديات من اليهود، كما أنها اعتادت الصلاة مع أبناء الأسرة.

تقول كيرك: «كانت تجلس فى المعبد التابع لعائلة فاليرو فى شارع يافو، وتتلو الصلوات وتقول آمين. إنها قصة غير مألوفة». بعد تحولها إلى اليهودية، قضت سارة بقية عمرها فى منزل الابن الأكبر لحاييم أهارون: يعقوف فاليرو.

لا توجد تفاصيل كثيرة عن حياتها، ولكن قصتها ظلت محفورة فى ذاكرة العائلة وتناقلتها الأجيال شفهياً. يروى المحامى أورين فاليرو، سليل العائلة، أنه سمع عن سارة منذ أن كان طفلا، ويقول: «لم يصل إلى جيلى الكثير من المعلومات عنها. لا توجد وثائق كثيرة، حتى إن اسم عائلتها غير معروف. ولكننا نعرف أن العائلة كانت تكن لها تقديرا كبيرا. كانت مدبرة للمنزل، ولكن الأبناء تعاملوا معها وكأنها أمهم. كانت بمثابة الأم فى البيت، خاصة بعد أن تهودت وأصبحت امرأة متدينة».

ويضيف أورين قائلا: «إنه أمر فريد أن تتحول فتاة من إثيوبيا جاءت للعمل كخادمة إلى شخصية رئيسية إلى هذا الحد فى الأسرة. أتذكر أنه فى منزل جدي، كانت هناك صورة فى حجرة المكتب لسارة السوداء مع أبي. لقد كانت جزءاً من الأسرة».

*** لا أحد يعرف مكان دفنها:**

وفقا لإحدى الروايات، توفيت سارة السوداء عن عمر يناهز السبعين عاما، فى مستشفى «بيكور حوليم» بالقدس. ومكان دفنها غير معروف إلى الآن. ويقال إن «ريا سارة فاليرو- اشكنازي»، المنتمية إلى العائلة، قد سُميت فى الغالب على اسمها. تقول ريا: «سمعت أننى سُميت على اسم سارة السوداء، لكننى لا أعرف قصصا عنها. الجيل السابق كان يعرف أكثر».

يظل السؤال عن الاسم الحقيقى لـ«سارة السوداء» بلا إجابة قاطعة حتى يومنا هذا، ولكن بحسب كيرك، هناك عنوان واحد قد يوفر لنا إجابة على هذا السؤال، وهو «معبد أسرة فاليرو فى شارع أوهيل موشيه، حيث يوجد شاهد رخامى مدون عليه أسماء أفراد العائلة، حيث نجد أن كل الأسماء المدونة على الشاهد أسماء عبرية وتحمل لقب عائلة فاليرو، باستثناء اسم واحد - نسخى بَت طاجي، التى تُوفيت عام ١٩٦٩. ليس من الواضح لمن هذا الاسم، ولكن يحتمل أنه اسم سارة. أبناء الأسرة لا يعرفون، ولكننى بدأت أفكر فى أنه اسمها الحقيقي- نسخى بت طاجي. إذا كانت هذه فعلا، فهذا يعنى أنها توفيت عن عمر يناهز الـ٩٩».

(*) اللادينو أو العبرية الاسبانية هى لغة تحتوى على الكثير من الكلمات المأخوذة من اللغتين الأسبانية والعبرية، استخدمها اليهود فى القرون الوسطى خلال وجودهم فى إسبانيا، وحملوها معهم إلى البلدان التى عاشوا فيها بعد ذلك. تكتب بواسطة الأبجدية العبرية.

حوار مع "أفيحاى أدرعي" المتحدث باسم الجيش الإسرائيلى باللغة العربية

بقلم: داني سبكتور
يديعوت أحرونوت ٣١/ ١٢/ ٢٠٠٨

فى مصعد أحد الاستوديوهات التابعة لقناة روسية فى تل أبيب، قابل النقيب أفيحاى درعى رجل الأعمال رعنان جيسين، المستشار المقرب لآريئيل شارون. كان أدرعى قد انتهى للتو من مقابلة مع القناة الإخبارية الروسية التى تبث باللغة العربية، بينما كان جيسين فى طريقه للأستوديو للظهور على شاشة نفس القناة ولكن ببثها الإنجليزي. كان القتال فى غزة هو موضوع المقابلتين.

قال جيسين لأدرعي: "أنت تقوم بعمل مهم للغاية. كل دقيقة لك على قناة الجزيرة تنتقص دقيقة من تحريضهم ضدنا. ينبغى أن نكون على الشاشة أكبر وقت ممكن، يجب أن يروننا ويسمعوننا ويتلقوا رسائلنا. منذ اندلاع الحرب، ليس لدى أدرعي، المسئول عن الإعلام العربى فى الجيش الإسرائيلي، دقيقة واحدة من الراحة. فهو يتنقل طوال الوقت بين القنوات الفضائية العربية ويواجه المذيعين المعادين مستخدما لغة عربية فصيحة وبلاغية تحفل بالأمثلة. ورغم أنه يكاد لا يكون معروفا فى إسرائيل، إلا أنه أصبح فى الآونة الأخيرة من الوجوه المألوفة فى العالم العربي.

يقول أدرعي: "أقيس شهرتى فى العالم العربى من خلال صفحتى على موقع الفيس بوك الإلكتروني، حيث أتلقى كل يوم عدداً هائلا من الدعوات من أناس فى كافة أنحاء العالم العربى لإضافتهم إلى قائمة الأصدقاء.

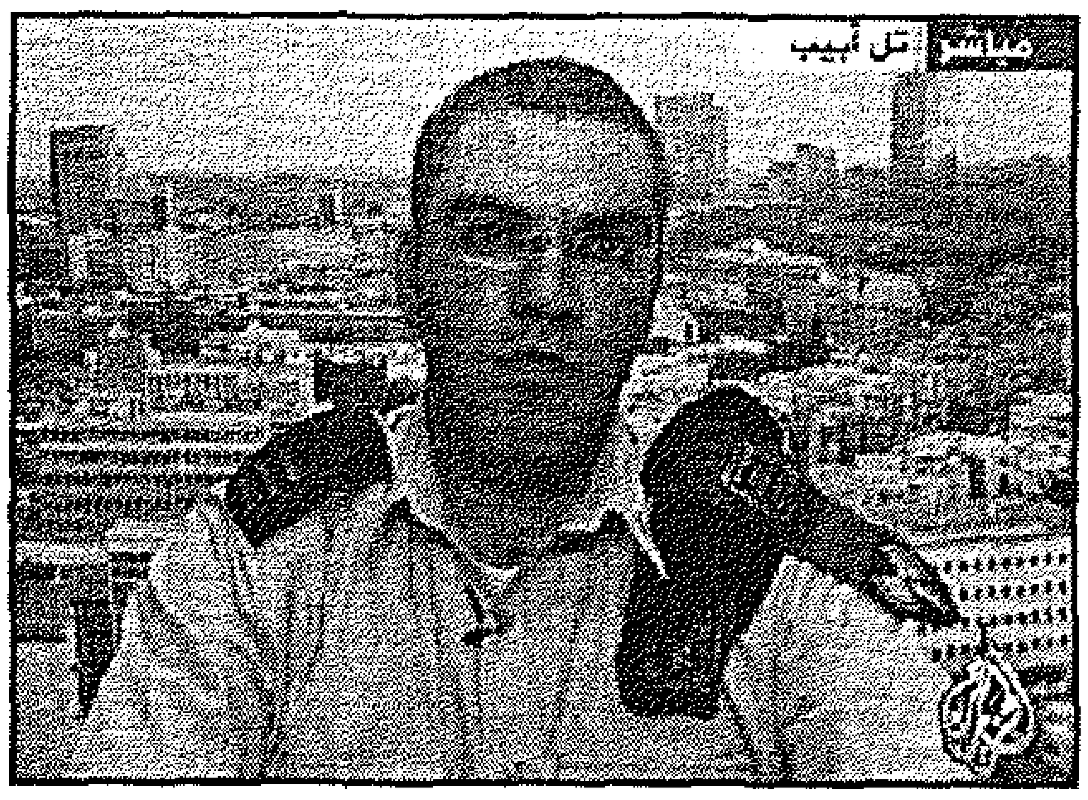

إنهم يروننى على الشاشة ويضيفوننى إلى قائمة الأصدقاء، رغم أننى أظهر فى صورتى على الفيس بوك بالزى العسكرى ومن خلفى علم إسرائيل. ذات مرة، وجدت فى صندوق البريد الوارد الخاص رسالة من كاتب بحرينى لم يستطع الاتصال بي، فراسلنى عبر البريد الإلكتروني".

ويضيف قائلا: "ذات مرة، أعدت الصحيفة الناطقة بلسان حركة الإخوان المسلمين فى مصر تقريرا من صفحتى على موقع الفيس بوك، وكيف أنه يجب إبعاد الشباب عن هذه الصفحة حتى لا أغسل أدمغتهم. أدركت بعد قراءتى للتقرير أن خوفهم يخفى وراءه فكرة وجيهة، وعلى الفور بدأت أضع على صفحتى فى الفيس بوك كل مقابلاتى مع وسائل الإعلام العربية، فربما أنجح أيضا فى الوصول إلى الشباب المصري".

فى منتصف الحوار، تلقى أدرعى اتصالا من وكالة أنباء "رامتان" فى غزة لإبلاغه بأن حماس قررت مقاطعة الوكالة. فقال أدرعى للمتصل: "إذن، قد يكون بمقدوركم الآن أن تقولوا رأيكم فيهم بصراحة..؟"، فرد عليه المتصل قائلا "لن نستطيع أبدا أن نقول رأينا بصراحة"، ثم انقطع الاتصال. يعود أدرعى ليحكى لنا عن بادرة طيبة التى صنعتها له "الجزيرة" أمس- القناة الأكثر شعبية فى العالم العربي. "أعدوا مادة

إعلانية أُذيعت طوال الوقت، حيث نرى فى البداية عنوانا كبيرا "غزة تحت النار"، ثم يُسمع صوتى وأنا أصرخ فى المذيعة: على البربريين الذين يطلقون الصواريخ أن يحترسوا، إذا كان هناك بيت يخبئون فيه صواريخ، إذن سنقصف البيت!. وبدورها، تصرخ مقدمة الأخبار فى وجهي، بينما تبدو فى الخلفية صور قتلى ويظهر عنوان: غزة تحت النار، مرة أخرى".

*** إذن، لقد أصبحت نجما:**

يقول أدرعى بابتسامة: "نعم، ولكن فقط بعد أن اتصل مشاهدون من شتى البلدان العربية بشبكة الجزيرة محتجين على ظهورى على شاشات القناة، وطلبوا عدم إذاعة هذه المادة الإعلانية، رضخ مسئولو القناة ولم يذيعوها، ولكن هذا لم يدم طويلا، حيث اتصلوا بى بعدها ببضع ساعات وطلبوا منى الظهور هذا المساء على شاشتهم. إنها مصلحة لنا ولهم أن أظهر على القناة. بطبيعة الحال، هم يطلبوننى فى الأوقات التى يستطيعون فيها إحراجي، وأنا أوافق على الذهاب لإظهار النجاحات التى قمنا بها. ولكنى أقول الحقيقة حتى عندما يكون الوضع محرجاً. أنا واجهة الجيش الإسرائيلى أمام الجمهور العربي، ولكنى فى النهاية لست إلا جزءا من منظومة متكاملة للمتحدثين باسم الجيش الإسرائيلى تعرف عملها وتقوم به جيدا".

بعد انتهاء حرب لبنان الثانية، تعرضت جميع وحدات الجيش الإسرائيلى لانتقادات لاذعة. وبدورها لم تنجو إدارة الإعلام بالجيش الإسرائيلى من النقد، حيث كان هناك من اتهم الناطقون بلسان الجيش بالمسئولية عن كشف معلومات حيوية لحزب الله من خلال وسائل الإعلام. فالمراسلون الإسرائيليون والأجانب كشفوا المواقع الدقيقة للوحدات العسكرية الإسرائيلية ومواقع سقوط الصورايخ، فيما استضافت نشرات الأخبار لواءات من الجيش الإسرائيلى شرحوا بالتفصيل تحركات الجيش أثناء المعارك، بل إن رئيس الأركان دان حالوتس- الذى كان يفترض به قيادة القتال- ظهر فى نشرات الأخبار الرئيسية بالتليفزيون الإسرائيلى بينما كانت الصواريخ تتساقط على البلدات الإسرائيلية.

الرائد أفيطال ليبوفيتش، المسئولة عن الإعلام الدولى فى إدارة الإعلام بالجيش الإسرائيلي، تتنقل بين الغرف التى يجلس فيها المراسلون الأجانب فى القدس، وتقول لهم: "فى الخامسة والنصف، سيعقد عميد من سلاح الجو لقاءً مع المراسلين الأجانب لإطلاعهم على الوضع". وعندما سألها مدير وكالة الأنباء الفرنسية ما إذا كان العميد من سلاح الجو سيجرى مقابلات صحفية بعد ذلك، أجابته بالنفي، فقال لها: "كل التقدير لكم، إنه تغيير إلى الأفضل. فى الحرب السابقة، جلس هنا قائد سلاح الجو فى منتصف الحرب وأجرى أحاديث صحفية معنا. الآن، ها هم يعملون أخيرا".

وبالفعل، هذا هو التغيير الذى يتحدثون عنه فى إدارة الإعلام بالجيش الإسرائيلي: قليل من الكلام، كثير من الفعل. وفى هذا الصدد، يقول عوفير كول، رئيس إدارة الإعلام فى الجيش الإسرائيلي: "يوجد أناس هنا جلسوا وفكروا فى الطريقة الصحيحة لتقديم الجيش الإسرائيلى للجمهور. بمعنى أنه إذا تطلب الأمر للحصول على نتائج عدم السماح للعسكريين بالكلام، فهذا ما سيكون. يهمنى أكثر أن يعتنى قائد الكتيبة بجنوده وليس بالمراسل الذى يرافقه فى الميدان. لقد تابعت الحرب الأخيرة كمواطن، وجلبت معى عند تعيينى فى هذا المنصب استنتاجاتى الخاصة. وكذلك آفى بنياهو، الناطق بلسان الجيش الإسرائيلي، جلب معه كل خبراته، وأرسينا معا هذا النظام الجديد".

وفى تلك الأثناء، يثير هذا النظام الجديد غضب الكثير من المراسلين، الأجانب والإسرائيليين على حد سواء. ومن أبرز أسباب هذا الغضب قرار حظر دخول الصحفيين إلى قطاع غزة، وإلى كثير من المستعمرات المحيطة بغزة والتى توجد بها حشود للقوات الإسرائيلية؛ وكذلك قرار الحظر على العسكريين فى الخدمة من إجراء مقابلات أو الإدلاء بأحاديث- باستثناء الناطقين بلسان الجيش الإسرائيلى وقيادة الجبهة الداخلية. وتوضح أفيطال ليبوفيتش قائلة: "لماذا نسمح للصحفيين بالدخول ونعرض بذلك حياة الجنود عند حاجز إيريز للخطر..؟ يكفى ما حدث لنا فى حرب لبنان الثانية عندما صور الصحفيون كل هدف يتحرك وقدموه لحزب الله".

يقول كول: "استبدلنا اللواءات العاملين بلواءات متقاعدين. كل اللواءات والمسئولين العسكريين السابقين الذين يظهرون على شاشات التليفزيون لا يتحدثون هباءً، فنحن نوجههم جميعا ونلتقى بهم كل مساء لكى نبلغهم بالرسائل المحددة التى نريد نقلها من خلالهم. فى تلك الأثناء، يبدو أن هناك من يعترض على طريقة عملنا، ولكننا تعلمنا من أخطائنا وهذا كاف بالنسبة لنا. نحن نتحدث بحرفية. لن تروا بعد الآن جنودا يبعثون بتحياتهم لأمهاتهم على شاشة التليفزيون".

فى إطار التغييرات التى طرأت على إدارة الإعلام بالجيش الإسرائيلي، تقرر نقل مقر إدارة الإعلام الدولى إلى مبنى المراسلين الأجانب فى القدس. وهناك يمكن أن نجد أفيطال ليبوفيتش، المسئولة عن الإدارة، تتنقل بين مكاتب المراسلين، وتجرى حديثا كل ساعة مع شبكة إخبارية، حيث تبدأ يومها بشبكة "سكاى نيوز" الأمريكية، وتنهيه بمقابلة توبيخية مع شبكة دولية "لم تغط الجانب الإسرائيلى بشكل كاف".

من جانبه، يقولَ العميد آفى بنياهو، المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي: "توليت مناصب كثيرة فى الدولة. فقد سبق أن عملت مستشارا لرئيس الوزراء ولوزير الدفاع، ورأيت مدى

أهمية الإعلام الدولي. لا يجب أن نهجر هذه الساحة. السفراء الأجانب فى إسرائيل يقرأون كل صباح صحيفة "جيروزاليم بوست" ويتابعون دائما الـCNN. إذا كانت إدارة الإعلام فى الجيش الإسرائيلى قد خصصت من قبل وقتا كبيرا للإعلام الإسرائيلي، فإننا نركز الآن على الإعلام الأوروبى كجزء من استراتيجيتنا الجديدة. إنه أمر مهم جدا".

وتقول ليبوفيتش: "أنشأ الجيش الإسرائيلى قناة على موقع يوتيوب الإلكترونى (You Tube) عرضنا فيها مثلا لقطات من الهجوم على شاحنة محملة بصواريخ جراد. حققت القناة نسب مشاهدة مرتفعة جدا، وباتت الآن فى المرتبة السادسة من حيث كثافة المشاهدة. أفكر الآن فى عرض ملخص للنشاطات اليومية للجيش الإسرائيلى فى هذه القناة. نحن نفعل ذلك بطريقة ذكية، بحيث أن أى كلمة بحث بالعربية ستقود المرء إلى هذه المقاطع".

**** الظهور الأول على الشاشة:**

اعتاد أدرعى منذ فترة طويلة على المراسلين، والصحفيين، ومقدمى الأخبار المعادين. فهذه مهنته، ويبدو أنه يكتسب منها الشجاعة. يقول أدرعي: "أخصص النهار للمحطات الإذاعية العربية، لأن أهالى غزة يستمعون فى هذه الأوقات للراديو. بدأت عملى اليوم فى الثامنة إلا خمس دقائق بحديث مع الإذاعة الإسرائيلية باللغة العربية؛ وفى الثامنة وعشر دقائق أدليت بحديث للإذاعة الفلسطينية فى رام الله؛ وبعد ذلك أدليت بحديث لراديو الـ"بي.بي.سي" باللغة العربية، الذى يعد الأكثر توازنا فى العالم العربي. لديهم موجات بث مفتوحة وأحيانا يستضيفونى عدة مرات فى برنامج واحد، ليس لديهم مشكلة فى ذلك. وبعد ذلك أذهب إلى تليفزيون الـ"بي.بي.سي" ثم راديو "مونت كارلو".

ولكن مع كل الاحترام للمحطات الإذاعية، لا تزال قناة الجزيرة القطرية هى الساحة الحقيقية والأهم بالنسبة لأدرعي، الذى يقول: "هم ليسوا من محبى إسرائيل، ولكن يجب الحديث معهم. تربطنى بمراسلى القناة علاقة شخصية، حيث أصبحنا شبه أصحاب".

لم يصل أدرعى إلى منصبه هذا بالصدفة، فقد استهوته اللغة العربية منذ أن بدأ يتعلمها فى مدرسة هرئيلى بحيفا. وعندما التحق بالجيش، انضم إلى سلاح المخابرات لإتقانه الكامل للعربية. ويقول: "فترة خدمتى كانت مثيرة على نحو خاص. بقيت خمس سنوات فى الخدمة الدائمة، إلى أن استُحدث هذا المنصب. استغرق الأمر عاما حتى أصل إلى منصبى هذا، ومنذ ذلك الحين وأنا فى سباق دائم مع نفسي".

*** هل تتذكر أول ظهور لك على الشاشة..؟**

- "توليت هذا المنصب قبل بضعة أيام من اختطاف جلعاد شاليط. فجأة انهالت على الاتصالات من غزة للاستفسار عما يحدث. سارعت إلى قناة الجزيرة وكنت حينها فى قمة النشوة. فى البداية، كنت أستعد طويلا قبل ظهورى على الشاشة، أما الآن فأنا أفعل ذلك بشكل تلقائي".

رغم العداء الشديد الذى يُقابل به أفيحاى أدرعى فى كل مرة يظهر فيها على الشاشة، إلا أن قواعد اللعبة تكون واضحة تماما حتى للمحاورين من الجانب الآخر الذين يحرصون على مراعاة قواعد الذوق واللياقة معه. يقول أدرعي: "هناك دول تُطلق علينا الكيان الصهيوني، ولكن عند استضافتى يقدموننى كمتحدث باسم الجيش الإسرائيلي. هم يعرفون أنهم إذا قدمونى كناطق باسم "جيش الاحتلال"، فإن العلاقة معى ستنتهى على الفور. كما أنهم يحرصون دائما على توديعى فى نهاية كل مقابلة، قائلين إلى اللقاء. صحيح أن هناك حوارات كثيرة ليست لطيفة. عندما تحدثت عبر إذاعة غزة فى اليوم الأول للعملية، كان السكان هناك تحت الهجوم، وكانت المشاعر هائجة، ولكننى أعرف دائما كيف أتعامل مع الوضع".

وبالفعل، لا يخجل أدرعى من أن يرفع صوته أو أن ينفجر غاضبا أو أن ينتقد بشدة الادعاءات الموجهة لإسرائيل، ويقول: "فى بداية الحديث أكون هادئا، ولكن عندما يشرعون فى الحديث عن القتلى وأكاذيب حماس، لا أتذلل وإنما أرد بقوة، مما يجعلهم عصبيين. مهمتى هى إقناع الناس فى الجانب الآخر. حتى لو أقنعت شخصا واحدا فى نهاية كل مقابلة، أكون بذلك قد نجحت. أذكرهم دائما بأننى منذ اليوم الأول للعملية حذرت كل من يخبئ فى بيته ناشطين من حماس بأن يغادر البيت فورا لأنه قد يتعرض للأذى. وأقول إن من رفض المغادرة وظل فى بيته، يكون هو المسئول ولا يجب إلقاء المسئولية علينا".

بالإضافة إلى النضال الذى يخوضه للرد على حملات التشهير الشعواء فى القنوات الفضائية العربية، يواجه درعى تحديا آخر يتمثل فى اللغة العربية، ويقول: "إنهم يحاولون دائما تعجيزى بأمثلة عربية فصيحة أو كلمات صعبة، وذلك لتشويشي. ولكننى أتركهم فى النهاية وعلامات التعجب على وجوههم. جميعهم هناك لا يصدقون أنى لست عربيا، وأن آبائى ولدوا فى إسرائيل".

*** ربما قد تجد لك أيضا عروسا عربية..؟**

- "لا. أشكرك. لدى صديقتى التى توجد الآن فى مرمى الصواريخ. لقد زارتنى بالأمس فى مكتبى لقضاء بعض الوقت معي، لأننى لا أستطيع أخذ إجازة. بعد أن تنقلنا بين القنوات، سألتنى إن كان بمقدورى العودة معها إلى البيت للاستراحة قليلا. قلت لها إنه لا يمكن، حيث أننى سأظهر بعد قليل فى برنامج حصاد اليوم الذى تقدمه قناة الجزيرة. أدركت حينها أننى لن أرتاح قبل انتهاء العملية. على الأقل، يشاهدنى والداها طوال الوقت ويفخران بى حقا".

حوار مع البروفيسور "زئيف شترينهل" الحاصل على جائزة إسرائيل

بقلم: أميرا لام
يديعوت أحرونوت ١٩/١٢/٢٠٠٨

قبل ثلاثة أشهر، فى ٢٥ سبتمبر، انفجرت عبوة ناسفة على مدخل منزل المؤرخ والحاصل على جائزة إسرائيل، البروفيسور زئيف شترينهل، بالقدس. وكانت العبوة قد انفجرت عندما قام شترينهل بفتح باب منزله ورغم إصابته الطفيفة، إلا أن العاصفة التى هبت كانت قوية. وقد اعتبر البعض أن رغبة مجموعة من الأشخاص فى المساس بشخص بسبب آرائه هى طعنة فى ظهر الديموقراطية. وارتعدت الأرض وسارعت الشرطة بفتح التحقيق. ومنذ ذلك الحين، جلس المحققون كثيراً فى الصالون المتواضع بمنزل شترينهل، وتناولوا الفطائر الصحية التى تعدها زوجته زيزا شترينهل وجمعوا أقوالاً كثيرة. ومع ذلك، فإن من وضع العبوة لازال طليقاً. ويقول البروفيسور شترينهل: "إنهم يبحثون فى مسار اليمين المتطرف. وحتى وقتنا هذا لم يتوصلوا لشيء. على أية حال، هذا ما قالته الشرطة. أعتقد أنهم لو كانوا يظنون أن العرب هم الذين فعلوا ذلك، لقبضوا عليهم منذ فترة، وتجارب السنوات الماضية توضح أنهم يقبضون على العرب بسهولة أكبر وأسرع مقارنة باليهود".

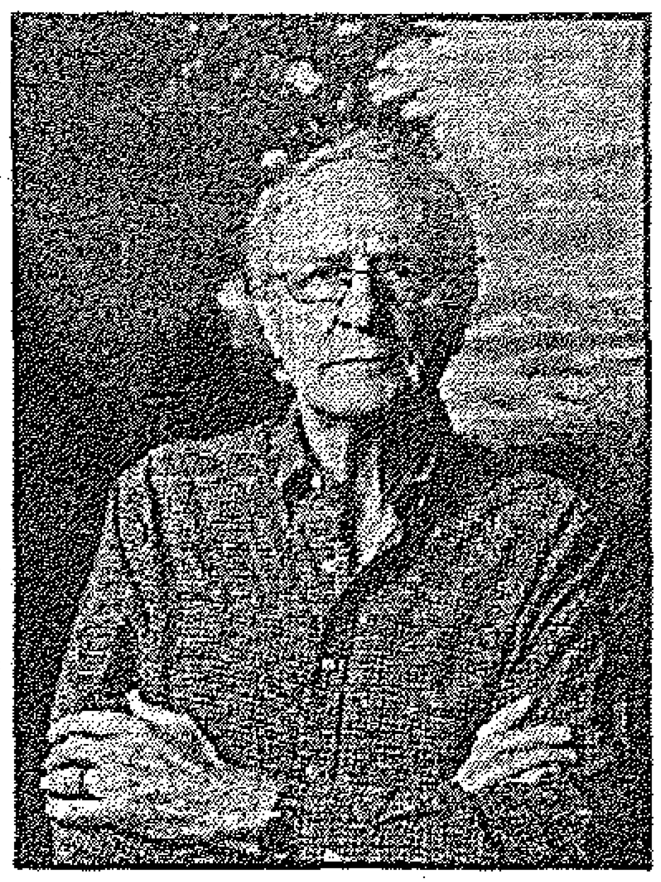

يعتبر زئيف شترينهل (٧٣ عاماً) صاحب آراء، واليوم أيضاً بعد العملية والإصابة فى ساقه، يقول آراءه بإصرار، بل وبإصرار أكبر. وهو متخصص فى الأساس فى مجال دراسات الفكر السياسى فى أوروبا فى القرن العشرين، وكان قد كشف آنذاك عن الجذور الفاشية لبعض عناصر اليمين الفرنسى، وهو ما أثار السخط عليه. وحينها، لم يتراجع عن آرائه بسبب هذا الغضب، أو بسبب الخوف.

فى السنوات الأخيرة، فى ظل تراجع القيادة الروحية لليسار، يكون هو المفكر الأخير الذى ظل على موقفه، آخر شيوخ القبيلة كما يقولون. وفى أحد اللقاءات معه فى منزله حضرت ابنته الدكتورة ياعيل شترينهل. وهى تقول: "اختيار هذا اليمين المتطرف لوالدى كهدف، يوضح انهيار الشخصيات والرموز فى اليسار. لم يعد لديهم من يهاجمونه".

كان من المفترض إجراء اللقاء بيننا بعد وقت قصير من التفجير فى منزله، ولكن تم تأجيله. فى البداية بسبب آلام الجرح، ثم الإنهاك الشديد، ثم موجة الزيارات القادمة من كل أنحاء العالم. ويقول شترينهل: "ركز كل الحضور على نقطة رئيسية: هل الديموقراطية الإسرائيلية تنهار..؟ الجميع سألني: كيف يمكن أن تصل إسرائيل إلى مثل هذا الوضع..؟ اندهش الناس كثيراً من هذه الواقعة، ودارت بيني وبينهم حوارات كثيرة، وكنت منهكاً بشدة. من جهة ثانية، شعرت أنني محاط بكثير من الناس: فقد حضر أصدقاء لم أشاهدهم منذ ٥٠ سنة، وتلاميذي، وأتذكر أن الدكتور مناحم بن ساسون، الأستاذ السابق بالجامعة العبرية، ورئيس اللجنة الدستورية بالكنيست، وكنا على خلاف فى الماضي، حضر على الفور إلى المستشفى وقبلنى على جبيني. هذه هى الردود التى تلقيتها، وأنا أشعر الآن فقط أننى بدأت أسترد قواي".

والآن، عندما أصبحنا بالتحديد بالقرب من مدخل المنزل بعد ترميمه، فى مكان انفجار العبوة عندما فتح شترينهل باب المنزل، سألته عما إذا كان جسمه يرتعد كلما أمسك بمقبض الباب. وهو يقول: "لا أحلم بكوابيس، لقد حدث ذلك وانتهى. إننى لا أخاف، لكننى لازلت أعتقد أن أحداً ما يمكنه أن يقوم بعمل إجرامى ضدي، كيفما يشاء. إننى لا أخشى، ولم أغير نهج حياتي. لكننى دائماً أخشى من حدوث شيء لزوجتى زيزا، وبناتي، وحفيداتي. ولذا فإننى لن أغفر أبداً لمن ارتكب هذه الفعلة. ليس لأنهم حاولوا المساس بي، وإنما لأنهم ربما كانوا سيضرون أحد أفراد عائلتى، وهذا هو أول أمر جال فى خاطرى عند حدوث ذلك".

*** حقا..؟ لم تشعر بالغضب أو الخوف..؟**

- "كلا. لم تكن أول فكرة تبادرت إلى ذهنى أنهم يحاولون قتلي، وإنما ربما كان أحد غيرى سيفتح هذا الباب. ربما فتحت الباب زوجتى زيزا أو ابنتى ياعيل. كانت ياعيل قد اصطحبتنا قبل ذلك بيوم من المطار، وكانت ترغب فى البقاء ليلة أخرى، ومن المحتمل أن تكون هى هناك، وأحيانا كانت تحضر ابنتى الكبيرة وتمكث معنا هى وحفيداتي، وهذا هو السبب فى قلقى

حتى الآن".

*** دعنا نعود إلى هذه اللحظات.**

- "حدث ذلك الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. خرجت لإغلاق الباب الخارجي لفناء المنزل. عندما فتحت باب الشقة وقع الانفجار، وعلى الفور شاهدت حبل يتدلى من مقبض الباب. وسرعان ما أدركت أن هذه عبوة ناسفة. ومن حسن حظي، أنني كنت قد عدت من باريس قبل ذلك بيوم وكانت الأمتعة لا تزال موضوعة بالقرب من الباب. وهذه الفوضى أنقذتني، لأنني لم أقترب إلى الباب مباشرة، بطبيعة الحال، وإنما خطوت بين الأمتعة وأصابت الشظايا أعلى ساقي اليمني، وإذا لم تكن هذه الأمتعة موجودة، كنت سأصاب في أسفل البطن وكانت الإصابة ستكون أكثر خطورة.

"سالت دماء كثيرة، لكنني أدركت أن هذا جرح غير خطير، وامتلأت الشقة بالدخان، وانقطعت الكهرباء. لقد مرت على لحظات أكثر صعوبة، وتعرضت لإصابات أخطر، ولم أفكر في الخوف، وفكرت في ضرورة العودة إلى ممارسة الحياة. وفي غضون ذلك حضر الجيران الذين سمعوا صوت الانفجار، وحضرت سيارات الشرطة والإسعاف وفرق الإطفاء. أخلوا المنزل وفحصوه".

*** ومنذ الوهلة الأولى كنت تعرف من وضع هذه العبوة؟**

- "كنت أدرك أن ذلك ليس أحد اليساريين، وكذلك ليس أحد طلابي، الذي ربما كان محبطاً من التقدير الذي منحته له. وقال يوسي بيلين في الكنيست إن عضوين من حركة "الحارس الفتى" هما اللذان قاما بذلك. وأنا أوافق على هذا الرأي. وأعتقد أنهم ينتمون لهذه المجموعة، التي شاهدنا مثلها في الأسابيع الأخيرة في الخليل.. فمن غيرهم يمكن أن يقوم بذلك..؟".

على مر سنوات، يرى شترينهل أن المستعمرات غير شرعية، وأن هناك اختلاف جوهري بين الأراضي التي احتلت سنة ١٩٤٨، وتلك التي احتلت سنة ١٩٦٧، وهو يرى أن الأراضي التي احتلت سنة ١٩٤٨ كانت ضرورية ولذا فهي شرعية، وأن الأراضي التي احتلت سنة ١٩٦٧ لم تكن ضرورية ولذا فهي غير شرعية.

قبل سبع سنوات كتب في أحد مقالاته يقول: "لو كان الفلسطينيون لديهم قدر من الذكاء، لركزوا نضالهم على المستعمرات، ولا يمسون النساء والأطفال، ويمتنعون عن الإطلاق على جيلو، وناحال عوز، وسديروت". وقد أثارت هذه التصريحات ردود فعل غاضبة حينها. وأوضح شترينهل أنه كان يقصد عموم السكان المدنيين وليس فقط الأطفال والنساء. وبعد أسبوع خفف من حدة تصريحاته وكتب يقول في أحد مقالاته: "صحيح أن المستعمرات كارثة تاريخية، إلا أنه يعيش بها حالياً بشر مضطرون لحماية أنفسهم". منذ ذلك الحين اعتدلت تصريحاته أكثر.

"يمكن الافتراض أيضا أن جائزة إسرائيل التى حصلت عليها في الاحتفالات بالعيد الستين للدولة كان لها دور. فقد اعتبروا أنها جائزة رسمية تمنح لإنسان يتحرش بهم، رغم أني فزت بالجائزة عن أعمالي العلمية في العلوم السياسية وليس عن كتاباتي الصحفية.

وهذا يعني أن هناك أناس لا يتورعون عن الإيذاء الجسدي لإنسان يعبر عن آراء لا يحبونها. هذا الأمر من أخطر الأمراض التى قد تصيب مجتمع ديموقراطي. يقول لي أعضاء في حركة "السلام الآن" إنهم لا يركبون سياراتهم قبل فحصها أولا".

*** هل فكرت يوما أن هذا قد يحدث لك..؟**

- "نعم، ولكن لم أكن أتوقع أن تصل الأمور إلى هذا الحد. فالعنف، الذى بات مسألة روتينية في المناطق الفلسطينية (يقصد بها المناطق التى احتلت سنة ١٩٦٧ ويعيش بها المستعمرون)، يتسلل إلى المجتمع الإسرائيلي. لقد تطورت في المناطق الفلسطينية ثقافة عنف تمارس في الأساس ضد العرب، وعند الضرورة تمارس أيضا ضد اليهود. أقول منذ سنين طويلة إن سلطة القانون انهارت في المناطق، وأن دولة إسرائيل تواجه في الحقيقة كيانين ذاتيين هناك: الكيان الفلسطيني والكيان الاستيطاني، ودولة إسرائيل لا تستطيع المساس بكل ما يتعلق بالكيان الاستيطاني، فمن الصعب جدا المساس باليهود".

*** ليس دائما. فحتى إذا قرروا، لا يكون من الممكن تطبيق القانون في المستعمرات، وانظر إلى ما حدث عند إخلاء "المنزل المتنازع عليه" في الخليل.**

- "كان هذا الإخلاء مفاجأة سارة بالنسبة لي. لم يكن الأمر بالخطورة التى توقعت أن يكون عليها. صحيح أنه كانت هناك صور لمستعمر يطلق النار على فلسطيني، ولكنها ليست المرة الأولى. لقد تم تضخيم هذا الحادث لأن أحداث الخليل كلها ضُخمت إعلاميا. لو حدثت واقعة إطلاق النار هذه في مكان آخر غير الخليل، لست متأكدا أنها كانت ستحظى بنفس الاهتمام. بصفة عامة، بات العنف هو طابع الحياة المألوف في المناطق الفلسطينية الآن، والخليل هى المثال الأبرز على هذا العنف منذ سنوات طويلة. فمنذ اللحظة الأولى، رأينا مدينة عربية كاملة تقع أسيرة في أيدى بضع أسر يهودية تحت حراسة دائمة من الجيش والشرطة".

**** أنا أيضا مذنب:**

اجتاز شتيرنهل في شبابه تغييرات كثيرة. فقد وُلد لأسرة ثرية في بولندا. فقد أسرته في أحداث النازي، ونجح في الهروب من بولندا بواسطة قطار للصليب الأحمر نقله إلى

فرنسا، وهو يقول دائما إنه عاد من فرنسا ليكون يهوديا، وعندما هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٥١ عاد ليكون إنسانا.

*** لقد مررت بأحداث النازى وأنت طفل، وهربت من النازيين، وشاركت فى ثلاث حروب فى إسرائيل، كيف تشعر وأنت ترى أن يهوداً من أبناء جلدتك هم تحديدا الذين يتعرضون لك بالأذى..؟**

- "أحد أصدقائى قال لي: لقد فعل اليهود فيك ما لم يفعله المصريون. ليس هذا أبدا المشروع الصهيونى الذى حلمنا به، ولكننى أحمل نفسى وجيلى كله المسئولية عن ذلك. فنحن الذين سمحنا بحدوث ذلك. لقد كنا الجيل التالى لمن أقاموا الدولة وخاضوا حرب التحرير (١٩٤٨)، وقد نجحنا فى كل شئ ما عدا أمر واحد، وهو أن نضمن المستقبل. نجحنا فى كل المجالات التى تخصصنا فيها، وبنينا دولة من شأن أى دولة جديدة أن تحتذى بها. ولكننا لم ننجح فى ضمان المستقبل، لأننا سمحنا بنمو المستعمرات بشكل سرطاني. كنا نعرف أن المستعمرات كارثة ومع ذلك لم نمنعها. أعتقد أن جيلنا اهتم بنفسه أكثر من اهتمامه بالمجتمع".

"نحن نسير الآن على حبل دقيق: ليس لأن لدينا أعداء فى العالم العربى أو لأن لدينا إيران، وإنما لأننا أوجدنا هنا حياة هشة. يخالجنى منذ سنوات شعور بأننا فقدنا شيئا أساسيا بداخلنا. لقد انحرفت السفينة فى البحر، وليس مؤكدا أن بها ربان أو حتى بوصلة. لست متأكدا أننا نعرف وجهتنا، ولكننا نبحر. ورغم ذلك، لن أغادر هذه السفينة أبدا، وأتمنى أيضا ألا تغادرها بناتى وأحفادي، وإن كنت لا أعرف ماذا سيكون مصيرها".

*** هل تشعر بالخوف على وجود إسرائيل..؟**

- "عندما يسألونى ما إذا كانت دولة إسرائيل ستظل قائمة لمائة سنة أخرى، أقول إننى أتمنى ذلك. ولكن إذا وضعت أمام عينى كل الاعتبارات الموضوعية، فلا يمكن القول إننى متأكد تماما. أخشى مما يحدث فى الداخل. الاستيطان كظاهرة تاريخية هو الخطر الأكبر على الدولة. المناطق الفلسطينية ستدمر دولة إسرائيل. أعتقد أنه إذا دمر أحد الصهيونية، فسيكون المستعمرين وليس العرب".

*** ما الذى يجعلك تعتقد ذلك..؟**

- "لأنهم يخلقون وضعا سيكون من المستحيل فى ظله الانفصال عن الفلسطينيين، وحينها سيخلقون بأيديهم دولة ثنائية القومية، وهو الأمر الأسوأ. ستصبح الحياة جحيم. إنه الرعب والإبادة. لا أريد التفكير فى أن مصير أحفادى أو أحفاد أحفادى سيكون كمصير آبائي".

*** لنعد إلى القنبلة التى ألقيت على أعتاب منزلك. ما العقوبة التى كنت تحكم بها على من وضعوها..؟**

- "عندما يُلقون القبض على من فعلوا ذلك، يجب التعامل معهم كما يتعاملون مع المخربين العرب. يجب تطبيق القانون بنفس الشكل على الجميع. لقد بدأ انهيار جمهورية فايمار (*) فى ألمانيا عندما كان يُحكم على شيوعى ارتكب جريمة ما لثلاث أو خمس سنوات مثلا، فيما يُحكم على نازى ارتكب نفس الجريمة بثلاثة أو خمسة أسابيع. لقد كانت هذه بداية النهاية، ويجب أن نتعلم الدرس من ذلك. القانون يجبٍ أن يكون واحدا على الجميع. حذارى أن يكون لدينا مشرعو قوانين، واحد للعرب والآخر لليهود".

*** يبدو من كلامك أنه يجب هدم منزل اليهودى الذى اعتدى على عربي، كما يحدث مع العربى الذى يعتدى على يهودي..؟**

- "أنا لا أرى أنه يجب هدم المنازل من الأساس، سواء للعرب أو اليهود. إنه قانون وحشى ورثناه من أيام الانتداب البريطاني- هدم منزل أسرة كاملة لأن أحد أفرادها ارتكب جريمة. هل فى تل أبيب يهدمون منزل أسرة كاملة ويشردونها فى الشارع لأن أحد أفرادها ارتكب جريمة..؟".

**** اليسار فى إسرائيل خاو:**

السياسة وصراعاتها ليستّ بغريبة عن شتيرنهل، فقد انضم فى عام ١٩٧٧ إلى حزب العمل مع مجموعة من المثقفين أطلقت على نفسها اسم "مجموعة الـ٧٧"، بهدف إعادة ترميم حزب العمل بعد خسارته التاريخية أمام حزب الليكود فى انتخابات عام ١٩٧٧، وتحوله إلى حزب معارضة. يقول شتيرنهل عن هذه التجربة: "كان هذا درسا قاسيا لى فى السياسة، حيث أقسمت بعدها على عدم الانضمام إلى أى تنظيم سياسي، حيث اتضح لى أننى لا أفهم الآليات العقلية لمحترفى هذا المجال".

فى تلك الفترة فهم شتيرنهل أيضا آليات الهدم الذاتى فى حزب العمل: "عند انضمامنا، وجدنا حزبا فى صدمة، فقد كانت المرة الأولى التى يفقدون فيها السلطة. كانوا يبدون لى كالضائعين، كأسماك أخرجوها من الماء. تصورنا حينها أن الحزب فى حاجة إلى دورتين أو ثلاث دورات كنيست، أى نحو ١٢ عاما، لترميم نفسه من جديد. قلنا: الوضع مفزع، والحزب خاو من الناحية الأيديولوجية. أردنا تحويل الحزب إلى مركز أيديولوجي، ولكن ذلك لم يجد. بالنسبة للحزب، كان كافيا لهم أن هناك إدارة وسيارة خاصة لآبا إيبان.

"قدامى رجال الحزب لم يكونوا على استعداد للجلوس فى مقاعد المعارضة. طلبنى جاد يعقوفى للحديث على انفراد وقال لي: أنتم تتحدثون عن بناء الحزب فى ١٠-١٢ عاما، فهل تعتقد أن بيريس ورابين سينتظران كل هذا الوقت حتى تنتهوا من إعادة ترميم الحزب..؟ هل لديهما وقت لذلك..؟ لم أفهم حينها أن هؤلاء الأشخاص لا يستطيعون الجلوس فى مقاعد المعارضة. إخراجهم من السلطة كالحكم عليهم

بالموت.

"هذه العقدة لا تزال تلازمهم حتى اليوم. حزب العمل اليوم يعانى من تآكل ثقافي، وفقد هويته منذ سنوات عديدة وليس لديه أهداف اجتماعية، ولا يمتلك أساساً رؤية اقتصادية- اجتماعية متميزة، التى يجب على أى حزب يسارى اجتماعى ديموقراطى أن يحملها. لديهم سياسة فى القضية الفلسطينية، ولكنها لا تختلف عن سياسة حزب كاديما، وهكذا لا يوجد اليوم ما يميز الحزب.

"بوجه عام، يعانى اليسار الإسرائيلى من فراغ ثقافي. الهدف الرئيسى لليسار فى أى مكان منظم فى هذا العالم هو تغيير وجه المجتمع: وهذا ليس معناه الاعتراف بشرعية الرأسمالية. اليسار ليس الموافقة على الفجوات الاجتماعية كتلك السائدة لدينا الآن. اليسار ليس الموافقة على أن يكون طفلاً بين كل ثلاثة أطفال جائعاً. اليسار ليس الخوف من مصطلح الاشتراكية، والاشتراكية الديموقراطية، مثلما يخافون هنا، لأنهم غير قادرين على الصمود أمام الديماجوجية اليمينية، التى تقول إن الاشتراكية هى عودة إلى حقبة الخمسينيات".

"لقد عدت للتو من أمريكا. هناك أيضاً قالوا عن أوباما إنه يريد العودة إلى الحقبة الستالينية. ولكن ذلك لم يردعه عن نيته. لم يكن لدى حزب العمل قط الجرأة على الوقوف فى جبهة واضحة وأن يقول كلام واضح. لقد اهتموا بزيادة هذه المخصصات أو تلك، بدلاً من المساس بمسألة ما إذا كان يجب عليهم التسليم بالرأسمالية، أم أنهم يرون أن هناك حاجة لتغيير ورقابة ووجود من جانب الدولة. حتى فى ظل تلك الأزمة الاقتصادية، اليسار هنا غير قادر على أن يقول الكلام الذى يقولونه فى أوروبا وأمريكا، والذى فحواه أن الدولة يجب أن تتدخل بشكل كبير فى كافة قطاعات الأنشطة الاقتصادية- الاجتماعية. هناك من يجب أن يقوم بهذا الدور وأن يكون بمثابة الدرع للجمهور، وأن يهتم بمن لا يستطيع الدفاع عن نفسه، وهذا هو دور الحزب الاشتراكي- الديموقراطي. حزب العمل بشكله الحالى لا يقوم بدور حزب اليسار، ولا حتى بدور الحزب المعتدل، ومن لا يقوم بدوره ليس له الحق فى الوجود".

*** هل تعتقد أنه يجب تفكيك حزب العمل..؟**

- "نعم. أعتقد أن اليمين الاجتماعى لحزب العمل يجب أن يندمج فى حزب كاديما. واليسار الاشتراكي- الاقتصادى لحزب العمل يجب أن يندمج فى ميريتس وأن يقيم معه حزب اليسار الاشتراكى الديموقراطى الذى نحتاجه دون الخوف من هذا المصطلح".

*** هل تستبعد إمكانية نجاح باراك فى إعادة ترميم الحزب..؟**

- "لن ينجح. طوال ٣٠ عاماً والحزب فى حالة تدهور، والآن وصل لنقطة الانحدار التدريجى إلى اليمين. كان يجب على باراك المضى قدماً نحو المعارضة وبناء الحزب، ومحاربة تلك السياسة الاقتصادية الغاشمة، ولكنه لم ولن يفعل".

**** أوهمنا أنفسنا:**

*** كيف تفسر أن يحظى الليكود خلال فترة اقتصادية صعبة بتأييد جارف كهذا، حتى من جانب الطبقات الاجتماعية الفقيرة والمهمشة..؟**

- "هذه إحدى نقاط ضعف السياسة الإسرائيلية. باسم الشعور بالوطنية يحشدون الطبقات الاجتماعية المضطهدة للتصويت لصالح من سيجعلونهم أكثر تعرضاً للاضطهاد. إن الطبقات الاجتماعية الدنيا فى حاجة لتعويض عن النظرة الدونية التى يتعرضون لها، والتعويض يأتى باللعب على أوتار الهوية القومية لتلك الطبقات. هذا نهج كلاسيكى تتبعه أحزاب اليمين".

"لقد نجحوا فى إقناع الكثيرين جداً بأن الاقتصاد الرأسمالى يضمن حريتهم، لأنه عندما لا تتدخل الدولة فإنها تمنحهم المزيد من الحرية. هذا فى الوقت الذى تكون فيه تلك الطبقات الفقيرة والمهمشة فعلاً فى حاجة لمزيد من التدخل من جانب الدولة فى مجال التعليم والصحة، اللذين لا يستطيعان توفيرهما بأنفسهم. هذا هو ستار الدخان الذى يجيد اليمين بسطه، والناس مثل السمك الذى يقع فى الشبكة. هذا ما يفعله الليكود الآن بنجاح، ولا يوجد حزب اشتراكى ديموقراطى فى المعارضة ليقول إن ما يحدث هنا الآن فى المجال الاقتصادى حدث بفعل فاعل".

"اليمين يوفر للإسرائيلى الصغير، مثل الرجل الأبيض الصغير فى جنوب الولايات المتحدة، الشعور بالتفوق على الفلسطينيين. ويوفر له دولة إسرائيل العظمى والقوية، وكأنها فعلاً كذلك، وأن هذا الإسرائيلى الصغير هو الذى يحمل على عاتقه تلك العزة القومية. ولذلك، فإنه لا يلتفت إلى ما يفعلونه بمدخراته وما يفعلونه بصندوق معاشه".

*** هل اندهشت من القائمة التى طرحها الليكود بعد الانتخابات التمهيدية..؟**

- "لقد أوهمنا أنفسنا بأن المجتمع الإسرائيلى تحرك كله نحو الوسط أو اليسار الوسط. لكن الحقيقة أن المجتمع منقسم، واليمين هو اليمين، وهذا انتصار خالص لليمين. لقد قال ناخبوهم كلمتهم، والليكود هو نفس الليكود. من انسحبوا منه انسحبوا، ومن لم ينسحبوا تراجعوا إلى ١٢ مقعداً، وقاموا بترميم أنفسهم، وقدموا وجههم الحقيقي، وهو الوجه الحقيقى لليمين الراديكالى المتعنت.. اليمين الخالص. حتى عندما يتحدثون بصورة أكثر حكمة من موشيه فيجلين، فإنهم يعبرون أيضاً عن الليكود وعن الحزب الذى يمثلونه. إنهم لا يريدون إنهاء الحرب، لأن الأرض والمناطق أكثر أهمية بالنسبة

لهم من السلام. ثمة شيء لن ينجح فى إخفاء هذه الحقيقة، ولا حتى الوجه الحسن والطلعة البهية لدان مريدور".

*** ونتنياهو..؟**

– "أعتقد أن نتنياهو يعبر عن اليمين الخالص. هذا هو اليمين الحقيقي. هذا هو الاقتصاد الرأسمالي. ديماجوجية اجتماعية دون أى مواراة. والادعاء بأن سياسته تؤدى إلى التنمية وتخلق فرص عمل، وبهذه الطريقة يتحسن الوضع الاقتصادى للجميع، ليس إلا ديماجوجية. وعندما يقول للناس: انظروا، سوف أحرركم من تدخل الدولة ومن تحكم المستدروت ومن النقابات المهنية التى تقيد حريتكم، وسأعطيكم الحرية- هناك من يصدقون ذلك. الكثيرون لا يدركون الكذب وراء ذلك. ولن يحزننى شيء أكثر من انتخاب بيبى رئيساً للوزراء".

*** حسنا، من تبقى..؟**

– "عموماً، نحن نواجه اليوم أزمة زعامة طاحنة. صحيح أن تسيبى ليفنى امرأة لطيفة وموهوبة، وربما تصبح زعيمة رائدة، ولكنها حتى الآن لم تثبت ذلك. لقد حسدت الولايات المتحدة على انتخابها لأوباما، وإننى لا أرى كيف سنفعل ذلك هنا مرة أخرى".

*** ولا نرى أيضاً اليسار، ولا نراك أنت ورفاقك، تحاولون فعل ذلك هنا مرة أخرى.**

– "المثقفون منطوون على أنفسهم، وإن كان هناك شعور بأننا كنا فعلاً فى هذا المعترك، وأننا فعلا حاولنا وفعلنا. ولقد حسم أمرنا. فصعوبة الاقتحام، وصعوبة الطريق إلى الإقناع، استطاعا حسم أمرنا. إننى أوافق وأعترف بأننا لا نفعل ولم نفعل ما كان يجب علينا فعله. إننى لا أحاول شد أزر غيري، ولكننى لا أهتم إلا بنفسي".

"الشعور بأن ما لن تفعله لن يحدث- جعلنا نتجمد فى أماكننا. وهذا يؤسفنى بشدة. أنا وأبناء جيلي، أناس بيننا الكثير من الموهوبين.. كلنا مجتمعين لم ننجح فى فعل شيء حقيقي، وهذه هى الحقيقة".

*** هذا يبدو كالحنين إلى الماضي.**

– "ما أحن إليه فعلاً هو هذا الشعور بالتفاؤل الذى كان لدينا، بأن الحياة فى الغد ستكون أفضل من اليوم. فاليوم ليس لدينا أى ثقة فى أن الغد سيكون أفضل. بل على العكس، إن لم يكن الغد أسوأ، سيكون هذا إنجازا فى حد ذاته".

(*) جمهورية فايمار هو الاسم الذى أطلق على الحكومة الألمانية فى الفترة بين أعوام ١٩١٩-١٩٣٣، وعرفت تحولا من الحكم الديموقراطى إلى الحكم الاستبدادي.. كان على هذه الجمهورية التخلص من القيود والشروط التى وضعتها معاهدة فرساي، والتى أدت إلى ظروف اقتصادية صعبة. كل هذه الظروف أوجدت المناخ اللازم لوصول أدولف هتلر للسلطة مع حلول سنة ١٩٣٣.

أول حوار مع رئيس بنك هابوعليم "دانى دنكنر":

"هناك ما يمكن فعله ضد الركود"

بقلم: سيفر بلوتسكر
يديعوت أحرونوت ١٩/١٢/٢٠٠٨

هناك لعنة صينية قديمة تقول "ليتك تعيش فى أزمنة غابرة". اضطر دانى دنكنر، رئيس بنك هابوعليم، للتعاطى مع هذه المقولة يومياً، منذ توليه المنصب قبل عام ونصف العام (بعد الإقصاء المفاجئ والمشين للرئيس السابق شلومو نحما). فالكيان المالى حوله هائج ومتقلب، والخسائر والانهيارات تبلغ مئات المليارات من الدولارات والبنوك فى المواجهة. ويقول دنكنر: "فى الحقيقة أننى مررت بعام ونصف العام أسطوري. كنت سأسعد لو سارت الأمور بصورة أخرى، ولكنى لا أشتكي، كما أشعر بالرضاء أيضا، وكل ساعة أحضرت فى جعبتها حدثاً جديداً، يتطلب تدخلاً جديداً وفورياً".

*** دعنا نعود مجدداً، بعد إذنك، إلى الدروس المستفادة من الأزمة. وسأسألك مباشرة: كم عدد العاملين الذين سيقيلهم بنك هابوعليم العام القادم..؟**

– "تعهدت ألا يقيل بنك هابوعليم أى عامل، وسوف ألتزم بتعهدي: لا يعتزم بنك هابوعليم إقالة عمال فى إسرائيل. على العكس لدينا خطط للتطوير والتوسع. من المحتمل أن نضطر لنقل عامل أو عاملة من مكانه إلى مكان آخر، ولكننا

لن نقيل أحد. ستكون هناك فرصة عمل للجميع. هكذا أتفهم مسئوليتنا تجاه المجتمع".

*** هذه بشرى مهمة.. ويبدو أنها تمت بالتنسيق مع صاحبة حق الإدارة بالبنك السيدة شيرى أريسون.**

- "بالطبع. لقد سبقتنا أريسون فى التوقعات بالأزمة. عندما - أقصد الخبراء المصرفيين المتخصصين - كنا لازلنا نتحدث عن أزمة بسيطة ستنتهى خلال شهرين أو ثلاثة، حذرتنا أريسون من عمقها وقوتها وحجمها. وقالت: سيتغير العالم الاقتصادى وسيؤثر على الجميع. لقد أسهمت أريسون كثيراً لبنك هابوعليم. فهى قاطعة، وواضحة فى رغباتها.

*** هل أفلست الرأسمالية..؟ ألم تسقط ولاية وول ستريت..؟**

- "لا شك أنه يجب إجراء وإعادة دراسة للأسلوب الرأسمالى العالمي. فالعيوب التى ظهرت به كبيرة بحيث لا يمكن أن يستمر حسب صورته القديمة. وانساق الكثير من الأشخاص وراء المضاربات غير العقلانية. وبعد انتهاء الأزمة، على أطلال النظام القديم، سيقوم نظام اقتصادى ومالى جديد. أفترض سنشاهد فى جزء منه رغبة أقل بكثير فى المخاطر المالية الكبيرة".

*** بعد انتهاء الأزمة..؟ متى سنرى هذه النهاية..؟**

- "خطورة الأزمة الحالية تفوق كل خبراتنا منذ عشرات السنين. الأسواق المالية تعبر عن مؤشر سلبى وانخفاض أسعار متواصل. من المتوقع أن ينكمش الاقتصاد الأمريكي. والاقتصاد الأوروبى فى تراجع. وحسب قسم الاقتصاد فى بنك هابوعليم، سينمو الاقتصاد الإسرائيلى فى العام القادم بصعوبة بنسبة ١٪، وسيحدث تحسن طفيف فقط فى عام ٢٠١٠".

*** هل هناك ما يمكن فعله إزاء هذا الجمود..؟**

- "من المؤكد. إننى أنتظر من الحكومة الإسرائيلية أن تطبق سياسة مناهضة للجمود أكثر فاعلية وشمولا من تلك المطروحة حالياً. ما حصلنا عليه فى الأسابيع الأخيرة لم تكن خطة اقتصادية كاملة وإنما عمليات غير منظمة.. القليل جدا وفى وقت متأخر جداً. أحياناً تكون الحلول الجزئية متناقضة، وأحياناً غير قابلة للتنفيذ. والجهة الوحيدة الرسمية التى تقوم بعملها بإخلاص هى بنك إسرائيل المشرف على البنوك".

*** تلقيت دورة مكثفة لعلاج الأزمات. ماذا تعلمت..؟**

- "تعلمت أهمية الوقت. خلال الأزمة لا يوجد الوقت الكافى للجلوس مكتوف الأيدى وانتظار إيجاد الحل المثالى للمشكلة المشتعلة هنا. يجب اتخاذ قرارات ليست بالأفضل - ولكن يمكن تنفيذها على الفور. ومن يتأخر فى قراراته، يدفع الثمن أضعاف مضاعفة فى النهاية. ومن على استعداد للعمل، يظل ويحقق مكاسب أيضاً. لقد اطلعت عن قرب على سقوط بنك الاستثمارات الأمريكى ليمان براذرز. قبل انهياره كان أمام إدارة البنك فرص كثيرة، إما البيع، أو الدمج، أو جمع رءوس أموال، إلا أن هذه المقترحات لم تكن كافية فى نظر الإدارة المسئولة".

*** لقد انتظروا طويلاً، غير أن الأيام المقبلة كانت أسوأ.**

- "بالضبط. بسبب التردد وعدم الاستعداد لاتخاذ قرارات محل خلاف، قاد بنك ليمان براذرز نفسه إلى الإفلاس. إذا كان ينبغى القيام بأمور لا بديل عنها، فلم الانتظار حتى النهاية..؟".

*** قبل شهور معدودة طرحت على إدارة البنك قراراً ببيع كل مخزون السندات المالية الأمريكية. وقد حقق البنك بسببها خسائر كبيرة. لقد خضت معركة قوية داخل الإدارة وشعرت بسوء عند عرض تقرير الأرباح والخسائر. ماذا كان سيحدث لو قمتم ببيع هذه السندات فى حينها..؟**

- "لو رغبنا حالياً فى بيع هذه السندات، كنا سنخسر مليارات أخرى من الدولارات. هذا هو الثمن الذى كنا سندفعه نظير التهرب من اتخاذ قرار مؤلم. فى حينها كنا سنكون البنك الوحيد الذى باع كل الاستثمارات الشائكة، ومن الواضح أننا تصرفنا بصورة جيدة. لقد تفاجأت من أننا - كما هو حال الجهاز المصرفى بالكامل - لم يكن لدينا تفاهم كامل ومتعمق للمخاطر المرتبطة بهذه السندات. واضطررنا للاعتماد على تصنيف شركات تصنيف الائتمان".

*** وبعد فوات الأوان اتضح أنها مخطئة تماماً.**

- "صحيح، فقد ظهرت هذا العام بوضوح إخفاقات شركات تصنيف الائتمان. لم يعد بالإمكان الاعتماد عليها".

*** تضررتم من واقعة الاحتيال التى قام بها برنارد مادوف فى نيويورك..؟**

- "لم يكن بنك هابوعليم يودع أى سنت لدى رئيس مجلس إدارة بورصة ناسداك برنارد مادوف.. ولم نستثمر فى الصناديق التابعة له، ولكن تضرر عدد قليل من عملائنا. ونحن كبنك نتبع سياسة استثمارية حذرة للغاية، ونودع فائض بنك هابوعليم من العملات الأجنبية فى البنوك الأجنبية ذات الضمانات الحكومية، أو فى بنك إسرائيل. وقد قلصنا المخاطر للحد الأدنى. قبل عام أو عامين كانت بعض البنوك الأجنبية تنظر إلينا نظرة استعلاء، والآن الأدوار تبدلت. فهم ينظرون إلينا بغيرة ويمتدحوننا".

*** هل هناك مخاوف لانهيار أى بنك تجارى فى إسرائيل..؟**

- "سأجيب عليك بصفتى رئيس اتحاد البنوك: الجهاز المصرفى الإسرائيلى قوى للغاية ومستقر، ولذا فإننى لا أعتبر أن هناك خطراً فعلياً لانهيار بنك إسرائيل. فالسيولة المالية فى البنوك الإسرائيلية كبيرة، كما أن النسبة بين رأس المال المستقل والأصول كبيرة أيضاً، خاصة عندما نأخذ فى الاعتبار رأس

المال المستقل الحقيقي، وحجم الأصول الحقيقي. فعلى سبيل المثال، فى الولايات المتحدة، اعتادوا ضم شهرة البنوك لرأس ماله المستقل، وعدم ضم الشركات والاستثمارات التى لا تدخل ضمن الميزانية العمومية لأصول البنوك. وكنتيجة لذلك كانت مدى ملاءمة رؤوس أموال البنوك الأمريكية جيدة - ولكن على الورق فقط. مثل هذه الأساليب المرفوضة وشبيهاتها غير معروفة لدينا. ونحن أكثر حصانة: فالجهاز المصرفى الإسرائيلى اجتاز بسلام أزمات كثيرة وتعلم الدروس.. امتنعنا عن منح قروض نظير ضمانات خارج إسرائيل".

*** طالما أن وضع البنوك جيد هكذا، لماذا تباع أسهمها بأسعار زهيدة..؟**

- "ليس لدى تفسير معقول لأسعار أسهم البنوك فى إسرائيل. فهذا رد فعل مبالغ فيه من جانب السوق على الأحداث العالمية".

*** ليست صناديق التقاعد وحدها، وإنما يمول بنك هابوعليم معاملات الأقطاب الإسرائيلية الستة، خاصة قطاع العقارات. إذا سقط أحدها، ستجدون أنفسكم أصحاب مشروعات بناء ضخمة فى موسكو، أو فيتنام أو نيبال.**

- "دعنى أخيب تصورك: بنك هابوعليم لم يكن مسئولاً عن مركز مشتريات فى موسكو أو فى أى مكان آخر فى العالم. لم يمول بنك هابوعليم أى صفقة عقارية خارج إسرائيل، وهذه كانت سياستنا - لم نمول أى مشروعات بناء خارج إسرائيل. مولنا مشروعات فى إسرائيل، وحصلنا على ضمانات فى إسرائيل. نحن نقف على أرض صلبة فى هذا الصدد. كما قلت لك، البنوك كانت حذرة. فى المقابل، فإن القروض غير المصرفية هى التى مولت بالفعل صفقات عقارية فى الخارج، ولذلك تم جمع عشرات المليارات من الشيكلات فى صورة سندات مالية متداولة وغير متداولة".

*** "جمعوا" هذه كلمة بهدف التجميل. من قدم الأموال لهذه الأقطاب للاستثمار فى مشروعات عالمية هم صغار المدخرين فى صناديق التقاعد، وصناديق استكمال الدراسة، وصناديق التقاعد الجديدة.**

- "عقب الإصلاحات التى أوصت بها لجنة بيخر أقر القانون إخراج مدخرات الجمهور المالية طويلة الأمد من سلطة البنوك، ونقلها إلى جهات غير مصرفية. هذه الجهات - صناديق التقاعد وصناديق استكمال الدراسة وغيرها - تحولت إلى ممول للقروض غير المصرفية. اشترت السندات المالية للشركات الخاصة من المدخرات التى أودعها الجمهور العريض لديها. وقد اكتشف المواطنون، الذين صدقوا أنهم يمتلكون مدخرات آمنة، أن الأمور لا تسير على هذا النحو. والتأثير السلبى الرئيسى سيقع على كاهل من سيُحالون للتقاعد الآن أو فى السنوات القادمة".

*** إذا وجد أحد الأقطاب السابقة صعوبة فى تغطية السندات المالية التى أصدرها، سيكون المتضرر الرئيسى هو جمهور المدخرين فى الصناديق السابقة. ولكنكم أيضاً - بنك هابوعليم - من المقرر أن تتضرروا، وستضطرون للتعامل مع القطب المنهار على أنه أشهر إفلاسه.**

- "فى عام ٢٠٠٩ سيحين موعد سداد سندات مالية للشركات قدرها ٢٦ مليار شيكل، من بينها ١٤ مليار شيكل سندات مالية قابلة للتداول و١٢ مليار شيكل سندات مالية غير قابلة للتداول، تشكل خطراً أكبر. ومن الواضح تماماً أن الجهاز المصرفى ليس فى حاجة، ولا يقدر ولا يرغب فى تمويل سداد هذه السندات. وليس من دورنا سداد دين غير مصرفى، وتعريض أموال المودعين وأصحاب الأسهم للخطر. لذا، يجب إيجاد حل شامل ومشترك للمشاكل التى ستظهر خلال السنة القريبة فى سوق القروض غير المصرفية، وهنا مربط الفرس".

*** ماذا تقترح كخطوة عملية..؟**

- "أقترح - على سبيل المثال - سن قانون خاص يتيح للمسئول عن إصدار سندات مالية تستحق السداد العام القادم أن يدفع فوراً جزءاً فقط من المبلغ المستحق لمالك السند وتقسيط الباقى على عدة سنوات، بشروط أكثر صرامة بالطبع. وهكذا سيظهر نظام جديد لمصدرى السندات المالية لا يمكن تطبيقه فى الأطر القانونية الحالية. الأهم هو إيجاد حل تنظيمى لأن هذا خطر واضح وملموس يهدد استقرار الجهاز المالى الإسرائيلى كله. وأود التأكيد مجدداً على أن البنوك ليست مسئولة عن هذا الخطر".

*** دعنا لا نبالغ: فالبنوك فى إسرائيل ستُضر من هذه الأزمة، كما أن بنك هابوعليم حقق خسائر فى الربع الثانى من العام.**

- "من الواضح أن هذه الأزمة ألحقت بنا خسائر كبيرة، ولا يوجد بنك فى مأمن من ذلك، ولكن رغم الأزمة، فقد حققنا مكاسب فى الربع الثالث من العام تفوق أى بنك آخر فى إسرائيل، ولا أرى أى مخاطر ربحية فى الفترة القادمة. فبنك هابوعليم يواصل مسيرته. لقد أقمنا سلسلة فروع جديدة، وأقمنا صندوق خاص لمساعدة المشروعات الصغيرة، وسنعرض أنظمة خاصة للعملاء الأجراء الذين فقدوا مكان عملهم. وعلى المستوى الشخصي، أصدرت تعليمات بعدم تقليص تبرعاتنا لصالح المجتمع، التى تبلغ حوالى ٤٣ مليون شيكل سنوياً، والأهم أن يواصل الجمهور ثقته بنا. هناك سيولة مالية كبيرة مودعة فى البنك، سواء من الداخل أو الخارج. ولدينا مصادر إيداع كثيرة. وقد خاطبنا مؤخراً صندوق "يورك" الأجنبى للاستثمارات، الذى اشترى فى أواخر شهر مارس ٤٪ من أسهم البنك بقيمة ٧٣٥ مليون شيكل، وخاطب مراقب البنوك فى بنك إسرائيل من أجل

السماح له بشراء عدد أكبر من أسهم البنك".

*** أي أنكم لن تكونوا في حاجة لإصدار سندات مالية مقابل ضمانات حكومية، كما عرضت وزارة المالية..؟**

- "لا يمكنني الإجابة بصورة قاطعة على سؤالك لأنني لم أتلق أي مقترح متفق عليه أو مفصل من وزارة المالية. كنت سأسعد لو تلقيته أو أدركت ماهية النظام المقترح. لقد قرأت عنه في الصحافة وسمعت مثل هذه الشائعات وغيرها عن شروط الضمانات".

*** ربما يكون السبب في ترددكم هو القيود التي قد تُفرض على راتب المسئولين الكبار في حالة وجود ضمانات حكومية..؟**

- "لا يوجد مثل هذا الاعتبار في بنك هابوعليم، خاصة أن راتب المسئولين الكبار من المتوقع أن ينخفض هذا العام".

*** هل يعتزم بنك هابوعليم توزيع أي عوائد هذا العام..؟**

- "لم نتخذ قرار في هذا الشأن بعد. وتوزيع العوائد مرهون بالأرباح، ورأس المال وغيره".

*** إذا لم تجمعوا أموال أخرى، ماذا ستكون مصادر قروضكم الأخرى..؟ إنهم في وزارة المالية ينتقدونكم الآن بسبب عجزكم، بسبب أزمة القروض التي خلفتها البنوك.**

- "لا نعاني عجزاً في رأس المال المستقل، ولا أساس من الصحة للاتهامات بشأن وجود أزمة قروض كما تدعى بعض البنوك. لقد زاد حجم قروض مجموعة بنك هابوعليم، وكذلك حجم قروض كل الجهاز المصرفي في إسرائيل. ومن يرغب ويستحق الحصول على قرض، سيحصل عليه مقابل شروط الفائدة المعمول بها. من الواضح أننا نتبع الحذر والتروي قبل منح القروض، والأموال التي نقرضها ليست أموال البنك وإنما أموال العملاء".

*** لقد قلل بنك إسرائيل الفائدة، وباقي البنوك تحذو حذوه.**

- "لا يمكنني تجاهل المخاطر الأخرى الكامنة في الواقع الاقتصادي الصعب، ويجب أن تعكس الفائدة هذه المخاطر الأخرى".

*** دعنا ننظر للأمام. ما الذي يجب فعله الآن لتقليل المخاطر المستقبلية..؟**

- "أولاً وقبل كل شيء يجب توحيد صفوف كل الجهات المراقبة والتنظيمية لسوق رأس المال تحت سقف هيئة رسمية واحدة. وأود أن أشير برضاء إلى حقيقة أن وزير المالية روني بار أون كان قد أعرب مؤخراً علانية عن تأييده لهذه الخطوة. هناك حاجة لإقامة هيئة عليا للخدمات المالية ليس بهدف زيادة الرقابة على البنوك فقط، فالرقابة علينا كبيرة وجيدة.. وإنما بهدف إدخال سوق القروض ورأس المال غير المصرفي في إطار تنظيمي".

*** ما رأيك في شبكة الأمان للمدخرين في صناديق التقاعد التي صدقت عليها الحكومة..؟**

- "خطة شبكة الأمان معقدة للغاية، وصعبة التطبيق، وتحتاج لمزيد من البيروقراطية. كان بالإمكان منح المدخرين نفس الحماية الرسمية، ولكن بسبل أرخص وأسهل. لدينا مقترحات في هذا الشأن، وكنا على استعداد لعرضها على وزارة المالية، لو تشاورت معنا. غير أن وزارة المالية، للأسف، فضلت تجاهل كل البنوك. وهي ليست على استعداد لسماع مواقفهم أو مناقشة مقترحاتهم. البنوك ليست شريك في مناقشة القضايا المالية، رغم خبراتنا الكبيرة".

*** يتجاهلونكم كما لو كنتم مصابون بالجذام..؟ رغم الإشادة بالجهاز المصرفي المستقر والقوي..؟ كيف توضح ذلك..؟**

- "المسئولين في وزارة المالية يخشون من النظر إلينا.. ويتهربون من لقائنا حتى لا نوجه لهم الانتقادات بسبب فشل الإصلاحات التي أوصت بها لجنة بيخر. وفشل الإصلاحات يمثل عائقاً بيننا وبينهم، وكنت قد حذرت في الماضي من الفشل المتوقع لتطبيق الإصلاحات لأنه تم تطبيقها بتسرع ودفعة واحدة".

*** كما هو معروف، فإن الجمهور يهوى كراهية البنوك.**

- "الجمهور لا يحب سداد عمولة البنوك، ولكن على مستوى السلوك الفعلي يمنح ثقته في البنك الذي يتعامل معه. وقد أدركنا ذلك في الأوقات الحرجة التي سقطت خلالها المنظومة الإلكترونية في بنك هابوعليم. وذكرت شركة IBM للبرمجة المسئولة عن تشغيل هذه المنظومة، أن هذا كان عطلاً غريباً تماماً، وفريداً من نوعه وحجمه على مر تاريخ المنظومة المصرفية الإلكترونية في العالم كله.. ضربة إلهية. وفي نظرة إلى الوراء أقول بفخر: عملاؤنا ردوا بتفهم، ظلوا هادئين. لم يصابوا بحالة هستيرية، ولم يقوموا بسحب ودائعهم. لا تنسى أن ذلك حدث في ظل أزمة مالية طاحنة. لكننا اجتزنا محك ثقة الجمهور بسلام".

*** هذا ينطبق على دولتنا في أي وقت، أليس كذلك..؟**

- "دولة إسرائيل اعتادت تجاوز أزمات عديدة على مر تاريخها، وأذكرك بالأزمة الصعبة التي تعرضنا لها بعد حرب يوم الغفران (حرب ١٩٧٣)، وأزمة أواخر السبعينيات، ومطلع الثمانينيات، وهو ما أدى إلى ارتفاع نسب التضخم المالي بشدة، وهدد بانهيار الاقتصاد الإسرائيلي. وأذكرك بأزمة الانتفاضة الثانية وانهيار أسهم التكنولوجيا، وقد واجهنا هذه الأزمات بنجاح.. وحتى بلغ حجم ناتج الفرد ٢٦ ألف دولار سنوياً. ورغم أنني لا أقلل من خطورة الوضع الحالي، إلا أنني أؤمن من صميم قلبي أننا سنجتاز هذه الأزمة أيضاً بسلام.. وستعود إسرائيل لمرحلة الازدهار".

حوار مع عارض الأزياء الإسرائيلى «يوآف راؤوفيني»:

«بين حرب لبنان وبيت أزياء دولتشى آند جابانا»

بقلم: جايا كورن

يديعوت أحرونوت ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٨

من المضحك جداً أن نعرف كم أننا محليون. فنحن نريد أن نرى أنفسنا من أبناء العالم الأول، أناس متواجدون بشدة فى عالم الموضة ونتماشى مع آخر صيحات بيت أزياء دولتشى آند جابانا وما قدمه من إسهامات لخزانات ملابسنا، ولكن عندما يتحدثون معنا عن عارضى الأزياء، فإن أقصى ما يمكننا التفكير فيه هو مايكل لويس. وأحياناً ما يتسلل إلى الحديث عارض الأزياء أنحال بوناني. من جانبنا، إذا كان هناك عارض أزياء إسرائيلى يضاهى عارضى دولتشي، فإنه يستحق إحضاره هنا، لأننا لم نسمع عنه شيئاً فى أقسام الاجتماعيات بالصحف لدينا.

فى الواقع، ثمة أحد لا يلتفت إلى يوآف راؤوفيني، الذى يجلس مرتديا قبعة من الصوف فى مقهى مكيف بوسط البلد. النادلة لا تنبهر عند رؤية الرجل الذى لا تفارق الصحيفة يداه. وحقيقة أن دومنيكو دولتشي، شريك ستيفانو جابانا، تبنى راؤوفينى بشكل شخصي، لا تؤرق أحد. ليس هذا غريبا، فقد كان الرجل أيضاً عارض أزياء منذ زمن طويل. ويتواضع قائلاً: «إننى لا أبحث عن الشهرة. أريد أن أكون معروفاً لا مشهوراً».

*** ما الفرق..؟**

– «الناس لا يميزون الفرق بين كون المرء معروفاً أو مشهوراً. أن تكون معروفاً معناه أن يتوجه أرمانى وستيفانى ميزل إليك، وليس أن تطلب منك فتاة فى السادسة عشرة توقيعاً».

*** لا تتظاهر بالسذاجة. إذا قام ميزل بتصويرك، فثمة فرص كثيرة لأن تطلب منك الكثير من الفتيات التوقيع.**

– «هذا فى فقاعتنا الصغيرة فقط، كلما كنت معروفاً كلما كنت أكثر شهرة وظهوراً فى الأعمال. أما فى الخارج، لا يفرق من تكون؛ فالنرويجى الذى صنع الديزل هو شاب لم يسمع عنه أحد. هنا لا يأخذون سوى الوجوه المعروفة».

منذ أقل من أسبوعين فقط، سقط راؤوفينى فى الفقاعة، بعدما أقام فى ميلانو وعمل كعارض أزياء لدى دومنيكو دولتشي. قام الأخير باختباره بارتداء تصميمات من مجموعته الجديدة، وتحرى كم تناسبه الأقمشة، وطلب منه السير أمام زبائن مخلصين. ويقول: «تم تصويرى فى ألبوم الأزياء وعملنا فى المجموعة الجديدة. كنا خمسة عارضى أزياء نعمل مع دومنيكو. أنت ترتدى البزة، بينما يعطى هو تلقين موجز لمدراء المتاجر وأصحاب الامتيازات الذين يجلسون فى بيت أزياء دولتشى وجابانا (Dolce and Gabbana) فى ميلانو. ويوضح أن المجموعة الجديدة تم تصميمها بإلهام من هذا وذاك، والقماش خامته كذا وكذا، والزبائن يسألون عما إذا كان مريحاً، وكيف يشعرون به على الجسد، وأنا أقول لهم: هذا قبيح جداً، وما كنت لأقتنى هذا أبداً».

*** حقا.**

– «حسناً... ابتسم بأدب شديد، وأقول: شعور رائع. فلا يمكن الضحك فى أمور كهذه».

لم يضحك راؤوفينى أيضاً عندما تحسس دولتشى مناطق حساسة من جسده، وفحص ما إذا كانت لديه استجابة. «أثناء تصويرى فى الألبوم للمرة الأولى، كان دولتشى قائد الفرقة. جاء ورتب ملابسي، وجرب الملابس على وأين يجب التضييق والإصلاح، ثم فجأة شعرت بأن اليد التى ترتب الملابس تحولت إلى يد تتحسس جسدي».

لم يشعر راؤوفيني بالذعر. فقد كان مقاتلاً فى سلاح المظليين، وكان قائداً لجنود خلال حرب لبنان الثانية. ومن ناحية أخرى، رأى عارضى أزياء يتدللون قبيل الخروج للعرض- فما قيمة أيدى تتحسس جسده أمام كل هذا. «كل شيء كان فى الحدود. حسناً... لقد حاول معى مثلما أحاول مع فتاة. دفعت يداه بعيداً، فتفهم الأمر ولم يحدث شيئاً».

**** فضلت النسيان:**

اليد التى تتحسس راؤوفينى الآن هى يدا ليرون فايتسمان، مراسلة برنامج «مساء الخير مع جاى بينيس». تعرف الاثنان عندما كان راؤوفينى يجرب حظه فى العمل بأحد البرامج، حيث التقى فايتسمان وتطورت العلاقة بينهما منذ تلك اللحظة. ويقول: «حسناً. بالنسبة لشاب يبلغ من العمر ٢٤ عاماً، هذا جزء من التاريخ. عندما تصمد العلاقة سنة كاملة، لاسيما أننا نحن الاثنان جميلان وناجحان، وأحدنا يعيش متنقلا بين تل أبيب وميلانو وباريس. ولأننى أعزب، فإننى أواجه ضغطاً كبيراً. ففى مثل هذه السن هناك ضغط كبير يتعرض له الشاب من أجل الزواج».

*** فى تل أبيب يوجد الكثير من الشباب غير المتزوجين فى سن الثلاثين وأكثر، والوضع عادى بالنسبة لهم.**

- «الأمر ليس كذلك. هناك تطلع من الآباء والأصدقاء المقربين. أخى الكبير يعيش مع فتاة ولديهما أطفال، وهما يعيشان فى سعادة، ولكن أمى لازالت تنتظر إعلان زواجهما».

لا يرجع ذلك إلى أنه يفكر فى الزواج الآن. فقد اندهش عندما اكتشف أن العلاقة بينه وبين فايتسمان قوية جداً. قبل أن تتعرف عليه، كانت متزوجة من لاعب كرة السلة رافيف ليمونا، ولكنهما انفصلا بسبب انتقاله إلى فرنسا. قالت فايتسمان «لقد جربنا البقاء معاً، بل وكنت أسافر إليه أسبوعياً. ولكنه كان طوال الوقت فى تدريبات، وشعرت طوال الوقت بالملل، عندئذ بات واضحاً لنا أن هذا لن ينجح وانفصلنا».

ويعترف راؤوفينى أن الخوف من الزواج عن بعد تسرب إليه. «فى الواقع، ثمة أحد منا-وهى تحديداً- لم يصدق أن هذا سيستمر طويلاً. تعارفنا، وفجأة جاءت رحلة السفر إلى ميلانو. وتدريجياً أدركنا أن كل منا يريد الآخر، ثم توطدت العلاقة بيننا، إننا معاً فعلياً منذ تسعة أشهر».

بدا على وجهه أن زوجة جميلة، وعروض أزياء فى عواصم أوروبا، وشقة مشتركة مع عارض أزياء مشهور، هي حلم جميل بها فيه الكفاية. ولكن فى أحلام راؤوفينى أيضا يظهر بيته القديم فى يفنيئيل، وصديقته الحية وكذلك صديقه الميت. حصل راؤوفينى مؤخراً على وسام التميز عن بطولته خلال حرب لبنان الثانية، بعدما قام بإخلاء مقاتل إسرائيلى قتل أمام عينيه من أرض المعركة. وهو بالطبع لا يشعر أنه بطل أو أنه يستحق وسام لمجرد أنه حمل جثامين بعض الجنود على ظهره وأخلاهم من أرض المعركة. فقد كان تمويل نفقات الطبيب النفسى أكثر مناسبة له ولأصدقائه الذين تراودهم الكوابيس، ويجدون صعوبة فى النسيان. «لقد أمضيت فى لبنان ٦٥ يوماً، فى مارون الراس وبنت جبيل، وفى كل الأماكن التى سمعنا عنها فى نشرات الأخبار. فقدت أصدقاء، وقتل كثير من الجنود أمامي. هذا ليس سهلاً بالمرة. لا شك أن الحرب كانت تجربة قاسية بالنسبة لطفل عمره ٢٠ سنة».

*** كم أثر هذا فيك..؟**

- «بدأت أرى الأمور بشكل آخر، وأصبحت لدى رؤية مختلفة. فالأشياء التى كانت تستفزنى بشدة وتغضبنى أصبحت لا تمثل شيئاً بالنسبة لي. أنت تقول: ما هذا مقابل صاروخ يخترق منزلاً وينفجر على مقربة نصف متر من رأسك».

*** وهذا حدث.**

- «أشياء سيئة كثيرة حدثت. فقد مررت بفترة عصيبة. صديقى قتل على بعد متر مني، وكان يجب على إخلاء جثمانه تحت إطلاق نار كثيف على امتداد ١٥ كم. قمنا بجره بصعوبة بالغة، بينما كان كل الطاقم يزرف الدمع ويبكي. حتى الآن تراودنى كوابيس حول ما حدث هناك. عدت من الخارج والتقيت صديق لي، وقال لي: لقد حلمت مرة أخرى. نحن نعود إلى لبنان فى الأحلام، يحدث هذا فجأة ويسيطر عليك فى أوقات غير متوقعة».

الكوابيس المتكررة أثناء النوم بأنه يجلس ويسمع قذائف تتساقط ويرى جنوداً ينزفون حتى الموت - قد تأتى دون إنذار مسبق. «عندما يحدث ذلك وأنا فى إسرائيل أتحدث مع أصدقائي، ولكننى فى الخارج أشعر بأننى وحيد.

*** حسناً.. تحررت ووصلت إلى نقطة الهرب.**

- «هل هناك ما يعيب ذلك. اخترت الوقوف أمام الكاميرات ونسيان ما حدث. لقد وجدت زوجة أخى أن ظروفى صعبة، فقالت لى لماذا لا تذهب للعمل كعارض أزياء، عندئذ ذهبت إلى بيت أزياء 'يولي'، وعرضوا على عقداً وبدأت العمل. كان ذلك فى مارس من العام الماضي. شاركت فى عرض كاسترو، وسرعان ما انتقلت للعمل فى الخارج».

*** لم أرك فى عروض كاسترو، ولم أرك حتى بين الجمهور.**

- **«لا يجب على المشاركة فى عروضهم، فهؤلاء هم المنافسون الآن».**

ضحك راؤوفيني، وتفهمت موقفه. فى يناير سيعود إلى أسبوع الموضة فى ميلانو، حيث سيشارك فى عروض مع أكبر عارضى الأزياء. «هذا سوق مجنون. اذهب إلى ١٥ أستوديو يومياً. كل أوروبا تقف فى طوابير لا نهاية لها فى انتظار العرض الجديد، وهذا يحدث دائماً تحت الأمطار الغزيرة. الأمر يستحق ذلك العناء، لأنك فى النهاية تنتظر الجائزة الكبرى- حملة فاخرة، وألبوم أزياء، وصور، وشهرة».

*** ما الأكثر متعة بالنسبة لك المشاركة فى ألبوم أزياء أم عرض..؟**

- «ألبوم الأزياء مرهق جداً، حيث يتم تصويرك من أجل مجموعة الشتاء بينما تكون درجة الحرارة فى الخارج ٣٦ درجة مئوية، ويقولون لك تظاهر بأنك فى الشتاء بينما تتصبب عرقاً وجسدك مبتلاً- بالطبع ليس بفعل المطر».

عندما يكون فى شقته الصغيرة فى ميلانو التى يتقاسمها مع عارض أزياء صامت، يشعر راؤوفينى بالحنين إلى التصوير والألبومات. ويقول أسفاً «ليس لدى أصدقاء هنا. إن عارضى الأزياء يركزون على أنفسهم وعملهم فحسب- واتفق معك أن هذه وصمة عار. لا يمكنك إيجاد أصدقاء هناك، فقط زملاء يشاركونك الجلوس على المقهى وتدخين السجائر. ابدى اهتماماً، وأطرح أسئلة من أجل التقرب والتودد إليهم، بينما يجيبون هم بإجابات مقتضبة. إننى

استمتع بحياتي، ولكن كل شيء له مزايا وعيوب. العمل رائع من ناحية الأجر والتجارب والأماكن التي زرتها، ولكن هناك أيضاً الشعور بالوحدة وعدم الاستقرار. طوال الوقت تتحرك وتتنقل من مكان لآخر، وفى مرحلة معينة يصبح الأمر مملا. يتصلون بك ويقولون لك: اليوم فى الثانية عصراً ستسافر إلى ألمانيا، تسألهم متى سأعود، فلا تجد جواباً. أنت تعيش اللحظة بلحظتها، ولا يمكنك وضع برامج لنفسك».

إن عارضى الأزياء غالباً ما يرهقون الصحفيين بقصص حول ما يأكلون وما يحبون، وكيف أنهم يقومون بالتمارين الرياضية بشق الأنفس. ثمة أحد منهم لن يقول لك إنه يستيقظ فى الخامسة صباحاً ويقوم بتمرين الضغط مائتى مرة، ويخرج للجرى لمسافة ١٠ كم. حتى عارضات الأزياء اعتدن على الحديث عن حرمانهم من بعض الأكلات. ولكن راؤوفينى ليس كذلك. فهو يعرف أن جماله جاء من العلاقة بين أبيه وأمه، وعضلاته المفتولة مصدرها التدريبات فى صالة الجمانيزيوم وتناول الأطعمة المغذية. «يجب الحفاظ على تناسق الجسم، وهذا صعب جداً، لاسيما بالنسبة لى لأن دومنيكو يجيد تدليل العاملين لديه. لديه مطعم، وطوال فترة الظهيرة يغلقه من أجل عارضى الأزياء لديه. إنهم يقدمون لنا كميات كبيرة من المعكرونة، حيث يأتى النادل بكتل من الطعام الشهى الذى يثيرك، وأنا مولع بتلك الهراءات».

*** الحياة ليست دولتشي.**

- «إننى أبذل جهوداً مضنية من أجل تناول القليل من الطعام، ولكننى أنفجر بين الحين والآخر. ماذا..؟ أنا فى إيطاليا، كيف لا أتناول المعكرونة..؟ والبيتزا..؟ إننى أمارس رياضة الجرى لمسافة ١٠ كم على جهاز الجرى بمركز اللياقة ثلاث أو أربع مرات أسبوعياً، لأنه من الصعب ممارسة تلك الرياضة فى درجة حرارة -٣ درجة مئوية. وأحياناً ما أكون متشدداً. كانت قائمة الطعام الخاصة بى هى نصف ملعقة سكر فى القهوة وبيض وسلاطة فى وجبة الإفطار، وصدر دجاجة وأرز فى الغداء، وتفاحة واحدة خلال اليوم قبل التدريبات الرياضية، ثم صدر دجاجة فى العشاء، وقبل النوم أتناول فيتامينات».

*** ما وجه التشدد فى ذلك..؟ هذا يبدو طبيعياً جداً.**

- «امتنعت عن تناول اللحم والبطاطس. هذا ليس طعاماً لرجل فى سني. كنت اتبع التعليمات تماما حتى انفجرت. وعندما تنفجر تكون الضربة موجعة. فقد تناولت فطائر بيتزا على مدار أسبوع كامل، ولم أستطع التوقف».

*** بالطبع من الممتع أن تكون عارض أزياء لدى دولتشى وجابانا، وترتدى ملابس من خط إنتاجه.**

- «دومنيكو صعب جداً فى هذا الموضوع. لقد نجحت فى انتزاع جاكت وسروال وتى شيرت منه بشق الأنفس. قلت له: دومنيكو، لدى دراجة بخارية والجو بارد جداً ليلاً، عندئذ عرض على اقتناء معطف ثمنه ٥٠٠٠ يورو».

*** واقتنيته..؟**

- «لا أدعو لاقتناء أشياء كهذه. وعندما أريد الترفيه عن نفسى اشترى ملابس من ماركات Gulf و Lazzara".

◆ ترجمات عبرية ◆

(٦)

استطلاعات

مقياس الحرب والسلام لشهر ديسمبر ٢٠٠٨ (*)

أجراه: إفرايم ياعر وتمار هيرمان
يديعوت أحرونوت
٢٠٠٩/١/٩

*** ٧٦٪ من الجمهور الإسرائيلي يعارضون وقف إطلاق النار دون الإفراج عن شاليط:**

أظهر استطلاع رأى "مقياس الحرب والسلام" الشهرى الذى أجرى بعد أسبوع ونصف الأسبوع من اندلاع عملية «الرصاص المصبوب» (عوفيرت يتسوكا) العسكرية فى قطاع غزة أن السواد الأعظم من الجمهور اليهودى فى إسرائيل يعارض وقف إطلاق النار فى غزة دون الإفراج عن جلعاد شاليط. وفضلاً عن التأييد التام لعمليات الجيش الإسرائيلي، يظهر الاستطلاع تأييد عام لاستمرار العمليات حتى إذا أوقفت حماس النار بشروط معينة، حيث يؤيد أو يؤيد بشدة ٩٤٪ من الجمهور العملية، مقابل ٩٢٪ يعتقدون أنها تمثل أهمية أمنية لإسرائيل، ويبرر ٩٢٪ من الجمهور الهجمات الجوية الإسرائيلية على غزة رغم الضرر الناجم عنها للبنى التحتية ومعاناة المدنيين فى قطاع غزة. كما يحظى قرار إدخال قوات برية لغزة بتأييد كبير: ٧٠٪ يعتقدون أن هذه خطوة ضرورية.

*** باراك يتقدم على ليفنى ونتنياهو فى مقياس ثقة الجمهور:**

وفيما يتعلق باستمرار العملية، هناك إجماع بين الجمهور، وذلك على النقيض من الخلافات فى الرأى السائدة بين القيادة السياسية، حيث يعتقد ٩٠٪ من المشاركين بالاستطلاع أنه يجب مواصلة العملية حتى تحقق إسرائيل كل أهدافها. وهذا التأييد مصحوب باعتقاد الأغلبية الكبرى (٧٠٪) أن هناك فرصة كبيرة لأن تحقق العملية أهدافها أو فرصة كبيرة بما فيه الكفاية، وأن الحكومة لديها خطة عمل واضحة فيما يتعلق باستمرار العملية فى غزة (٧٥٪). ونعتقد أن هذا التأييد الكبير لاستمرار العملية يرجع بقدر كبير إلى آراء الجمهور الإيجابية اليوم بشأن مستوى قتال الجيش الإسرائيلى (٩٣٪) وقدرة الصمود الكبيرة لدى التجمعات السكنية فى جنوب إسرائيل (٨٧٪).

وعلى السؤال عما إذا كان ينبغى على إسرائيل وقف النشاط العسكرى فى قطاع غزة إذا أعلنت حركة حماس استعدادها لوقف إطلاق الصواريخ على التجمعات السكنية فى الجنوب مقابل فتح المعابر، أجاب ٨٠٪ بالنفي، أى أن الأغلبية تعتقد أنه لا ينبغى على إسرائيل وقف العملية حتى إذا وافقت حركة حماس على اقتراح كهذا. فضلاً عن ذلك، فإن أغلبية مشابهة تعتقد أنه لا ينبغى التوقيع على اتفاق وقف إطلاق نار مع حركة حماس لا يتضمن الإفراج عن الجندى الإسرائيلى جلعاد شاليط.

على خلفية التأييد الكبير من جانب الجمهور الإسرائيلى لعملية «الرصاص المصبوب» والآراء الإيجابية بشأن إدارتها، فلا غرابة فى أن تحظى القيادة المسئولة عن العملية بنسب ثقة كبيرة نسبياً، رغم وجود بعض الاختلافات. ويأتى فى صدارة مقياس الثقة رئيس الأركان جابى أشكنازي، بنسب ثقة تبلغ ٨٥٪، على ما يبدو لأن الجيش الإسرائيلى «فوق» الساحة الحزبية، ويليه الرئيس الإسرائيلى شمعون بيريس، ووزير

الدفاع إيهود باراك بنسبة ثقة تبلغ (٦٢٪) لكل منهما، ويليهما وزيرة الخارجية تسيبي ليفني، وزعيم المعارضة بنيامين نتنياهو (٥٣٪)، ويتذيل المقياس رئيس الحكومة إيهود أولمرت الذى يحظى بنسبة ثقة تبلغ ٤٤٪ فقط.

أخيراً، ترسم نتائج العينة الخاصة بالمواطنين العرب فى إسرائيل صورة معكوسة لمواقف الجمهور اليهودى فى كل الأسئلة تقريباً. فعلى سبيل المثال، يعارض ٨٥٪ هذه العملية، ويعتقد ٩٣٪ أنه ينبغى على إسرائيل وقفها بموجب اتفاق يضم وقف إطلاق الصواريخ من قبل حركة حماس مقابل فتح المعابر لقطاع غزة، ويعتقد ٨٠٪ أنه ينبغى على إسرائيل التوقيع على اتفاق وقف إطلاق نار حتى لو كان لا يتضمن الإفراج عن جلعاد شاليط.

(*) أجرى مشروع مقياس «الحرب والسلام» معهد تامى شتاينميتس لأبحاث السلام وبرنامج إيفنس لتسوية النزاعات بجامعة تل أبيب وتقريب وجهات النظر، تحت إدارة البروفيسور إفرايم ياعر من جامعة تل أبيب والبروفيسور تمار هيرمان من الجامعة المفتوحة. وأجرى الاستطلاعات الهاتفية معهد ب. ى كوهين بجامعة تل أبيب فى الفترة من ٤ - ٦ يناير ٢٠٠٩، وتضمنت ٥٩٣ مشاركاً، يمثلون السكان البالغين اليهود فى إسرائيل (بما فى ذلك سكان يهودا والسامرة «الضفة الغربية» وغزة والكيبوتسات). وتصل أقصى نسبة للخطأ فى العينة إلى ٤,٥٪.

باراك سيحدد من سيكون رئيس الوزراء القادم

بقلم: رامى يتسهار

المصدر: www.news-israel.net ٢٠٠٩/١/٧

يشير استطلاع القناة العاشرة الذى أجرى يوم أمس الثلاثاء ٢٠٠٩/١/٦، ونُشر اليوم الأربعاء إلى ثبات فى الرأى العام خلال الأسبوع الماضي، حيث يحافظ حزب العمل على تقدمه كدليل على الرضاء عن أداء إيهود باراك، باعتباره وزيرا للدفاع، فى عملية "الرصاص المصبوب".

ومن ناحية التكتلات الحزبية، هناك تساو كامل، وتعادل مطلق، حيث يحظى كل من تكتلى اليمين واليسار بـ٦٠ صوتا قادرة على تشكيل كتلة تمنع انتخاب مرشح من الكتلة المضادة لمنصب رئيس الوزراء.

وإذا كان الأمر كذلك ستكون نتائج الانتخابات كالتالي، حيث سيجد حزب العمل نفسه لأول مرة فى وضع يعرفه شاس جيدا، وهو أنه سيصبح الحزب صاحب التصويت الحاسم، وسيبت فى مصائر سياسية وفى الواقع سيحدد توجه دولة إسرائيل فى السنوات القادمة.

لأول مرة إذا سيكون إيهود باراك هو من سيحدد هوية رئيس الوزراء القادم لدولة إسرائيل: بنيامين نتنياهو أم تسيبى ليفني. وكان قد تردد مؤخرا فى وسائل الإعلام ما يفيد بتحسن العلاقات المهنية والشخصية بين وزيرة الخارجية ووزير الدفاع، فهم يكثرون الحديث والتشاور، وفى جلسة الحكومة الأخيرة ساد بينهما اتفاقاً فى الرأي.

جدير بالذكر أن هناك علاقات شخصية مقربة وتقدير متبادل بين باراك وبنيامين نتنياهو. فنتنياهو يرغب فى أن يكون إيهود باراك وزيرا للدفاع فى حكومته. فهو يثق فى باراك وفى قدراته، ويعتقد أنه الأنسب للمنصب، وكان نتنياهو قد صرح بذلك قبل عملية "الرصاص المصبوب".

إذن القرار سيكون فى أيدى باراك ولكن ليس بمفرده. ففى حزب العمل، يجدر الافتراض أن الآراء ستختلف، وإذا كان هذا هو الوضع فى اليوم التالى من الانتخابات، فبدون شك لن يكون القرار بسيطا فى حزب العمل.

نتنياهو نفسه يفضل بعد الانتخابات تشكيل حكومة برئاسته يضم إليها ائتلاف يتكون من كاديما وحزب العمل أيضا. وبالإضافة إلى حزب شاس، الذى وعده نتنياهو بالمليارات ليشترى تأييده، يستطيع فى مثل هذه الحالة أن يشكل ائتلافا مستقراً يخرس أنصار فيجلين (اليمين المتطرف داخل الليكود) داخل حزبه، أو على الأقل يضعف من تأثيرهم.

وإذا لم ينضم حزب كاديما، هناك شك كبير فيما إذا كان حزب العمل يستطيع الانضمام إلى حكومة بيبى التى ستضم ائتلافات إما دينية وحريدية أو يمينية متطرفة.

وسيثير ذلك الاهتمام، رغم أن هناك احتمالاً كبيراً فى ألا تؤدى الانتخابات القادمة إلى تغيير عدم قدرة إسرائيل على الحكم التى سادت فى العقود الأخيرة إلى الأحسن.

وفيما يلي نتائج الاستطلاع، فيما يتعلق بتوزيع المقاعد:

الليكود	31
كاديما	27
العمل	16
شاس	11
يسرائيل بيتينو	10
ميريتس	7
يهدوت هاتوراه	5
الاتحاد القومي	3
القائمة العربية الموحدة والحركة العربية للتغيير	3
التجمع الوطني الديموقراطي	2
الجبهة الديموقراطية للسلام والمساواة	3
البيت اليهودي	2

وفى وقت سابق نشرت القناة الثانية استطلاع رأى جزئياً جاءت نتائجه على النحو التالي:

الليكود	32
كاديما	25
العمل	17
شاس	10
ليبرمان	10

ليبرمان ينتزع من نتنياهو من ثلاثة إلى خمسة مقاعد

بقلم: تسيلا كوهين
المصدر: www.news-israel.net
٢٠٠٨/١/١٥

يكشف استطلاع رأى الشبكة الثانية فى هيئة الإذاعة الإسرائيلية واستطلاع القناة الثانية فى التليفزيون الإسرائيلى الذى أجرته شركة "بانلز" ثبات وضع حزب العمل، وتدهور وضع حزب كاديما وذلك قبل الانتخابات العامة فى إسرائيل، وذلك أيضاً إلى جانب ازدياد قوة حزب أفيجدور ليبرمان (يسرائيل بيتينو)، الذى حصل على معظم الأصوات الإضافية - لاسيما فى فترة الحرب- من حزب الليكود.

ويفيد استطلاع الشبكة الثانية الذى أجراه معهد "شفاكيم بانوراما" للبحوث والاستطلاعات بأن حزب الليكود فقد من ثلاثة إلى خمسة مقاعد، ذهب معظمها إلى حزب ليبرمان المقاتل. كما فقد حزب كاديما مقعدا فى الأسبوع الأخير لصالح حزب الخضر الذى يبدو أنه اجتاز نسبة الحد الأدنى للتمثيل فى الكنيست.

وثبت وضع حزب العمل مع حصوله على نحو ١٥ مقعدا ولم يرتفع عدد مقاعده أكثر من ذلك.

وفيما يلي توزيع المقاعد إذا أجريت انتخابات الكنيست اليوم:

	استطلاع الشبكة الثانية في هيئة الإذاعة	استطلاع القناة الثانية
الليكود	28	29
كاديما	21	27
ليبرمان	15	13
العمل	15	15
شاس	10	8
ميريتس	5	5
الخضر	3	2

استطلاعات الرأى حول الانتخابات تتوقع حدوث انقلاب مرتبط بإنهاء الحرب

بقلم: دانيئيل ألدسون
يديعوت أحرونوت ٢/ ١/ ٢٠٠٩

لقد قلبت عملية «الرصاص المصبوب» فى غزة الموازين. ثمة إجماع على أن الجمهور يميل إلى مساندة الحزب الحاكم وقت المعركة، ولكنهم يذكرون أن كل شيء يُقاس بمحك النتيجة: «فعَمير بيرتس كان يتمتع بشعبية كبيرة أيضا فى بداية حرب لبنان».

لا يكاد يوجد موضوع يتفق عليه معدو الاستطلاعات غير موضوع تأثير الحرب على المعركة الانتخابية الحالية، وأن عملية « الرصاص المصبوب» هى التى ستحدد مصير المعركة الانتخابية الحالية. والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو إلى أى جانب سيميل الجمهور.

وفى حديث لموقع صحيفة يديعوت أحرونوت الإلكتروني، قال معد الاستطلاع البروفيسور كميل فوكس من شركة ديالوج: "إننا نسمى ذلك حدثا مؤثرا، يتسبب فى قلب الموازين". وعلى حد قوله، فإن الحرب لها تأثير حقيقى على الناخبين ولكن هذا التأثير قد يكون لفترة قصيرة ويتسم بالميوعة، نظراً لأنه مرتبط بوضع معين، وقد يتغير بحسب النتائج".

يعتقد فوكس أنه "عندما يكون هناك حرب، فإن الأشخاص يشعرون بشيء ما يشبه التعصب القبلي. ويقولون "برجاء الصمت إنهم يطلقون النار" ويشدون على يد القيادة. والتاريخ يكشف أنه فى بداية الحرب دائماً ما يكون هناك انسياق تجاه اليمين وشعور جارف بالوطنية يجتاح الجمهور تجاه النظام القائم. وفى الغالب فإن الحديث يدور عن فترة قصيرة فقط، فنشوة حرب الأيام الستة، على سبيل المثال، ظلت قائمة حتى كارثة حرب يوم الغفران.

يستطرد فوكس، أنه رغم ذلك، فإن زعماء حزبا كاديما والعمل تسيبى ليفنى وإيهود باراك لا يستطيعان الشعور بالراحة وكأنهم متوجين بأكاليل الغار". فالجمهور يعرب عن رضائه عنهما، إلا أن هذا الرضاء لا يزال ينقصه شيء ما. أما الليكود فقط انطلق من نقطة قوية جدا، لدرجة أنه أصبح من غير الواضح ما إذا كان توجه الجمهور نحوه سيكون قوى بما فيه الكفاية من أجل قلب الأمور رأساً على عقب أم لا. فالجمهور لا يغير من مواقفه بسرعة. ولكن للعلم فإنه من غير الممكن معرفة ماذا سيحدث فى الأيام القادمة، وأنا أعتقد أنه إذا نجح الحزب فى إطلاق سراح الجندى المختطف جلعاد شاليط فإن رأى الجمهور سيتغير تماماً".

يعتقد البروفيسور فوكس أن الرابح الرئيسى من الحرب هو إيهود باراك. فبحسب الاستطلاع الذى أجريناه يوم الأربعاء الماضى ارتفعت عدد المقاعد الذى حصل عليها حزبه. الجمهور يعرب عن رضائه الشديد عن أدائه كوزير للدفاع. هذه هى المرة الأولى التى يفوق فيها عدد الراضين عن أدائه عدد غير الراضين، ٥٥٪ فى مقابل ٣٣٪. وهكذا الحال بالنسبة لليفنى أيضاً، حيث بلغت نسبة الراضين عن أدائها ٤٧٪ فى مقابل ٣٧٪ غير راضين عن أدائها، وهو تحسن طفيف، ولكنه قائم بالفعل. كما أن نسبة التأييد التى يحظى بها أولمرت ازدادت إلى حد ما، حيث أعرب ٣٣٪ من المشاركين فى الاستطلاع عن رضائهم عن أدائه فى مقابل ٥٣٪ غير راضين. وهذا بعد أن كان يحظى فى شهر مايو الماضى بنسبة رضاء ٧٦٪ فى مقابل ١٤٪ غير راضين.

*** الناخب العاقل هو من سيرجح الكفة:**

وماذا عن نتنياهو..؟ يقول فوكس "بمقدور نتنياهو أن يشعر بالاطمئنان، فالمقاعد التى حصل عليها حزبه لا تزال مستقرة. فنتنياهو حكيم بما فيه الكفاية ليدرك أنه من الأفضل الآن أن يحافظ على الصمت، لأنه يعلم أن الجمهور لا يحب توجيه الانتقادات وقت الحرب ويريد التصرف بشكل رسمى ومسئول. ولكن فى نهاية الأمر فإن كل شيء متعلق بنتائج الحرب. وحقيقة أن عَمير بيرتس قد حظى فى بداية حرب لبنان على نسبة رضاء بلغت ٧٠٪ تبرهن على ذلك. ففى سباق العدْو لمسافة ١٠٠٠ متر لا يهم من الشخص الذى يتصدر فى المائة متر الأولى، فقد يكون هناك من يدخر قواه حتى اللحظة الأخيرة".

كما قال رئيس مجموعة TNS – تليسيكر، دورى شدمان، إن الحرب تتعارض مع التغيير: "من الناحية النفسية يميل الجمهور إلى عدم تغيير الجياد وقت السباق، وإلى ضرورة الشد على أيدى القيادة الحالية". أما إذا كان هناك تدخل إلهى فهذه قصة أخرى، ولكن الانطباع السائد الآن هو أن كل شيء يسير حسبما هو مخطط له".

وتتفق مديرة معهد داحف، الدكتورة مينا تسيمح، على أن عملية "الرصاص المصبوب" ستكون لها تأثير على نتائج الانتخابات وتقول: "فى المعركة الانتخابية الحالية، سيكون الشق الأمنى هو الأكثر وزنا وأهمية، على غرار المعركة الانتخابية فى عام ١٩٩٦ عندما بدأت الهجمات الإرهابية. لقد صرفت الحرب النقاش العام عن الموضوعات السياسية ليتمحور حول الموضوعات الأمنية. ومن ثم فقد أهمل الجانب الاقتصادى إلى حد ما".

وعلى حد قول دكتورة تسيمح، "فإن الحرب هى أنسب وقت بالنسبة للزعماء". فهى الساعة التى تتوجه فيها أنظار الناخبين إليهم. وهى وقت مناسب لاختبار سلوك الزعيم، ومواقفه والمعلومات المتوافرة عنه. ومن الطبيعي، أن الشخص الخاضع للاختبار هو الشخص الذى فى الحكم، وليس فى صفوف المعارضة. وعلى أية حال، فإن عامل الوقت فقط هو الذى سيحسم هذه المسألة. فإذا ما جنت الحرب ثمارها المرجوة، فمن الممكن الافتراض بأن الحزب الذى يقود الدولة الآن سيحظى

بتفويض".

تقسم الدكتورة تسيمح الناخبين إلى ثلاث مجموعات: "فهناك الناخب التقليدي، الذي يصوت وفق انتمائه وولائه لحزب معين، إلا أن هذا الصنف آخذ في الانقراض الآن نظراً لأن انتماء الناخبين وولاءهم للحزب قد أصبح أضعف بكثير مما كان في الماضي. وهناك الناخب الذي يبحث عن مرشح لديه حضور قوي، ويسير وراءه كالتابع. ويمكن القول أنه في المعركة الانتخابية الحالية لا يوجد لدينا الكثير من الشخصيات التي تتمتع بحضور قوي. أما آخر الناخبين فهو الناخب العاقل، الذي ينتخب بناء على اعتبارات موضوعية. وفي هذه الحالة فإن هذا الناخب لا يتبنى رأياً واحداً لفترة طويلة من الزمن، فرأيه يتغير وفقاً للواقع القائم، وفي الانتخابات الحالية ستكون كلمة الناخب العاقل هي الكلمة العليا والتي ستحسم المسألة.

الجمهور يثق في الموساد والشاباك

بقلم: روبي شتينبرج
المصدر: www.news.co.il
٢٥/١٢/٢٠٠٨

يبدي الجمهور في إسرائيل أكبر نسبة ثقة في الأجهزة الأمنية، لاسيما تلك الأجهزة التي لا يعرف عنها سوى القليل جداً، ومنها جهاز الأمن العام (الشاباك أو الشين بيت) والموساد. هذا ما يكشف عنه مقياس متعدد السنوات لقياس أداء القطاع العام في إسرائيل، والذي ينشر للمرة الثامنة هذا العام ويقوم بإعداده عدد من الباحثين من جامعتي حيفا وبن جوريون.

يكشف الاستطلاع عن معلومة متكررة منذ بضع سنوات، تتمثل في تراجع نسبة ثقة الجمهور في رجال الشرطة ورجال مصلحة السجون مقارنة بسائر رجال الأجهزة الأمنية الأخرى. كما يكشف الاستطلاع عن معلومة أخرى غاية في الأهمية وتتعلق بجنود الجيش الإسرائيلي الذين يحصلون وفقاً للمقياس على تقدير ٣,٨٩ نقطة (من إجمالي ٥ نقاط)، في حين تنخفض نسبة الثقة التي يحظى بها قادة الجنود وضباطهم إلى حد ما لتصل إلى ٣,٥٧ نقطة.

وعلى مستوى الأجهزة الأمنية، بلغ متوسط التقدير الذي حصل عليه جهازا الأمن العام (الشاباك)، والموساد معاً ٣,٨٨ نقطة، وهو ارتفاع ملحوظ مقارنة بالعام الماضي عندما بلغ التقدير ٣,٣٥ نقطة. وفي المركز الثاني أبدى الجمهور أكبر نسبة ثقة في الجيش الإسرائيلي الذي سجل ارتفاع ملحوظ من ٣,٢٧ نقطة في العام الماضي إلى ٣,٦١ نقطة هذا العام.

جدير بالذكر أن نسبة ثقة الجمهور في الشرطة ومصلحة السجون كانت منخفضة في العام الماضي أيضا حين تراجعت من ٢,٦٦ إلى ٢,٥٢ نقطة.

* رجال الشرطة في المركز الأخير:

وعلى حد قول البروفيسور فيجودا جادوت، الأستاذ بجامعة حيفا، والذي قام بإعداد المقياس بالتعاون مع البروفيسور شلومو مزراحي الأستاذ بجامعة بن جوريون، فإن الحديث يدور هنا عن أقل نسبة تقدير خلال السنوات الثماني التي أجري فيها المقياس ومنحنى تنازلي مستمر منذ عام ٢٠٠٣.

فيما يكشف المقياس عن صورة مماثلة تتمثل في نسبة ثقة الجمهور في العاملين في المؤسسات الأمنية، ففي الوقت الذي حظي فيه رجال الشاباك (جهاز الأمن العام) على أعلى نسبة ثقة، بلغت ٣,٩٣ نقطة، يأتي رجال جهاز الموساد في المركز الثاني بتقدير ٣,٩ نقطة، ثم رجال مصلحة السجون في المركز قبل الأخير بحصولهم على نسبة ثقة بلغت ٢,٨٣ نقطة، في حين يحتل رجال الشرطة المركز الأخير بنسبة ثقة بلغت ٢,٦٨ نقطة.

زيادة عدد طالبي إعانات البطالة بنسبة ٢٣٪

بقلم: روتي سيناي
هاآرتس ٧/١/٢٠٠٩

تقدم الشهر الماضي نحو ١٨,٥٠٠ عاطل، ممن تم فصلهم خلال الأشهر الأخيرة من عملهم، بطلبات للحصول على إعانات البطالة.

كما شهد نوفمبر الماضي زيادة حادة في الطلبات الجديدة للحصول على إعانات البطالة وصل عددها إلى ١٧,٧٣٥، إلا أن المسئولين في مؤسسة التأمين الوطنية قرروا عقد مقارنة بين بيانات شهر ديسمبر وبيانات شهر سبتمبر بسبب تأثير فترة الأعياد خلال شهري أكتوبر ونوفمبر.

وفي حالة ما إذا تمت الموافقة على كل الطلبات الجديدة، وفي الأغلب الأعم ستتم الموافقة على الجزء الأكبر منها، سيصل عدد الحاصلين على إعانات البطالة إلى نحو ٧٠ ألف شخص، على غرار ما حدث في عام ٢٠٠٣ في أواخر فترة الانكماش التي شهدها الاقتصاد آنذاك.

قالت مدير عام مؤسسة التأمين الوطنية، استير دومينيسيني، اليوم (الأربعاء): يبدو أن البيانات تشير إلى تغير في مؤشرات البطالة، وهو ما سيتجلى خلال الأشهر القادمة في صورة

زيادة نسبة البطالة. ويعتقد رئيس إدارة التخطيط والأبحاث فى مؤسسة التأمين الوطنية، دكتور دانييل جوتليف، أن نسبة البطالة ستزداد عما هى عليه الآن بنسب تتراوح ما بين ٦٪ إلى ٧,٥٪ أو ٨٪ تقريباً.

لقد سجلت أعلى نسبة زيادة فى طلبات الحصول على إعانات البطالة فى مناطق تل أبيب والقدس وحيفا وهكريوت، حيث فاق عدد الطلبات الجديدة المتوسط القطرى بنسبة الضعف. ويعتقد المسئولون فى إدارة الأبحاث أن الأمر يشير إلى أن أكبر عدد من حالات الفصل من العمل خلال الأشهر الأخيرة كان فى المصانع الكبيرة على وجه الخصوص. فيما تؤيد بيانات صادرة عن مصلحة التشغيل هذا الاعتقاد حيث تكشف عن زيادة حادة فى عدد الأكاديميين الذين ترددوا على مكاتب التشغيل فى نوفمبر من أجل المطالبة بالحصول على إعانات البطالة.

كما سُجلت فى جنوب البلاد، زيادة بنسبة ١١٪ فى الطلبات الجديدة للحصول على إعانات بطالة، وكذلك فى مدن الضواحى شمال البلاد، مثل طبريا، وكرميئيل، والناصرة ونهاريا، حيث كانت الزيادة فى عدد الطلبات أقل من المتوسط القطري. ورغم ذلك، يتوقع المسئولون فى مؤسسة التأمين الوطنية، تزايد عدد الطلبات الجديدة فى جنوب البلاد أيضاً بسبب الحرب.

وفى الأشهر الأخيرة استعدت مؤسسة التأمين الوطنية لإمكانية زيادة عدد مستحقى إعانات البطالة، ووضعت خطة تم تقديمها إلى وزارتى الرفاه الاجتماعى والمالية تستهدف تحسين منظومة البطالة. وذلك بعدما شهدت السنوات الأخيرة تشديد شروط الاستحقاق لإعانات البطالة، كما تم تقصير فترة الاستحقاق إلى مستوى وضعها فى مرتبة متدنية جداً فى الترتيب مقارنة بدول متقدمة. وقد صادقت وزارة المالية على بند واحد من الخطة، وهو البند الذى يتعلق بتقصير فترة العمل التى تتيح الحصول على إعانات البطالة من سنة واحدة من ضمن ١٨ شهراً التى سبقت الفصل إلى ٩ أشهر من السنة التى سبقت الفصل.

غالبية الجمهور لا تعرف شيئاً عن ادخار معاشاتهم

بقلم: عوفر ولفنسون
المصدر: www.news.co.il
٢٠٠٨/١٢/٢٣

الجمهور لديه قلة وعى بمدخرات المعاشات. فغالبية الجمهور لا تعرف الجهات التى تقوم بإدارة مدخراتهم من معاشات التقاعد، وكذلك صناديق الدخل التكميلي. وتفضل غالبية الجمهور أن تدار مدخراتها بنسبة مخاطرة منخفضة، ولكنها لا تعرف ما هو الجزء الذى يُدار اليوم بنسبة مخاطرة عالية. كما أن غالبية المدخرين لا يعرفون قيمة الرسوم الإدارية التى يدفعونها فى مسارات مدخرات معاشات التقاعد. هذا ما يكشف عنه استطلاع خاص للرأى أجراه معهد "داحف" للأبحاث بدعوة من اتحاد البنوك.

يتبين من الاستطلاع أن ٧٠٪ من الجمهور لا يعرفون الجهة التى تدير مدخراتهم من معاشات التقاعد، حيث أجاب ٥٢٪ من المشاركين فى الاستطلاع بأنهم لا يعرفون شيئاً عن ذلك، بينما يعتقد ١٨٪ أن مدخرات المعاش الخاصة بهم لا تزال تُدار بواسطة البنوك، وكما هو معروف، فإنه عقب الإصلاحات التى أجريت فى سوق المال بناءً على توصيات لجنة بيخر، انسحبت البنوك تماماً من إدارة مدخرات المعاشات.

صرح موشية بيرل، مدير عام اتحاد البنوك، بأن وزارة المالية والجمهور كله والبنوك يتفقون اليوم على أن المصلحة المشتركة والعاجلة جداً تتمثل فى العمل على تعميق وتطوير الاستشارات فى مجال مدخرات المعاشات. وأضاف: "لقد عملت وزارة المالية على بلورة سوق المال بالشكل الذى أصبح معه المستشار المحايد الوحيد فى مجال مدخرات المعاشات هو البنوك. ومن أجل العمل على خلق وضع يحول دون اتخاذ الجمهور لقرارات غير منطقية، يجب السماح للبنوك بتقديم الاستشارات الخاصة بمدخرات المعاشات الخاصة فى أماكن العمل والمصانع، وتزويد عدد السلع التى تستطيع البنوك ترويجها لأصحاب المعاشات، والاستمرار فى سلسلة التغييرات التى من شأنها دفع عجلة الإصلاح لدرجة يستطيع معها الأشخاص أن يتحكموا فى مدخراتهم ويتفهموا ما الذى يحدث لها، وأنا آمل أن يتفهم المسئولون بوزارة المالية أن هذه هى الطريقة الوحيدة للقضاء على الجهل الذى يكشف عنه الاستطلاع فى هذا الشأن".

*** مخاطرة عالية أو منخفضة..؟ ليس لديهم فكرة:**

يكشف الاستطلاع عن بعض البيانات التى تشير إلى انخفاض وعى الجمهور فيما يتعلق بالأوعية الادخارية، لاسيما فيما يتعلق بالمعاشات. فعلى سبيل المثال، يكشف الاستطلاع أن غالبية الجمهور على استعداد للاكتفاء بهامش ربح ضئيل كعائد لمدخراتهم من المعاشات مع التعرض لنسبة مخاطرة منخفضة، ولكن عندما سُئل المشاركون فى الاستطلاع، هل لديهم فكرة عما هو الجزء الذى يستثمر من مدخراتهم مع التعرض لاحتمالات مخاطرة عالية واحتمالات ربح كبيرة، أفاد ٧٤٪ منهم بأنهم لا يعرفون شيئاً عن ذلك.

وبحسب بيانات الاستطلاع، فإن ٧٩٪ من الجمهور ليس لديهم وعى بالزيادة التى طرأت على الرسوم الإدارية بعد نقل ملكية صناديق المعاشات من البنوك. وعندما سُئل المشاركون فى الاستطلاع هل يعتقدون أن الرسوم الإدارية اليوم ارتفعت أم انخفضت أم أنها ظلت كما هى دون تغيير، مقارنة بالفترة التى كانت فيه البنوك تدير مدخراتهم..؟ قال ٤٥٪ إنهم لا يعرفون، فى حين يعتقد ٢٢٪ أنه لم يطرأ عليها أى تغيير، و١٢٪ يعتقدون أن الرسوم الإدارية انخفضت، بينما تعتقد نسبة ٢١٪ فقط أنها ارتفعت.

٧

شخصية العدد

رئيس الهيئة السياسية والأمنية بوزارة الدفاع اللواء احتياط «عاموس جلعاد»

ترجمة وإعداد: أسامة أبو رفاعي

ولد عاموس جلعاد سنة ١٩٥٤. ويعتبر كبير المفاوضين الإسرائيليين فى المحادثات التي تجرى لوقف إطلاق النار والحرب على قطاع غزة. وقد أصبح خلال الأعوام الماضية المسئول عن القضايا الحساسة التى يسعى لإيجاد حل لها مع العالم العربي. ويشغل الآن عدة مناصب منها رئاسة الهيئة الأمنية والسياسية بوزارة الدفاع، والقائم بأعمال منسق أعمال الحكومة في المناطق (الفلسطينية)، ذلك المنصب الذى شغله سابقاً حينما كان رئيس قسم الأبحاث بشعبة الاستخبارات العسكرية "أمان". وحينما كان ضابط فى شعبة الاستخبارات العسكرية، كان أول من أبلغ عن المذابح التى ارتكبت فى صبرا وشاتيلا.

كان جلعاد البالغ من العمر ٥٥ عاماً طرفاً قوياً فى صياغة بنود الهدنة التى تم التوصل إليها فى ١٩ يونيو ٢٠٠٨ بين إسرائيل وحماس برعاية مصرية، وسبقت العملية الإسرائيلية المعروفة باسم "الرصاص المصبوب". وقد أدى إتقانه للغة العربية ومعرفته الواسعة بالعالم العربى إلى أن يكلفه القادة الإسرائيليون بالمسائل الأكثر حساسية فى العلاقات بين إسرائيل والبلدان العربية، وفى طليعتها مصر والأردن اللتين ترتبطها اتفاقية سلام مع إسرائيل، وكذلك الدول التى ليس لها علاقات دبلوماسية مع إسرائيل.

التحق جلعاد بصفوف الجيش الإسرائيلى سنة ١٩٧٢، وشغل عدة مناصب فى قسم الأبحاث التابع لشعبة الاستخبارات العسكرية "أمان". فى عام ١٩٩٤، عينه رئيس هيئة الأركان آنذاك إيهود باراك متحدثاً باسم الجيش الإسرائيلي. وفى عام ١٩٩٦، عاد لشعبة الاستخبارات، وأصبح رئيس قسم الأبحاث حتى انتهاء خدمته العسكرية فى يوليو ٢٠٠٣.

وخلال هذه الفترة، تم تعيينه رئيساً لجهاز الإعلام القومي، فى ضوء المخاوف من سقوط صواريخ على إسرائيل إبان حرب العراق سنة ٢٠٠٣.

ومنذ عام ٢٠٠٣، أصبح جلعاد رئيس الهيئة الأمنية والسياسية بوزارة الدفاع. وفى إطار هذا المنصب، فإن رئيس الوزراء فوضه بالإشراف على القضايا المتعلقة بالأسرى والمختطفين لاسيما محادثات إطلاق سراح الجندى الإسرائيلى جلعاد شاليط الذى أسرته حركة حماس. وقد عاد ليشغل منصب القائم بأعمال منسق شئون الحكومة فى المناطق (الفلسطينية)، بعدما لم يتوافر بديل مناسب للمسئول السابق يوسف ميشلاف. وفى إطار هذا المنصب، يلعب جلعاد دوراً هاماً فى الاتصالات والتنسيقات الأمنية والقضايا المختلفة المتعلقة بسياسة إسرائيل الخارجية.

وقد ورد أن عاموس جلعاد طلب من وزارة الدفاع الإسرائيلية فى مايو ٢٠٠٤ الاعتراف به كأحد معاقى الجيش الإسرائيلى بسبب تدهور حالته الصحية وسوء حالته النفسية خلال فترة عمله كممثل لشعبة الاستخبارات العسكرية فى القيادة الشمالية خلال الفترة ما بين ١٩٨٢-١٩٨٣، والتى حذر خلالها من أحداث صبرا وشاتيلا.

ويعتبر عاموس جلعاد من أكثر المسئولين الإسرائيليين الذى يترددون على القاهرة خلال الفترة الماضية، لإجراء محادثات بشأن المبادرة المصرية لوقف العملية العسكرية التى شنتها إسرائيل على قطاع غزة، وهو أحد أعضاء الفريق الذى يديره شالوم تورجمان المستشار الدبلوماسى لرئيس الوزراء إيهود أولمرت لصياغة المواقف الإسرائيلية خلال الهجوم على غزة. ويعرف جلعاد بأنه مفاوض صلب ومتشدد فى مواقفه، وذو إطلاع واسع بالسياسة العربية.

رؤية عربية

١

حماس وقواعد اللعبة السياسية

د. رؤوف أبو عابد
كاتب وباحث فلسطيني

إن المقصود بقواعد اللعبة السياسية: تلك المبادئ التى تحكم وتوضح مساحة الحركة أمام القوى السياسية، أى أنها الحدود التى ترسمها فى فترة معينة موازين القوى وتنازع المصالح فى إطار معين، وكانعكاس لإفرازات البيئة الداخلية (العامل الذاتي) والبيئة المحيطة (الإقليمية والدولية)، وهذه القواعد عادة ما يحدد ملامحها الطرف الذى يمتلك قوة فرضها والنصيب الأكبر من أوراقها، أى أنها متغيرة وليست ثابتة، وإنما يتطلب تحريكها التغير فى موازين القوى، وتوفر الإرادة السياسية، وتلاءم البيئة المحيطة، بالإضافة إلى تكامل الإمكانيات الذاتية، فعادة ما تكون نتائج اللعبة السياسية بمثابة المحصلة الواقعية لموازين القوى وتنازع المصالح والإرادات للقوى السياسية.

ومن أهم هذه القواعد فيما يخص حركات التحرر الوطنى تحديداٍ وبشكل عام ما يلي:

أولا: الحفاظ على قاعدة الاجماع والشعبي، ورص الصفوف والتحصن الدائم والثابت خلف جدار الوحدة الوطنية والاجماع الوطني، أى ان تقوم العلاقة بين مختلفة تيارات وفصائل حركة التحرر على التسيق والتكامل، وذلك بجعل التنافس بين هذه الفروع يقوم على اساس تصويب العمل النضالى وتوجيه الجهد باتجاه محاربة الاحتلال، وكذلك بان لا تكون عملياتها ضد الاحتلال بغرض التنافس الفصائلى والداخلي، أى ان من يطلق النار على العدو اكثر يحصد تأييدا ومكاسب داخلية اكثر، فالوطن ومصالحه العليا يجب ان يكون اكبر واهم من كل الفصائل، هذا بالاضافة الى العمل على أيجاد قواسم مشتركة بين مختلف تلك الفصائل والعديد من مشاربها وتياراتها السياسية، سواء داخل الفصيل الواحد او بين الفصائل المختلفة وفق برنامج (الحد الادنى) للتوافق الوطني.

ثانيا: الابتعاد عن الصراعات والتجاذبات الاقليمية، وعدم الدخول فى استقطابات المحاور الاقليمية، والتى غالبا ما تحرك بوصلة اهدافها السياسية وغاياتها الاستراتيجية القوى الكبرى المسيطرة وصاحبة النفوذ فى هذه المحاور، وهى غالبا ما تجنح الى التعاطى مع الاطراف الاضعف وفق منطق الاستخدام الوظيفي، أى استخدام تلك الاطراف كورقة مساومة فى صراعاتها الدولية، ولذلك غالبا ما تكون التنازلات والتضحيات والتقارب بين الدول المتصارعة على حساب مصالح وقضأيا وشعوب حركات التحرر، من جهة ثانية فان عدم دخول حركات التحرر فى تلك المحاور يحفظ لها استقلالية قرارها السياسى ومساحة اكبر فى حرية المناورة وتحصيل الدعم المادى والمعنوي، والمساندة خدمة لقضأياها التحررية.

ثالثا: عدم التدخل فى الشؤون الداخلية للدول، والحرص على الوقوف على مسافة واحدة من كافة القوى والتيارات السياسية بما يخدم مصالحها واهدافها النضالية، فليس من مصلحة حركة التحرر استعداء أى طرف على حساب طرف اخر، فتناقضها الاساسى مع الاحتلال بكل مفاعيله، وقضأياها العادلة تفرض عليها توجيه كافة الجهود لخدمة هذه القضأيا، وعدم تشتيت جهودها وهدر امكانياتها فى الصراعات الجانبية.

رابعا: التكيف مع متطلبات البيئة الداخلية والاقليمية والدولية، والموازنة الفعالة والدقيقة بين الوسائل النضالية والاهداف التكتيكية والاستراتيجية، فعد اسقاط أى من الخيارات النضالية والتدرج والمرحلية فى توظيف الادوات والوسائل النضالية بحسب الهدف وظروف المرحلة ومعأيير البيئة المحيطة تبقى من اهم العوامل التى تضمن الفاعلية والاستمرارية لحركات التحرر.

وبالتالى عندما دخلت حركة حماس اللعبة السياسية كان عليها ان تجرى حسبة بسيطة لكل هذه المعطيات، وبعدها تتخذ قرارها القفز على قواعد اللعبة السياسية فى المنطقة وتغيرها بما يحقق اكبر عائد لها وللقضية الفلسطينية، فحركة حماس سشانها شان كل الفصائل الفلسطينية التى قدمت مئات بل الالاف الشعداء والجرحى والاسرى دفاعا عن فلسطين

وشعبها، ولكن دخول حماس اللعبة السياسية دون برنامج سياسى واضح يراعى اصول هذه اللعبة ولا يتجاوز حدودها كان له اثاره السلبية وانعكاساته الخطيرة على القضية الفلسطينية وشعبها، وعلى حركة حماس نفسها التى راحت تتخبط بين حدود الممكن والمستحيل، فكانت اخطاءها بمثابة متراس اخر تحصن خلفه العدو الصهيونى ليزيد الامعان فى التنكر لحقوق الشعب الفلسطيني، والافتئات عليها ومواصلة اعتداءاته وعدوانه على الفلسطينيين ارضا وشعبا، فما هى اهم الاخطاء التى وقعت فيها حركة حماس فى حدود وقواعد اللعبة السياسية:

اولاً: المشاركة فى السلطة الوطنية الفلسطينية: ان المشاركة فى السلطة من حيث المبدأ هى حق لكل القوى والفاعليات والفصائل الفلسطينية على اختلاف مشاربها، ومن المعلوم ان السلطة الوطنية الفلسطينية جاءت كاحد افرازات (أوسلو)، حيث تشكلت هذه السلطة بموجب الاتفاقية الموقعة فى سبتمبر ١٩٩٣ بين حكومة اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية والمعروفة باعلان المبادئ (غزة - اريحا... اولا) أو اتفاقية (أوسلو)، وبالتالى فان تشكيل هذه السلطة واليات عملها محكومة بالسقف السياسى والامنى والاقتصادى للاتفاقية سابقة الذكر، كما ان حكومة هذه السلطة مطلوب منها الوفاء بالتعهدات والالتزامات الدولية بوصفها حكومة الشعب الفلسطيني، لذلك فان حماس عند دخولها انتخابات المجلس التشريعى وهو مؤسسة من مؤسسات اتفاق اسلو الذى تعارضه، وقبولها تشكيل حكومة تحت سقفه - اصرت على تشكيلها منفردة- كانت تدرك سلفاً انها ستكون مدعوة الى التسليم بالاتفاقيات المبرمة والاعتراف بنتائجها وتنفيذ التزاماتها، بل ان اصرار حماس على تشكيل الحكومة منفردة وضعها ومنذ اليوم الاول ليس فى مواجهة اسرائيل وحسب، بل وفى مواجهة المجتمع الدولى الذى راح يطالبها الاعتراف باسرائيل والالتزام بموجبات السلطة الوطنية، وفرض حصار على الشعب الفلسطيني، وقد كان بامكتن حماس الافلات او حتى على الاقل اضعاف الحجج الدولية فى حصار ومعاقبة الشعب الفلسطينى فيما لو انها قبلت الاعتراف باسرائيل ليس بوصفها حركة حماس وهو ما لم يطالبها احد به، وإنما بوصفها حكومة الشعب الفلسطينى الذى انشأت اصلا استناداً الى الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير الممثل الشرعى والوحيد للفلسطينيين من جهة، واسرائيل من جهة ثانية، فحركة فتح مثلا لم تعترف بإسرائيل لا قبل السلطة ولا حتى وهى فى السلطة، بل أن نظامها الأساسى استمر بعد أوسلو ولم تعدل بنوده الداعية إلى إقامة الدولة الفلسطينية على كافة أراضى فلسطين، وتدمير دولة إسرائيل، فالذى اعترف بإسرائيل هو منظمة التحرير كقاعدة عريضة للإجماع الوطني، والسلطة الوطنية هى هيئة من هيئات المنظمة وتابعة لها، وتمثل الفلسطينيين فى الداخل(الضفة الغربية وقطاع غزة)، ويقع على عاتق من يديرها موجب توارث التعهدات والالتزامات الدولية.

ثانيا: دور البديل: لقد تمثلت حرب إسرائيل على الشعب الفلسطينى ومنذ حرب ١٩٧٣ فى تلك الهجمة الشرسة على منظمة التحرير بما تمثله من قاعدة عريضة لإجماع الوطني، وحاضنة للقواسم المشتركة، وركيزة أساسية فى التمسك بالثوابت الوطنية الفلسطينية، وآمال شعبها فى العودة والدولة المستقلة وعاصمتها القدس، أى بوصفها الكيان السياسى الممثل والمتمثل فيه مختلف شرائح وقطاعات وقوى الشعب الفلسطيني، والمعبر عن أمالهم وتطلعاته، والناظم لتوجهاتهم السياسية، لذلك حاولت إسرائيل الالتفاف دائما على دور المنظمة وإلغاءه بخلق شرعيات أخرى أرادت لها أن تعبر عن جزء أو مشرب معين من الشعب الفلسطيني، وذلك لتصادر الحقوق الوطنية الفلسطينية فى العودة والاستقلال، ولتلقى عن كاهلها تبعة المسؤولية الإنسانية عن معاناة ملأيين اللاجئين فى المنافى والداخل الفلسطيني، وعما لحق بهم مت تشرد وارتكبته فى حقهم من مجازر، فكان أن ابتدعت ما عرف بروابط القرى فى السبعينيات، وعندما فشلت شكلت المجالس البلدية فى الثمانينيات والتى هى الأخرى لم يكتب لها النجاح بسحب البساط من تحت إقدام منظمة التحرير بفعل الحضور الدولى والإقليمى للمنظمة، والتفاف الجماهير الفلسطينية حولها، ثم كانت محاولة الإلغاء والتهميش فى مؤتمر مدريد عندما أصرت إسرائيل على عدم مشاركة منظمة التحرير، وان يقتصر الوفد الفلسطينى المفاوض على (فلسطينيى الداخل)، وان لا يضم الوفد أى عضو ينتمى إلى منظمة التحرير، وهو الأمر الذى أفشلته المنظمة والوفد المفاوض، حيث صرح رئيسه الدكتور حيدر عبد الشافى قائلا « جئنا هنا بناء على قرار قيادتنا» أى قيادة منظمة التحرير، وقال أيضا « بناءا على مبادرة السلام التى طرحها برلماننا » قاصدا بذلك المجلس الوطنى الفلسطيني، لياتى بعد ذلك عض الطرف الاسرائيلى عن جماعة المجمع الاسلامى (وهو التشكيل الذى بدأت من خلاله حركة حماس)، لتكون النقيض لمنظمة التحرير، وقد راحت حماس تنجر وراء هذا الهدف الاسرائيلى جاهدة لتكون البديل عن منظمة التحرير وهو ما تجسد فى ما يلي:

١- من خلال ما قامت به حماس من انقلاب فى قطاع غزة ادى الى انقسام الشعب الفلسطينى والعصف بوحدته، محاولة فرض سلطة الامر الواقع والاستقلال بقطاع غزة تحت ادارتها، فرفضت سفر الحجاج الفلسطينيين لعدم التنسيق معها، ومنعت خروج الجرحى فى بدأية العدوان الاسرائيلى على القطاع فى ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٨، أيضا لعدم التنسيق معها، وابقت معبر رفح مغلقاً برفضها أية مبادرة لفتحه لا تتضمن الاقرار لحماس بنوع من التواجد والسيادة علية.

٢- من خلال تصريحات العديد من قيادات حماس وعلى راسهم خالد مشعل رئيس مكتبها السياسي، والذى

دعا فى ٢٠٠٨/٨/٢٧، فى مقابلة مع شبكة (سي ان ان الامريكية) الولأيات المتحدة لاعتماد حماس مفاوضا فلسطينياً بديلاً للرئيس عباس وفريقه المفاوض، وكذلك ما قامت به حماس وعلى مدار ستة اشهر من تثبيت للتهدئة مع اسرائيل والتى جرت بوساطة مصرية، ومن خلال اعتقال العديد من المقاومين، بل واعتبار على لسان احد قيادييها الدكتور محمود الزهار ان كل من يطلق الصواريخ على اسرائيل خائن وعميل، وكلها رسائل ارادت حركة حماس انت تقول من خلالها لاسرائيل والولأيات المتحدة انهم قادرون على ضمان الامن لاسرائيل مقابل الاعتراف بحركة حماس والتعامل معها بوصفها الممثل الشرعى للشعب الفلسطيني والقادر على فرض الحلول التى تتوصل اليها مع اسرائيل.

وكان الاجدر لحركة حماس ان لا تقفز على الشرعية الفلسطينية ممثلة بمنظمة التحرير والتنكر لها وعدم الاعتراف بها وهى وليدة النضال الوطنى الفلسطيني، بل ان تنسق الجهود وتوزع وتتقاسم الادوار معها فى ادارة اللعبة السياسية، بما يخدم ويحقق مصلحة الشعب الفلسطيني فى انهاء الاحتلال واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

ثالثاً: التناقضات الاقليمية: زجت السياسات الخاطئة لحركة حماس بالقضية الفلسطينية فى رحى التناقضات والاصطفافات للمحاور الاقليمية، تحديدا فى تجاذبات الخلافات الأيرانية - المصرية، فأيران الدولة الساعية لتعزيز نفوذها فى المنطقة - وخاصة بعدما اصبحت القوى الاقليمة الاولى فى الخليج العربى بعد سقوط نظان الرئيس صدام حسين- تريد ان تستعرض اوراق قوتها فى المنطقة فى صراعها مع الولأيات المتحدة، وان كان هذا من حقها، ولكن شريطة ان لا يكون على حساب الدم اللبنانى والفلسطيني، وخاصة فى ظل الاختلال الكبير فى موازين القوة لصالح اسرائيل، مقابل الامكانيات المحدودة والمتواضعة للشعبين الفلسطيني واللبناني، فلا يجوز استخدامهم كورقة فى الصراع الأيرانى مع الولأيات المتحدة واسرائيل، الا بما يخدم ويحقق المصالح العليا للشعبين واستنادا الى التوافق الوطني، بل ان اخطر ما فى هذا الاستخدام الوظيفى انه يتعارض مع مصالح العديد من الدول العربية الفاعلة والمؤثرة، ويشكل فيه تهديد لامنها القومي، وهو ما انعكس سلبا على مواقف هذه الدول المعروفة بدورها المحورى والمساند للشعب الفلسطيني، حيث نظرت مصر الى ما يجرى من عدوان على قطاع غزة على انه عرض للقوة بين كل من أيران من جهة واسرائيل وامريكا من جهة اخرى، بل هو صراع بين هذه القوى على الاراضى الفلسطينية وبشعب فلسطين، وهو يستهدف بالاساس النيل من الدور المصري، واداة للتدخل فى الشؤون الداخلية لمصر، وهو ما عكسته بوضوح تلك التصريحات للمسؤولين الأيرانين الذين اعتبروا فيها ان مصر متواطئة فى العدوان على غزة، بل ان الامين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله كان قد دعى الشعب المصرى وحرض ضباط الجيش الى الانقلاب على قياداتهم، هذه الاصطفافات اديت الى خسارة حماس الطرف المصرى فى صراعها مع اسرائيل، مع ما لمصر من ثقل ودور فاعل فى مجريات الصراع العربى الاسرائيلى عموما، وعلى صعيد اخر مثل هذا التطور وتحالف حماس مع أيران انقلاب لدور حماس من وجهة النظر الاسرائيلية، والتى كانت تريد من حماس ان تبقى حماس ضمن الاطار والدور الذى رسمته لها ضمن استراتيجيتها فى التعامل مع الشعب الفلسطيني، أى دور النقيض لمنظمة التحرير، وحجر الزاوية فى الانقسام الفلسطيني، بما لذلك من اضعاف للصف الفلسطيني بجناحيه المفاوض والمقاوم، ولكن عندما اصبحت الفائدة من كون حماس عامل هام فى الانقسام الفلسطيني، اقل بكثير من كون حماس باتت تشكل قاعدة وامتداد للنفوذ الأيرانى من وجهة النظر الاسرائيلية، فانه تعين على اسرائيل مهاجمتها وضرب بنيتها التحتية دون القضاء عليها طبعا، وهو ما تمثل فى العدوان على قطاع غزة.

وبالتالى فان على الفلسطينيين بمختلف اطيافهم ان يدركو- وهو ما بات مسلم به- ان وحدة الصف وتغليب الاجندة الفلسطينية على سواها من اجندات اقليمية او دولية او فصائلية، وهو الرافعة الحقيقية الضامنة والرادعة لأى عدوان من ان يحقق اهدافه، كما ان الاعلاء من المصالح العليا للشعب الفلسطيني والابتعاد بقضيته عن المحاور الاقليمية والصراعات والتجاذبات الاقليمية، والنأى بها عن الاستخدامات الوظيفية من قبل الغير، وجعل التناقض الرئيسى مع الاحتلال الاسرائيلي باهدافه ومشاريعه التصفويه، وهذا بعينه يعد الحاضنة لبقاء وجود القضية الفلسطينية وسلامة قدسيتها، والحفاظ على نوع من الاجماع العربي- برغم ما يعترى الوضع العربى من تدهور وتشرذم- تجاه الشعب الفلسطيني وقضيته، وكما انه لا يوجد ولا قيمة لمفاوضات من اجل التفاوض، فان المقاومة أيضا لا تكون من اجل المقاومة فقط، فلا بد من برنامج سياسى واهداف سياسية وفق قاعدة الاجماع الوطنى فى كلا الحالتين، ولا يحق لأى فصيل فلسطينى ان يدعى لنفسه المقاومة دون غيره، وخاصة بعدم اصبح السقف السياسى لحركة حماس قريبا جدا من السقف السياسى لحركة فتح، فهدنة او معاهدة او اتفاقية، كلها مصطلحات تقوم على التنازل المتبادل، والتفاوض مع العدو سواء بشكل مباشر او غير مباشر، وهى مفاهيم الغرض منها محاولة تسخير تضحيات الشعب الفلسطيني لتحقيق الانجازات الوطنية، او تحقيق قدرا من الهدوء يستطيع الشعب من خلاله التقاط انفاسه، وبناء امكانياته واعدادها، لخوض معركة التحرر من الاحتلال والاستقلال واقامة الدولة الفلسطينية، وليس خوض معركة سقفها الاعلى فتح معبر او رفع حصار عن هذا الجزء او ذاك من الوطن بمعزل عن الاهداف الوطنية الجامعة.

رؤية عربية

٢

قراءة فى أوراق حرب غزة

د. أشرف الشرقاوي
مدرس اللغة العبرية والفكر الصهيونى بآداب المنصورة

انتهت رسمياً الحرب على غزة بعد أن أعلنت إسرائيل وقف إطلاق النار من طرف واحد، وتجاوبت معها حركة حماس والفصائل الفلسطينية، بعد إطلاق بضع صواريخ غاضبة، وبعد تحديد مهلة أسبوع لقوات «الاحتلال» للانسحاب من غزة. استمرت الحرب ٢٢ يوماً، سقط خلالها ما يزيد عن ١٣٠٠ شهيد فلسطيني من بينهم ٤٨ فقط من المقاتلين من كتائب القسام وبضع مقاتلين من الفصائل الأخرى والباقى من المدنيين، و١٨ جندياً إسرائيلياً حسب رواية إسرائيل (ولكنهم ٤٩ حسب رواية حماس التى هى أقرب للتصديق). أطلق الفلسطينيون خلال الحرب نحو٧٨٨ صاروخا على بلدات مختلفة فى إسرائيل، من بينها ٢٦ صاروخا فى اليوم الأخير للحرب. ووصل مدى الصواريخ التى أطلقت لنحو ٤٥ كيلومتراً، فأصابت سديروت وأشدود وعسقلان وجديرة وكريات جت وأوفاكيم وبئر سبع. وفى مقابل ذلك دمرت إسرائيل البنية التحتية لقطاع غزة بالكامل.

حتى الآن لا يمكن تقدير الخسائر الإسرائيلية فى هذه الحرب بالكامل نظراً للتعتيم الإعلامى الذى فرضته الحكومة الإسرائيلية، التى حظرت نشر أى شيء عن الخسائر الإسرائيلية فى الحرب، ومنعت مراسلى كبرى شبكات الأخبار من تغطية الخسائر فى الجانب الإسرائيلي. وربما يرجع ذلك إلى رغبة إسرائيل فى الظهور بمظهر دولة عظمى على المستوى الإقليمي، لا يمكن أن تتأثر بشكل جدى من حرب مع منظمة بمستوى حماس. مع بداية الحرب فى يوم ٢٧ ديسمبر عقد رئيس الوزراء إهود أولمرت مؤتمراً صحفياً شارك فيه وزير الدفاع إهود باراك ووزيرة الخارجية تسيبى ليفنى وتحدث فيه عن أهداف الحرب بشكل شابه قدر كبير من الغموض، حيث قال: «تهدف العملية إلى تحسين الواقع الأمنى لأهالى الجنوب بشكل جذرى (٢٧/١٢/٢٠٠٨ ynet). كما ذكر بيان صدر عن مكتب رئيس الوزراء أولمرت، بعد بداية الهجوم فى اليوم نفسه، أن تعليمات قد صدرت للجيش الإسرائيلى بالعمل من أجل وقف إطلاق الصواريخ، ووقف الهجمات الإرهابية القادمة من الجنوب للمدى الطويل (٢٧/١٢/٢٠٠٨ ynet). وقد فسر المحلل السياسى المقرب للحكومة الإسرائيلية رون بن يشاى هذه الأهداف بقوله: "معنى ذلك أن دولة إسرائيل وجيشها لا يسعيان لإسقاط حكومة حماس، وإنما يسعيان لتحقيق وقف إطلاق نار مستقر للمدى الطويل يتضمن وقف القصف القادم من القطاع ووقف الهجمات بطول مسار الجدار الحدودى وبالقرب منه وضرب قدرة حماس والمنظمات المسلحة على التزود بالأسلحة سواء المهربة أو المصنعة محلياً.. وباختصار فإن الحكومة الإسرائيلية لا تسعى إلى مجرد تحقيق وقف إطلاق نار لفترة طويلة فى الجنوب، بل تسعى إلى ضرب قدرة حماس على بناء قوة مدمرة تتيح للمنظمة - بعد انتهاء الجولة العسكرية التى بدأت أمس- استئناف القصف حين تقرر ذلك.. أما الهدف الآخر للهجوم على غزة فهو تطوير قدرة الردع الإسرائيلية ليس فى مواجهة حماس وإنما فى مواجهة العناصر التى تهددنا ومن بينها سوريا وإيران وحزب الله" (ynet٢٨/١٢/٢٠٠٨). وفى المؤتمر الصحفى تحدث أولمرت عن الجندى الإسرائيلى الأسير جلعاد شاليط، معبراً عن تضامنه مع ما يشعر به أهله من قلق لأجله. والملاحظ هنا أن الهدف الذى حددته الحكومة هو هدف مطاط لا يمكن قياس مدى تحققه عملياً. فمن الذى يحدد أن الواقع الأمنى قد تحسن. هل يتحسن هذا الواقع لو توقف إطلاق الصواريخ على إسرائيل..؟ وهل يتحقق لو قل معدل إطلاق الصواريخ..؟ وماذا لو استمر إطلاق الصواريخ بنفس المعدل، هل يمكن أن يكون هذا الهدف تحقق فى هذه الحالة أيضاً..؟ وهل هناك عناصر أخرى يمكن قياس تحقق الهدف بها غير إطلاق الصواريخ..؟

من المفترض فى الحروب بصفة عامة أنها تأتى فى إطار محاولة لتحريك موقف غير قابل للتحريك بالوسائل الأخرى. ومع وقف إطلاق النار تكون هناك حاجة فى العادة لاستكمال ما تم فى الحرب من خلال الوسائل الدبلوماسية. ولكن قبل الحديث عن نتائج الحرب هناك حاجة لاستعراض بعض الخلفيات التى شهدتها الفترة السابقة على بداية الحرب، والتى لا شك أنها كانت جزءاً من الأسباب التى أدت إليها، والتى يمكن أن تؤدى لحرب تالية، لو لم يتم التعامل معها بالوسائل الدبلوماسية.

أولاً: رغم زعم إسرائيل أنها انسحبت تماماً من قطاع غزة، بعد تنفيذ خطة فك الارتباط، إلا أنها لا تزال تفرض عليه حصاراً برياً وبحرياً وجوياً صارماً، وتمنع وصول الأغذية والأدوية والوقود ومواد الإغاثة الإنسانية، مما تسبب فى أزمة إنسانية صارخة فى قطاع غزة، تقع المسئولية عنها على دولة إسرائيل باعتبارها دولة الاحتلال والحصار.

ثانياً: لا تزال إسرائيل تحتل الأراضى الفلسطينية فى الضفة الغربية والقدس الشرقية. وهذا مبرر كاف فى نظر كثيرين لاستمرار فصائل المقاومة فى غزة فى كافة ما تسطيع القيام به من أعمال عدائية ضد إسرائيل، بهدف دفعها إلى السعى للتوصل إلى تسوية تكفل انسحابها من الأراضى المحتلة.

ثالثاً: رغم توقيع اتفاقيات أوسلو بين إسرائيل وفتح منذ عام ١٩٩٣ إلا أن المحصلة النهاية لهذه الاتفاقيات حتى الآن لا تزال صفراً. ولا تزال الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة ترفض مجرد الإعلان عن نواياها فيما يتعلق بالانسحاب من الأراضى الفلسطينية المحتلة، بموجب قرارات مجلس الأمن ٢٤٢، و٣٣٨، وهى المرجعيات الدولية التى لا تزال مقبولة لإنهاء الصراع الفلسطينى الإسرائيلي. وفى غيبة إعلان إسرائيلى واضح وقاطع عن نية إسرائيل الانسحاب من الأراضى التى احتلتها فى يونيو ١٩٦٧، يبقى خيار المقاومة المسلحة - مهما كان ضعفها - هو الخيار الأمثل للفلسطينيين، نظراً لأنه يحتفظ للقضية الفلسطينية بمكانها فى وعى دول العالم، فيما قد يشجع على طرح حلول لها.

رابعاً: تستغل إسرائيل التشابه بينها وبين الولايات المتحدة لضمان استمرار الدعم الأمريكى لها. فالولايات المتحدة قامت على أراضى الهنود الحمر بعد عمليات إبادة جماعية، وإسرائيل قامت على أراضى الفلسطينيين بعد عمليات إبادة جماعية، والولايات المتحدة هى قوة احتلال فى العراق، رغم زعمها أنها لم تعد كذلك، وإسرائيل لا تزال قوة احتلال فى الضفة والقدس الشرقية، بل وفى غزة أيضاً رغم زعمها أنها لم تعد كذلك. غير أن المسألة ليست قاصرة على هذا التشابه. فهناك تعاطف من الطوائف الإنجيلية فى الولايات المتحدة مع إسرائيل، نظراً لإيمان هذه الطوائف الدينى بأن مذابح هائلة ستحدث فى الشرق الأوسط ستليها عودة المسيح، ودعم هذه الطوائف لإسرائيل هو نوع من تعجل عودة المسيح. ونظراً لما تمثله هذه الطوائف من قوة انتخابية لا يستهان بها فى الولايات المتحدة، وخاصة فى منطقة الساحل الشرقي، فليس فى استطاعة أى إدارة أمريكية تجاهل معتقداتها، حتى لو نظر إليها البعض على أنها هوس ديني.

خامساً: هناك مجموعة قرارات صادرة عن مجلس الأمن بشأن النزاع العربى الإسرائيلي ولم تُنفذ حتى الآن، أهمها القرارات ١٨١، و٢٤٢، و٣٣٨. ويعد قرار التقسيم الأساس الدولى لوجود إسرائيل والدولة الفلسطينية التى لا يزال الفلسطينيون يتلكأون فى الإعلان عن قيامها فى حدود قرار التقسيم، لسبب غير واضح.

وإذا كانت هذه الخلفيات توضح لنا الصورة فى الفترة السابقة على بداية الحرب الإسرائيلية على غزة فلا شك أن الصورة لا يمكن أن تكتمل سوى إذا أضفنا إليها بعض الحقائق الأساسية، منها ما يرتبط بما عرفه القاموس السياسى مؤخراً باسم التهدئة، والمقصود بها وقف إطلاق النار المؤقت بين حماس وإسرائيل الذى تم التوصل إليه فى العام الماضى بمبادرة مصرية، ومنها ما يرتبط بأحداث حدثت خلال الحرب نفسها. ومن بين هذه الحقائق ما يلي:

١ - كانت إسرائيل هى البادئة بانتهاك التهدئة بعد أيام من إقرارها، حيث واصلت قصف مواقع فى غزة بهدف اغتيال قيادات فصائل المقاومة الفلسطينية، دون أن تحفل بسقوط ضحايا من المدنيين.

٢- بعد انتهاء فترة التهدئة كانت إسرائيل هى الطرف الذى رفض تجديد التهدئة رغم إبداء الفصائل الفلسطينية المختلفة رغبتها فى ذلك، ورغم المساعى المصرية للوساطة بين الطرفين.

٣- كانت إسرائيل هى البادئة بالعدوان على غزة بعد انتهاء التهدئة من خلال اغتيال رجال المقاومة الفلسطينية، الذين وصفتهم بنشطاء الإرهاب (راجع جميع الصحف الإسرائيلية بشأن الاغتيالات الموجهة ضد نشطاء الفصائل الفلسطينية فى الأيام السابقة على الحرب). ورغم ذلك فقد كان هناك إجماع شبه تام بين الجمهور الإسرائيلى على تأييد استمرار الحرب على غزة طوال فترة الحرب، تجاوزت نسبته ٩٥٪، غير أن هذه النسبة انخفضت بعد يومين من نهاية الحرب لتصل إلى ٤٠٪ بسبب تفاهة الإنجازات التى تحققت فيها.

٤- كانت إسرائيل هى البادئة بالحرب الأخيرة، التى فوجئ الفلسطينيون باندلاعها، وإن كان اطمئنانهم إلى أنها لن تقع هو الآخر خطيئة لا تغتفر.

٥- أبدت الصحافة الإسرائيلية والعالمية التزاماً بتعليمات الجيش الإسرائيلى فيما يتعلق بتغطية الخسائر الإسرائيلية فى

الحرب. فلا تكاد تكون هناك صحيفة أو شبكة إخبارية سعت لتغطية حقيقية لهذه الخسائر من خلف ظهر الجيش الإسرائيلي أو من مصادر أخرى سوى بالكاد، وفى أضيق الحدود.

٦- قامت فنزويلا بطرد السفير الإسرائيلي من أراضيها، واستدعت عمان سفيرها فى تل أبيب للتشاور. كما أغلقت قطر المكتب التجارى الإسرائيلي فى الدوحة، استجابة لقرارات القمة التى عُقدت فى قطر.

٧- لم يتمكن مجلس الأمن من اتخاذ قرار بوقف إطلاق النار سوى بعد أسبوعين كاملين، ولم يتضمن القرار آلية لوقف إطلاق النار، وهو ما يعنى بوضوح أن الدول الكبرى كانت ترغب فى إعطاء إسرائيل مهلة لتنهى المهمة التى بدأتها فى غزة. ويعد هذا الموقف اللافت للنظر تكرارا لنفس ما فعله مجلس الأمن من قبل مع لبنان فى حرب لبنان الثانية، التى كانت إسرائيل تسعى من خلالها للقضاء على حزب الله.

٨- لم يتمكن الزعماء العرب من عقد قمة حول غزة سوى بعد ثلاثة أسابيع، لتخرج بقرارات هزيلة، ما كان يجب عقد قمة لإصدارها. ورغم اعتقاد البعض بأنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان، إلا أن العرب فى أيديهم أوراق كثيرة، ولكنهم يفتقرون للإرادة وللرغبة فى استخدام الأوراق المتاحة لهم، لاسيما وأن هناك قوات أجنبية (أمريكية وغربية) فى عدد كبير من الدول العربية النفطية، التى يمكن لإرادتها أن تكون مؤثرة على عدد كبير من دول العالم.

٩- رغم انطلاق المظاهرات فى كافة أنحاء العالم تقريباً تأييداً للفلسطينيين المحاصرين، الذين كانوا يتعرضون للقصف فى غزة، إلا أن مواقف قيادات الولايات المتحدة والدول الغربية كانت مخالفة للمواقف التى يبدو أن الشعوب تعبر عنها بهذه المظاهرات. ويبين لنا هذا بوضوح وجود قصور شديد فى النشاط الدبلوماسى العربى وقدرته على مخاطبة قيادات العالم وإقناعها بعدالة المواقف العربية، على عكس موقف الإعلام الذى تمكن من تحريك الرأى العام فى الشارع.

١٠- لم تقم أى عناصر إسرائيلية - بما فى ذلك ما يوصف بقوى السلام- بتحرك جدى للاحتجاج على مذابح غزة سوى قبيل نهاية الحرب، بعد أن تبين فعلياً أنها لن تحقق إنجازاً عملياً يذكر، ولن تخلف سوى آلاف الفلسطينيين الذين يستعدون للثأر من إسرائيل بعد سقوط أبنائهم وإخوانهم فى الحرب دون ذنب جنوه.

*** أساليب العمل الإسرائيلية فى زمن الحرب:**

تعددت أساليب العمل العسكرى الإسرائيلي، الذى صاحبته محاولات لإيقاع ضغوط نفسية مشددة على أهالى غزة لتحقيق أكبر فائدة ممكنة لإسرائيل من الحرب، وقد تشابهت أساليب العمل التى انتهجها الجيش الإسرائيلي فى حرب غزة مع أساليبه فى حرب لبنان الثانية ضد حزب الله، فيما يمكن أن يكشف عن نمط عمل شبه ثابت أصبح سمة للجيش الإسرائيلي، ويمكن رصده بعيداً عن الحروب الكبيرة أيضاً فى العمليات العسكرية المحدودة، مثل عملية اغتيال صلاح شحاده التى قصف فيها الجيش الإسرائيلي منطقة سكنية بقنابل زنة ألف رطل.

سعت إسرائيل من خلال حرب لبنان وحرب غزة أن توضح للجانب اللبنانى ثم للجانب الفلسطينى أنها أصيبت بالجنون (أو على حد تعبير قادتها أن صاحب البيت أصيب بالجنون). وكان الهدف من ذلك هو جعل جميع الأطراف العربية الأخرى أيضاً، ولاسيما سوريا، تلتزم بالحذر فى تعاملها مع هذه الدولة المجنونة، حتى لا تتعرض لما تعرض له لبنان وغزة من دمار شامل.

تعمدت إسرائيل طوال فترة الحرب سواء ضد لبنان أو ضد غزة قصف المدنيين. وقد اتضحت النية المسبقة لاستخدام العنف المفرط من خلال ما كتبه المحلل العسكرى الإسرائيلي رون بن يشاى فى مقالة له مع بداية الحرب على غزة، أكد فيها أن كل قصف صاروخى من جانب الفصائل الفلسطينية سوف يُقابل برد مبالغ فيه. وهو ما يعنى أن القصف المبالغ فيه ضد المدنيين ومؤسسات الإغاثة الإنسانية متعمد ومقصود. وهو ما أكده مرة أخرى الصحفى الإسرائيلي آلون بن دافيد فى مقال تحت نشره بتاريخ ٩/١/٢٠٠٩ فى مجلة جينز العسكرية تحت عنوان «Israeli offensive seeks <new security reality> in Gaza».

تعمدت إسرائيل قصف مؤسسات تابعة للأمم المتحدة على امتداد فترة الحرب، حتى توضح للطرف الفلسطينى أنها غير معنية بأى ضغوط دولية، سواء لوقف إطلاق النار أو للامتناع عن ضرب المدنيين.

جاء تعمد إسرائيل المبالغة فى إيقاع ضحايا بين صفوف المدنيين بشكل متعمد، ليتماشى مع اتجاه المدرسة العسكرية الأمريكية الذى تم استخدامه فى الحرب على العراق، وفى فيتنام من قبل، والذى يرى أن قصف المدنيين والضغط عليهم هو أفضل الوسائل فعالية، حيث سيتسبب فى ضغط مباشر على النظام يتسبب فى إسقاطه. ويوضح لنا هذا مدى عدم الفهم للعقلية الشرقية التى يتسبب فيها قصف المدنيين فى مزيد من تضامنهم مع الأنظمة الحاكمة، ومع الطرف المستهدف بالحرب على وجه العموم، وهو ما شهدناه سواء فى العراق أو فى لبنان أو فى غزة.

حاولت قوات الجيش الإسرائيلي - من خلال قصف المدنيين - إجبار آلاف الفلسطينيين على النزوح من قطاع غزة، ولم يكن هناك مكان يمكن أن يفروا إليه سوى مصر. ولو سمحت مصر بقبول تدفق اللاجئين على حدودها لأقيمت لأجلهم فى سيناء مخيمات مماثلة لتلك التى أقيمت

للاجئين الفلسطينيين بعد حروب ١٩٤٨ و١٩٦٧، ولما سُمح لهم بالعودة إلى غزة مرة أخرى، وكانت هذه ستصبح بداية لتنفيذ المخطط الإسرائيلي المعلن بشأن سيناء، والذي يجب أن تنظر إله الحكومة المصرية على أنه عمل عدائي.

تعمدت إسرائيل تدمير البنية التحتية لقطاع غزة، فقصفت المرافق والمستشفيات ومدارس الأونروا ومقار الشرطة والبلديات والمساجد، وهي تدرك أن إصلاح كل هذه الأشياء سوف يستغرق من الفلسطينيين وقتاً طويلاً ينشغلون خلاله عن محاولة استفزازها بإطلاق الصواريخ مرة أخرى، على الأقل إلى حين انتهاء الانتخابات الوشيكة، التي كانت هذه الحرب جزءاً من دعايتها الانتخابية.

هناك استنتاجات عديدة يمكن أن يصل إليها المراقب من رصد الموقف على النحو الذي سبق تفصيله، لعل أهمها ما يلي:

١- هناك عنصران أساسيان كانا السبب في الحرب. الأول هو الانتخابات الإسرائيلية ورغبة إهود باراك زعيم حزب العمل وتسيبي ليفني زعيمة حزب كاديما تحسين موقفهما في نظر الناخب، الذي كان يعتبر حزب العمل وحزب كاديما جزءاً من الفشل الذي حدث في حرب لبنان الثانية. وقد شهدت فترة الحرب بالفعل تزايد شعبية الحزبين، حيث أعطت استطلاعات الرأي التي جرت في فترة الحرب لحزب العمل ١٧-١٨ مقعداً في الكنيست ولحزب كاديما ٢٥-٢٧ مقعداً فيما لا يزال الليكود يحتل مكان الصدارة محققاً ٣٢ مقعداً في استطلاعات الرأي. غير أن هذا الوضع يمكن أن يتغير مع تآكل الإنجازات التي صورت الحكومة أنها حققتها بهذه الحرب خلال الشهر القادم أثناء المعركة الانتخابية.

٢- رغم استدعاء الجيش الإسرائيلي لقوات الاحتياط (تم استدعاء ٦٥٠٠ جندي احتياط) اعتباراً من بداية العمليات البرية في اليوم الثامن للحرب وإشراكها في القتال، إلا أنه يمكن القول بأن إشراك هذه القوات لم يكن له تأثير يُذكر، سوى التأثير المعنوي على الجمهور الإسرائيلي الذي بات يعتقد أن جيشه حشد قوات هائلة لمواجهة حماس. أما على أرض الواقع، فلا يكاد يكون هناك إنجاز إضافي تحقق، إلا إذا اعتبرنا سقوط مئة قتيل آخر كان أقصى ما يطمح إليه الجيش الإسرائيلي.

٣- رغم امتناع سوريا وحزب الله عن التورط المباشر في الحرب، إلا أن الطرفان كانا يرغبان في دفع مصر باتجاه المواجهة بغض النظر عن حساباتها الوطنية والخيارات المتاحة لها، ويُحسب للقيادة المصرية امتناعها عن التورط في الحرب، وإن كانت هناك بعض الخيارات والإجراءات الأخرى التي كان من الممكن أن يكون لها قدر أكبر من الفعالية، غير أن حسابات القيادة تختلف بالطبع عن حسابات من يرى من الخارج.

٤- إن طرد السفير الإسرائيلي أو استدعاء السفير المصري من تل أبيب ليس مرفوضاً من الناحية المبدئية. غير أن مثل هذه الخطوة كان سيترتب عليها وقف اتصالات ضرورية لإنهاء حرب غزة وإنهاء معاناة سكانها، وهو ما كانت مصر تعطيه المكان الأول من اهتماماتها.

٥- هناك حاجة لبلورة خطاب دبلوماسي منطقي للتعامل مع دول العالم المتمدين وإقناعها بعدالة المواقف العربية، وطلب دعمها لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، وتحقيق تسوية بما يتفق مع قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالصراع العربي الإسرائيلي، بغض النظر عن التسويات التعاقدية التي تسعى إليها أطراف مختلفة، والتي تهدف إسرائيل من ورائها إلى ابتزاز تنازلات من الأطراف العربية.

٦- حرب غزة ليست آخر الحروب. فلا يزال التوتر موجوداً ويتصاعد طوال الوقت، وطالما ظل هذا التوتر يملأ الأجواء ستظل هناك دائماً إمكانية لاندلاع حرب أخرى، ربما تكون هذه المرة ضد حزب الله في محاولة لاستعادة الردع ضده أو ضد سوريا بذريعة أو بأخرى.

٧- الملاحظ من النشاط الذي قام به الأمريكيون والفرنسيون وأطراف أوربية أخرى أن هناك رغبة في الاحتفاظ بحالة التوتر في المنطقة. وهذه الحالة المتوترة ستؤدي بالضرورة إلى تفجر حرب أخرى. ولابد من التأكيد على أن استمرار حالة التوتر في المنطقة ليس في صالح مصر، التي أظن أنها ليست في مأمن حتى رغم تمسكها بكافة بنود اتفاقيات السلام مع إسرائيل. فلا يجب أن تشعر بالأمان الزائد عن الحد وتسترخي حتى تؤخذ على غرة. فإسرائيل لها طموحات بالنسبة لسيناء- سبق أن عبر عنها مستشار رئيس الوزراء الإسرائيلي عوزي أراد في خطة أعدها بالاشتراك مع جدعون بيجر وراحيل ماكتيجر وطرحها على مؤتمر هرتسليا (٢٠٠٨)، وتدعو لتبادل أراضي في الشرق الأوسط، تكون مصر طرفاً فيه ويتم في إطاره إعطاء جزء من سيناء- بين غزة والعريش- للفلسطينيين ليكون امتداداً لغزة حتى يمكنهم إقامة دولتهم دون أن تضطر إسرائيل للانسحاب من الأراضي التي احتلتها في يونيو ١٩٦٧.

٨- لابد من ملاحقة مجرمي الحرب الإسرائيليين الذين شاركوا في قصف مؤسسات الإغاثة الدولية والمواقع المدنية، بدءاً من مستوى القادة السياسيين ووصولاً قدر الإمكان لمستوى التنفيذ الميداني، حتى لا يشعر أي مجرم أنه في مأمن، بما يشجع المجرم التالي على ارتكاب جريمته. وحتى لو يمكن القبض على أي منهم، فيكفي أن يظلوا سجناء في بلادهم، لا يستطيعون مغادرتها خشية القبض عليهم في دول أخرى ومحاكمتهم.

٩- على الدول العربية أن تمتنع عن استقبال أى من القادة الإسرائيليين الذين شاركوا فى اتخاذ القرارات الإجرامية بشأن الحرب على غزة، سواء على المستوى السياسى (أولمرت- باراك- ليفني) أو على المستوى العسكري (جابى إشكنازي). فالقادة العسكريون فى إسرائيل أيضاً يجهزون أنفسهم لدخول معترك السياسة بعد انتهاء عملهم العسكري، وسيكون فى الإعلان عن الامتناع عن استقبال أمثال هؤلاء وأداً لمستقبلهم السياسى بما يجعل غيرهم يفكر ألف مرة قبل اللجوء لارتكاب مثل هذه الجرائم. فلا توجد دولة يمكن أن تنتخب شخصاً منبوذاً أو مصاباً بالجرب ليحتل رأس الهرم القيادى فيها.

١٠- فشل الجيش الإسرائيلى إلى حد كبير فى تحقيق أهدافه المعلنة من وراء هذه الحرب. فلم تتوقف حركة حماس عن قصف مدن إسرائيل بالصواريخ بنفس الكثافة تقريباً حتى آخر أيام الحرب، ولم يحدث أى جديد يزيد من فرصة تحرير الجندى الإسرائيلى الأسير لدى حماس، وحتى تحسين الواقع الأمنى لم يتم على النحو الذى رغبت فيه القيادة الإسرائيلية، ولا يكاد يكون هناك ضرر حقيقى لحق بقدرة حماس على إطلاق الصواريخ، ولم تتمكن إسرائيل من استعادة قدرتها على الردع. وكان كل ما نجح فيه الجيش هو تكريس فكرة الجنون الإسرائيلى بإلحاق أكبر قدر من الدمار فى قطاع غزة. وفى ثقافة الشرق الأوسط- التى ربما لا يعرفها الإسرائيليون لأنهم غرباء عن المنطقة- يتعرض المجانين للنبذ والإقصاء والمقاطعة وربما العقاب، ولابد أن تعرف إسرائيل هذا وأن تجربه. فالتعامل معها بنفس الطريقة التى يتم بها التعامل مع المجانين سيجعلها تدرك أن ادعاء الجنون لن يحقق لها أهدافها، وأنه سيضرها أكثر مما سينفعها. غير أن فشل الجيش الإسرائيلى لا يعنى انتصار حركة حماس، وإنما يعنى أن هناك قادة لم يخلقوا للنجاح.

١١- كانت الاتفاقية الأمنية التى وقعتها وزيرة الخارجية ليفنى مع نظيرتها الأمريكية كونداليزا رايس بمثابة حبل نجاة أتاح وقف القتال من طرف واحد، حيث سيتم تسويقها للمجتمع الإسرائيلى على أنها خطوة حيوية فى اتجاه وقف تهريب السلاح بما يحقق الهدف من الحرب على المدى الطويل، بينما لم يكن ذلك ليتحقق دون موافقة إسرائيل على مطلب مصرى سابق بزيادة القوات المصرية فى سيناء من أجل منع تهريب السلاح.

١٢- رغم الدمار الشديد الذى لحق بغزة، والذى لحق بلا شك بالقدرات القتالية لحركة حماس وسائر فصائل المقاومة الفلسطينية، فلا شك أن هذه الحرب فتحت الباب إلى حد ما لإعطاء الشرعية لحركة حماس، ولسيطرتها على قطاع غزة. غير أن هذه الشرعية المنقوصة تهدف فى اعتقادى إلى دفع حماس مرة أخرى فى اتجاه اعتراف صريح أو ضمنى بإسرائيل دون الحصول على الحد الأدنى المناسب من المقابل، وهو دولة فلسطينية كاملة السيادة وقابلة للحياة فى حدود ١٩٦٧. وإذا وقعت حماس فى نفس الفخ الذى وقع فيه عرفات من قل واعترفت بإسرائيل قبل اعتراف إسرائيل بهذه الدولة فلن تحصل على شيء، والأفضل لها إن وجدت نفسها مضطرة لذلك أن تعود إلى خندق الكفاح وأن تترك خندق السياسة، حتى يظل هناك من يسعى لتحقيق حلم الدولة.

١٣- لا يمكن الاطمئنان إلى التصريحات الصادرة عن الرئيس الأمريكى الجديد باراك أوباما، بشأن وجود رئيس حالى للولايات المتحدة. ومن الواضح أنه فضل هو الآخر ترك إسرائيل تنهى مهمتها فى هدوء، على أن تنسحب من أراضى غزة قبل بداية ولايته. غير أن هذا لا يعفى الدبلوماسية العربية من ضرورة بذل جهد مكثف لتوضيح أبعاد القضية، ولتوضيح الحاجة لفرض تنفيذ قرارات مجلس الأمن المعلقة، التى لم تُنفذ، باعتبارها المرجعيات الدولية المقبولة لحل الصراع، والتى تسعى إسرائيل بكل جهدها لخلق مرجعيات بديلة لها.

وأخيراً هناك تعاطف فى أغلب أنحاء العالم مع الفلسطينيين. وستسعى إسرائيل إلى قلب الموقف. وأعتقد أن النمط المعتاد للقيام بهذا هو إعطاء تسهيلات معينة للفلسطينيين بزعم أن إسرائيل دولة تهتم بالنواحى الإنسانية، وفى إطار هذه التسهيلات - صدق أو لا تصدق - سوف يُسمح بتسلل انتحارى فلسطينى للقيام بعملية انتحارية انتقامية، تتسبب فى سقوط أطفال إسرائيليين، تقوم إسرائيل بتسويق جثثهم - كما فعلت فى كل المرات السابقة- لاستعادة تعاطف العالم. فمن الواضح أن إسرائيل تفعل ما تتهم الفلسطينيين بفعله من اتجار فى جثث أطفالها، غير أنها تفعل ذلك بقدر كبير من الذكاء.

٣

تركيا وعملية «الرصاص المتدفق».. الطموحات والقدرات

محمد عبد القادر
باحث في العلوم السياسية

إحدى القضايا الرئيسية التي أثيرت على نحو جدي وكبير خلال عملية " الرصاص المسبوك " التي قامت بها القوات الإسرائيلية في قطاع غزة، تعلقت بدور تركيا الإقليمي. فما بين مهون ومهول صار وصف هذا الدور. ترتب الجدل والانقسام حول هذا الدور على تقيم الخطى التركية على مسرح عمليات الشرق الأوسط أثناء العمليات الإسرائيلية. المتأمل في الخطاب التركي وحجم الإدانة التركية للسياسات الإسرائيلية ذهب إلى أن تركيا تبنت خطاب لم تتبناه طيلة ما يزيد عن العقود الخالية من عمر الدولة العبرية، هذا على الرغم من أن تجاه واضح تجاوز الخطاب التركي ونبرته ليؤكد أن لغة الحقائق تكشف أن تركيا لاعب إقليمي على هامش أحداث الشرق الأوسط وإن سعت جاهده لأن تبدو عكس ذلك.

الانقسام والجدل الكبير كان دليل على أن الأتراك نجحوا في أن يفعلو شيئا في الرؤية العربية لطبيعة دور تركيا الإقليمي، وإن لم يفعلو مثله على مسار الصراع الدائر وقتذاك في قطاع غزة. فحجم الكتابة والرؤى التي طرحت عن الدور التركي كانت كبيرة مقارنة بالماضي إن البعيد أو القريب. جزء رئيس من الاهتمام بالخطاب التركي تأسس على أن لغة هذا الخطاب هي لغة يهواها الشارع العربي والتركي على حدا سواء. وهو خطاب جعل تركيا تبدو أقرب إلى ما يطلق عليه " معسكر الممانعة "، فيما كانت السياسات التركية الفعلية على أرض الواقع تشي إلى أنها أقرب إلى " معسكر الاعتدال "، وهو أمر يؤكد أن السياسة الخارجية التركية قد اكتسبت خبرة كبيرة في التعامل مع دول المنطقة العربية.

تركيا من بداية الأزمة استخدمت " لغة حادة " في وصف الأفعال الإسرائيلية في قطاع غزة، بل يمكن القول أن اللغة التركية من حيث التشدد والقوة تعدت نظيرتها الإيرانية، والتي ظلت الأكثر تشددا في معرض إدانتها لإسرائيل خلال السنوات الخمس الخالية. فرئيس الوزراء التركي لم يكتف بمعارضته لبعض المواقف الإقليمية والغربية التي حملت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) جزءا من المسئولية عما جرى في القطاع، وإنما ذهب بعيدا في وصفه لما أحدثته إسرائيل من انتهاكات لحقوق الإنسان في القطاع، واصفا الوضع فيه بأنه " مأساة إنسانية " تتحمل مسئوليتها إسرائيل بمفردها، وإنها -أي إسرائيل- دولة تتحدى الشرعية الدولية، بل وبدا أردوغان غاضبا مما أسماه بـ" إهانة الحكومة الإسرائيلية لتركيا "، حيث جاء العدوان بعد أربعة أيام فقط من قيام رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت بزيارة إلى أنقرة لبحث الوضع في المنطقة، وهو ما اعتبره أردوغان بأنه " أوحى للعالم بأن أنقرة كانت على علم بالعدوان ووافقت عليه ".

عبارات التنديد والإدانة لم تكن لغة الخطاب والسياسة التركية وحسب، كنظيرتها الإيرانية، وإنما تحركت تركيا بخطوات دبلوماسية أقلقت الساسة في إسرائيل، فتركيا بعد تفجر الأزمة مباشرة قامت بزيارات مكوكية إلى أربع دول عربية رئيسية هي دمشق والأردن ومصر والمملكة العربية السعودية، كما أنها كانت محطة إقليمية مهمة لكل من وزراء خارجية كل من مصر وسوريا وقطر وبعض الساسة الإيرانيين. بدت تركيا من ذلك كأنها بؤرة الحدث وصانعته أو المحركة الفعلية له. هذا الأمر أقلق إسرائيل على نحو كبير وواضح. فالعلاقات التركية مع الدولة العبرية تعود إلى السنوات الأولى لنشأة هذه الدولة. كما أن هذه العلاقات تتنوع وتتشعب على نحو يخدم مصالح الدولتين إن الأطلسية أو العبرية. ولذلك وانطلاقا من شعور بخطورة " الراديكالية التركية " أقدمت وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني على طلب زيارة سريعة إلى أنقرة. غير أن هذه الأخيرة رفضت الزيارة مؤكدة على أنها غير مستعدة للتباحث مع إسرائيل

على أي شيء قبل وقف فوري لإطلاق النار في القطاع. لم يكن الموقف التركي بالنسبة لإسرائيل غريبا فرئيس الوزراء التركي كان قد رفض قبل ذلك بأيام قليلة الرد على مكالمة من نظيره الإسرائيلي، تأسيسا على الرؤية ذاتها.

مرد التخوف الإسرائيلي من طبيعة الخطاب التركي أنه جاء من دولة حليفة لها، تنتمي إلى حلف شمال الأطلسي. دولة تحتفظ معها إسرائيل بعلاقات صداقة ويجمع رئيس وزراءها برئيس الوزراء الإسرائيلي صداقة ناشئة وطدها قبول إسرائيل توسط تركيا في مفاوضات غير مباشرة جمعتها مع سوريا. وهي مفاوضات علقتها تركيا بعد اندلاع المواجهة العسكرية بين حماس وإسرائيل. وقد زاد التخوف الإسرائيلي من " الغضب " الذي جرى في أوصال تركيا إن نخبة حاكمة أو معارضة أو حتى شعبا، أن أنقرة ليست دولة متشددة كإيران يدرك العالم طبيعة الإيديولوجية التي يتبناها نخبتها القابضة على مفاصل الحكم، وإنما هي دولة معتدلة تحكمها نخبة براجماتية تحظى بقبول ورضا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وكذا بالنسبة لأغلب الدول العربية والغربية.

في المقابل من ذلك فإن تركيا التي داومت على توجيه انتقادات للسياسات الإسرائيلية على مدى السنوات الخمس الخالية، لم تكن تتوقف كثيرا أمام العلاقات التركية الإسرائيلية، وما تشكله من أهمية بالنسبة لتركيا، بل كانت تقدم على توجيه الإدانات والانتقادات للدولة العبرية واحدة تلو الأخرى. وتركيا في ذلك دائما ما تفصل بين مسار علاقاتها المختلفة، فتجد لها مطلق الحرية في توطيد علاقاتها مع إسرائيل التي تتشابك معها في روابط اقتصادية وسياسية، دون أن يلغى ذلك حريتها في إدانة إسرائيل حين تقترف أفعال تستحق الإدانة. وكما لتركيا الحق في مساندة القضية الفلسطينية والعمل على التوسط بين السوريين والإسرائيليين، فلا يحق لأيا من الدول العربية انتقاد تنامي علاقاتها مع الدولة العبرية.

أخذ العرب الكثير من السنوات لكي يستوعبوا ذلك كما بذل الأتراك مجهودات كبيرة من أجل اكتساب ثقة كافة " الفرقاء " الشرق الأوسطيين، ومن أجل ألا تؤثر علاقاتهم مع أيا من هذه الأطراف على روابطهم ببقية الأطراف الإقليمية. فهم مثلا على علاقة طيبة مع حركة حماس بل أنهم من الدول القلائل التي فتحت أبوابها أمام هذه الحركة حين وصلت إلى سدة السلطة الفلسطينية. ومع ذلك لتركيا علاقات عسكرية مع إسرائيل. وترتبط أنقرة بعلاقات متشعبة مع إيران هذا على الرغم من أنها تكاد تكون الدولة الأقرب إلى الولايات المتحدة في المنطقة بعد إسرائيل. تركيا لعبت بين " المتخاصمين " ونجحت حتى اللحظة. ويكفي أنها دولة لديها روابط وطيدة مع دول كل من " معسكر الاعتدال " و" معسكر المهانعة ".

الإسرائيليين من جهتهم كان من الواضح أنهم لن يمرروا الانتقادات التركية. فثمة حاجة لوقفة تعيد الأتراك وفق رؤيتهم إلى " صوابهم "، فخلال أيام قليلة من تصريحات أردوغان " المدوية " جاءت الكثير من الصحف العالمية خصوصا في الولايات المتحدة بانتقادات شديدة إلى تركيا بل رأى البعض أن الحزب الحاكم في تركيا قد كشف عن ميوله وأجندته الخفيتين. كما بدا امتعاضا أمريكيا من موقف تركيا من العمل العسكري الإسرائيلي في قطاع غزة، تجسدت بعض ملامحه في إلغاء وزيرة الخارجية الأمريكية لـ" زيارة وداعية" كان من المقرر أن تقوم بها إلى أنقرة. وعلى الرغم من أن أغلب أحزاب المعارضة التركية قد استجابت للتعاطف الشعبي الجارف إزاء الأوضاع الإنسانية في قطاع غزة، غير أن ثمة من وجه من هذه الأحزاب انتقادات قوية إلى حزب العدالة والتنمية باعتباره الحزب الحاكم واصفين ما قام به بأنه ليس ذي علاقة بالسياسة التي تتقيد بمصالح الدول، وليس بالعواطف والميول. كما ظهرت ردود أفعال إسرائيلية مندهشة من التصريحات التركية، وذلك في تعليقات المحللين والسياسيين، حيث قالت صحيفة جيرزاليوم بوست الإسرائيلية : إن تركيا " لم تعد حليفنا القديم الذي اعتدناه بعد أن اختارت أن تكون في صف إيران وحزب الله وحماس". وطالبت الصحيفة الحكومة الإسرائيلية القادمة " بأن تعيد النظر في قبولها وساطة تركية بين إسرائيل وسوريا، وكذلك استدعاء السفير الإسرائيلي في أنقرة ". هذا فيما قال البروفيسور إفرايم إنبار في جامعة بار إيلان الإسرائيلية لصحيفة " زمان " التركية إنه قلق من لهجة أردوغان، فطريقة حديثه تجاوزت اللغة الودية المفترضة بين دول من المفترض أنهم أصدقاء. كما قال الدكتور ألون لييل، النائب السابق لوزيرة الخارجية تسيبي ليفني والسفير السابق في أنقرة: إن إسرائيل " فوجئت وصدمت برد فعل أردوغان على الأزمة الذي تجاوز رد فعل كل من مصر والأردن وبقية الدول الإسلامية ".

انتقادات وتوجهات كهذه لم تثن تركيا عن سياسة"تصدير" التصريحات، حيث وقف أردوغان تحت قبة الجمعية الوطنية التركية ليوجه رسالة للدولة العبرية هي الأقوى على الإطلاق، ذلك أنه أشار إلى أن تركيا (الدولة العثمانية) استقبلت اليهود حين " طردتهم " الكثير من الدول الغربية، مؤكدا على أن التاريخ لن يغفر لإسرائيل ما تفعله في حق الفلسطينيين، مشيرا إلى أن موقفه إزاء الحرب الدائرة في قطاع غزة ليس عاطفي وإنما سياسي، وإن كان ثمة حاجة للتعاطف فإن ذلك سيكون مع غزة وأهلها. رسالة أردوغان خرقت " الأذن الإسرائيلية " لترفع من شأن أردوغان في الأوساط الشعبية

عربية كانت أو تركية إلى عنان السماء، ولتخلص الكثير من الاتجاهات إلى أن أردوغان بات "عروبي" أكثر من " العربان " أنفسهم.

استطاعت تركيا أن تطور سياساتها الخارجية على نحو كبير، من خلال تجسير العلاقات مع مختلف القوى الإقليمية، بل وأكثر من ذلك فقد استطاعت بالفعل تطبيق رؤية احمد داود أوغلو مستشار رئيس الوزراء التركي. وهي رؤية يطلق عليها البعض " العثمانية الجديدة "، حيث تقوم على أساس أن تركيا يجب أن تكون دولة "مركزية "، وليست " تابعة " أو مجرد دولة " طرفية "، وبالتالي فإن كل ما يجري في المنطقة يهم تركيا، باعتبارها دولة لديها القدرة على توفير الأمن والاستقرار ليس لنفسها وحسب بل وللمحيط الإقليمي الذي تتواجد فيه.

وعلى الرغم من كل ذلك يمكن القول أن الموقف التركي من عملية " الرصاص المسبوك " قد دفع الكثير من الآراء والاتجاهات لأن تتجاوز مرحلة التهوين من الموقف التركي إلى حال التهويل، من خلال النظر إليه باعتباره دور قادر على التأثير في أحداث تلك المنطقة الملتهبة من العالم على نحو غير مسبوق. ومع أن ذلك في جزء منه حقيقي نسبيا، غير أن ثمة عدد من الملاحظات يجب أن تأخذ في الاعتبار عند النظر إلى طبيعة الدور الإقليمي الجديد لتركيا في المنطقة. وهى أولا : أن تركيا لا تقوى على الاضطلاع بدور بارز في القضايا الكبرى في المنطقة، فهذه القضايا في كثير من الأحيان تتجاوز قدرات تركيا وأغلب دول المنطقة، وإن كان ذلك لا يعني أن تركيا ليس لها دور، ذلك أن ثمة دور لا بأس به ينمو يوما بعد يوم على نحو متدرج. ثانيا: أن أحداث المنطقة تتوقف إلى حدا كبير على طبيعة السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية. لذلك فإن الفراغ الحاصل في المنطقة قبل تسلم إدارة الرئيس بارك أوباما السلطة دفع بعض دول المنطقة إلى محاولة ملئ هذا الفراغ المؤقت. ثالثا: أن بروز الدور التركي ترتب إلى حدا كبير على ضعف مختلف الأدوار الإقليمية الأخرى بما فيها الدور الإيراني والذي نال الكثير من العزلة، لاسيما بعد التصريحات التي أدلى بها السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله اللبناني، والتي تعرضت لنظم الحكم العربية، لاسيما مصر، والتي رأت بدورها أن طهران تريد أن تقلب دول المنطقة عليها، وتحبط خطط التهدئة التي تسعى إليها، مما ساهم في تعميق الفجوة بين القاهرة وطهران. رابعا: أن تركيا تم استدعاءها للعب هذا الدور من قبل مصر والتي رأت أن التحرك بالتوازي وبالتنسيق مع الدبلوماسية التركية النشطة، من شأنه أن يأمن للدور المصري مزيد من الفاعلية ويقلل من حدة الحرج في حال الفشل. خامسا: أن تركيا مقبلة على انتخابات محلية، لذلك سعى الحزب الحاكم إلى الحصول على ثقة الناخبين ذوى الميول الإسلامية فيها، ومن ثم كان من الطبيعي أن يكون الخطاب التركي موجه للناخب الذي يستعد للذهاب إلى صندوق الانتخابات، وهى في ذلك تتشابه مع توجه النخبة الحاكمة في إسرائيل والتي بعثت من خلال عملياتها العسكرية في قطاع غزة برسائل عدة إلى الناخب الإسرائيلي الذي يستعد بدوره ليدلي بصوته في الانتخابات البرلمانية المقبلة.

وعليه، يمكن القول أن العام الماضي بدأ بتنديد قوي من قبل رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان بالسياسات الإسرائيلية إزاء قطاع غزة، وها هو ينتهي ويبدأ عام جديد بتنديدات تركية مماثلة بل وأقوى، غير أن مرد القوة هذه ليس متعلق بطبيعة الحدث محل التنديد وحسب، وإنما أيضا بطبيعة الوضع الإقليمي الذي يشوبه الفراغ. وهو ما دفع تركيا لأن تخاطب الجماهير التركية والعربية بلغة تسعى هذه الجماهير جاهدة للاستماع إليها إن لم يكن الاستمتاع بها.

◆مصطلحات عبرية◆

■ إعداد: وحدة الترجمة

١ - أولبـان:

معهد لتعليم اللغة العبرية ولتثقيف المهاجرين الجدد على المواطنة وطريقة الحياة فى إسرائيل.. وكان أول هذه المعاهد هو "أولبان عتسيون" الذى افتتح فى سبتمبر ١٩٤٩ فى القدس بإدارة مشتركة من قبل دائرة التربية والثقافة ودائرة الاستيعاب التابعة للوكالة اليهودية.

وخلال الفترة ما بين عامى ١٩٤٩ و١٩٧٢ درس فى هذه المعاهد التى تديرها دائرة الاستيعاب والهجرة التابعة للوكالة اليهودية حوالى رُبع مليون رجل وامرأة.

٢ - أفوكـا:

منظمة طلابية صهيونية فى الولايات المتحدة، تأسست عام ١٩٢٥، وكانت تابعة للنقابة الصهيونية - الأمريكية، اهتمت بمواضيع سياسية، واجتماعية وثقافية وغيرها.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية التحق معظم أعضاء "أفوكا" بالجيش الأمريكي، وفى عام ١٩٤٣ أغلق المكتب الرئيسى للمنظمة فى نيويورك، وهاجر الكثيرون من أعضائها لفلسطين.

٣- أفيعاد (ولفسبرج) يشعياهو:

سياسي، وأديب وزعيم صهيونى دينى ولد فى ألمانيا عام ١٨٩٣. ومنذ شبابه نشط فى الحركة الصهيونية الدينية، وعمل رئيسا للهستدروت العالمية لحركة "همزراحي". انتخب عضواً فى اللجنة التنفيذية الصهيونية وعضواً فى مؤسسات كثيرة.. هاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٤، حيث توفى فيها عام ١٩٥٧.

٤ - أورت:

الأحرف الأولى باللغة الروسية لاسم: شركة توزيع العمل بين اليهود.. أقيمت هذه الشركة عام ١٨٨٠ فى لينجراد لزيادة النشاطات الإنتاجية بين اليهود عن طريق إعدادهم مهنيا وزراعيا.. وبعد الحرب العالمية الأولى عملت شركة أورت أيضا خارج روسيا فى بولندا ورومانيا.. وفى عام ١٩٢١ أقيم مركز عالمى لشركة أورت كان مقره فى سويسرا.

وفى نهاية عام ١٩٤٨، أقيمت منظمة أورت فى إسرائيل وهى تتمتع الآن بأكبر شبكة من المؤسسات التعليمية المهنية.

الصحف الرئيسية فى إسرائيل

م	اسم الصحيفة	معناها باللغة العربية	تاريخ التأسيس	الجهة المؤسسة	أعداد التوزيع
١	يديعوت أحرونوت يومية	آخر الأخبار	١٩٣٩	ملكية خاصة لعائلة موزيس الإعلامية	الصحيفة الأكثر توزيعاً فى إسرائيل إذ يقرأها حوالى ثلثى قراء الصحف العبرية، حيث توزع ٣٠٠ ألف نسخة يوميا و ٦٠٠ ألف نسخة للعدد الأسبوعى الجمعة
٢	هاآرتس يومية	الأرض	١٩١٩	مالكة هذه الصحيفة هى كتلة الإعلام شوكين	العدد اليومى (٦٥ ألف نسخة) العدد الأسبوعى (٧٥ ألف نسخة)
٣	معاريف يومية	صلاة الغروب	١٩٤٨	ملكية خاصة لعائلة نمرودى الإعلامية	العدد اليومى (١٦٠ ألف نسخة) العدد الأسبوعى (٢٧٠ ألف نسخة)
٤	هاتسوفيه يومية	المراقب	١٩٣٨	المفدال الحزب الدينى القومى	العدد اليومى (٦٠ ألف نسخة)
٥	جيروزاليم بوست	بريد القدس	١٩٢٣	ملكية خاصة لمجموعة جريشون أجررون	العدد اليومى (٣٠ ألف نسخة) العدد الأسبوعى (٥٠ ألف نسخة) (توزع يوميا طبعة دولية فى أمريكا الشمالية وطبعة أسبوعية باللغة الفرنسية فى أوروبا)
٦	جلوبس يومية اقتصادية	-	١٩٨٣	شركة جلوبس لتونوت للنشر التى تمتلكها مجموعة مونتين	٤٠ ألف نسخة
٧	هامودبع يومية	المخبر	-	حزب أجودات يسرائيل	العدد اليومى (٢٥ ألف نسخة) توزع نسخة أسبوعية باللغة الإنجليزية

رقم الإيداع ٣٠٠٦ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 227 - 229 - 6

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية
CENTER FOR POLITICAL & STRATEGIC STUDIES

مختارات اسرائيلية

النشاط والأهداف

انشئ المركز فى عام ١٩٦٨ كمركز علمى مستقل يعمل فى إطار مؤسسة الاهرام لدراسة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلى والقضية الفلسطينية، ثم امتد اختصاصه الى دراسة الموضوعات السياسية والاستراتيجية بصورة متكاملة. ويسعى المركز من خلال نشاطه الى نشر الوعى العلمى بالقضايا الاستراتيجية العالمية والاقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأى العام المصرى والعربى بتلك القضايا، وأيضا بهدف ترشيد الخطاب السياسى وعملية صنع القرار فى مصر.

عضوية المركز:

يمكن الاشتراك فى عضوية المركز التى تمنح حقوق الحصول على إصدارات المركز وأوراق الندوات وملخصات لورش العمل والحلقات الفكرية التى يعقدها المركز، وتقديرات المواقف والنشرات التى يصدرها فى لحظات الأزمات، وحضور محاضرات المركز ومؤتمره السنوى، فضلاً عن تكليف المركز بأبحاث تدرج فى خطته العلمية مع تغطية العضو لتكلفتها. قيمة رسم اشتراك العضوية سنوياً (عشرة الاف جنيه للهيئة وخمسة آلاف جنيه للأفراد).

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر